جامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية في ولاية مروان بن الحكم على المدينة

(41-57هـ/661-677م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في تاريخ العصور الوسطى

إعداد الطالب

حمزة يونس

إشراف الأستاذ الدكتور

قويدر بشار

السنة الجامعية 1439-1440هـ/2018-2019م

جامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية في ولاية مروان بن الحكم على المدينة

(41-57هـ/661-677م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في تاريخ العصور الوسطى

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
لطيفة بن عميرة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر2	رئيسا
قويدر بشار	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر2	مشرفا ومقررا
عبد الحميد خالدي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر2	عضوا مناقشا
موسى هواري	أستاذ محاضر-أ-	جامعة الجزائر2	عضوا مناقشا
عبد القادر بوعقادة	أستاذ محاضر-أ-	جامعة البليدة2	عضوا مناقشا
الطيب بوسعد	أستاذ محاضر-أ-	جامعة البليدة2	عضوا مناقشا

إعداد الطالب

حمزة يونس

إشراف الأستاذ الدكتور

قويدر بشار

السنة الجامعية 1439-1440هـ/2018-2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله الذي وفّقني في إتمام هذا البحث، والشكر له على ما أنعم به عليّ من نِعَم.

أشكر أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور قويدر بشار على ما قدّم لي طوال مدّة إنجاز البحث، من ملاحظات سديدة، وإرشادات مفيدة، وتنقيحات وجيهة، فجازاه الله عز وجلّ خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

وأشكر أساتذتي الذين تلقّيت على يديهم العلم من مسجد الحيّ إلى الجامعة، عسى الله عز وجلّ أن يُثيبهم بذلك الأجر العظيم.

وأخيراً أشكر كلّ من ساعدني في بحثي بالقليل أو الكثير.

والله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد.

المقدمـــــــــة

تتمتّع المدينة المنورة بمكانة عظيمة في نفوس المسلمين؛ إذ آوت الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هجرته من مكة، ونصره أهلها في السّراء والضّراء، ومنها أسّس الدولة الإسلامية، التي كانت عاصمتها لفترة من الزمن، ثمّ صارت ولاية من ولاياتها منذ عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

تُعدّ ولاية المدينة أهمّ ولايات الخلافة الأُموية؛ لذا كان الخلفاء الأمويون يُعيّنون عليها الولاة من ذوي الحِنكة والتّجربة في شؤون الإدارة والتعامل مع الرّعية، وكان مُعظم هؤلاء من البيت الأموي(*)، وأرسى سياسة التّعيين هذه الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، الذي اُشتهر في عهده من وُلاّتها "مروان بن الحكم"، فقد حكمها لأكثر من عشر سنوات.

تنوّعت الأسباب التي دفعتني إلى دراسة هذا الموضوع، ويمكن إجمالها في النقاط الآتية:

– صورة مروان بن الحكم في التاريخ الإسلامي، التي طغت عليها السلبيات في أغلب الروايات التاريخية.

– معرفة أوضاع المدينة بُعيد انتهاء الفتنة الكبرى؛ ودراسة علاقة الصحابة بالخلافة الأموية مُمثّلة في والي المدينة.

– إبراز مكانة هذا الوالي في تاريخ المدينة، وأهمّ أعماله فيها.

تهدف إشكالية البحث إلى الرّبط بين إنجازات والي المدينة مروان بن الحكم وانعكاساتها وبين حياة السكان السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعمرانية وأثرها فيها، ومن ثمّ استنتاج مدى نجاحه أو إخفاقه في تسيير شؤون هذه الولاية المُهمّة.

(*) أذكر منهم: سعيد بن العاص رضي الله عنه، والوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وعمرو بن سعيد بن العاص، وأبان بن عثمان بن عفان وعمر بن عبد العزيز وغيرهم. (أنظر: عبد الغني عارف أحمد، تاريخ أمراء المدينة المنورة 1هـ–1417هـ، دار كنان، دمشق، 1996، ص54، 110).

وبناءً على ذلك، نطرح جُملة من التساؤلات:

– من هو مروان بن الحكم؟ وما هي العوامل المؤثّرة في تكوينه السياسي؟

– ما هو التنظيم الإداري والقضائي المتّبع من طرف الوالي مروان بن الحكم لتسيير شؤون المدينة؟

– كيف كانت العلاقة بين الصحابة ووالي المدينة مروان بن الحكم؟

– ما هي مميزات الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمدينة في هذه الفترة؟

– ما هو نصيب المدينة من النشاط العلمي في ولاية مروان بن الحكم؟ وهل اقتصر على الجانب الديني؟

– ما مدى تأثير العمران في الازدهار الحضاري للمدينة خلال ولاية مروان بن الحكم؟

أما الفترة المخصصة للبحث فتنحصر ما بين 41–57هـ/661–677م، علما أن مروان بن الحكم تولّى ولاية المدينة مرّتين، الأولى فيما بين 41–49هـ/661–669م، والثانية فيما بين 54–57هـ/674–677م، وعليه فإن الفترة ما بين 49–54هـ/669–674م غير معنية بالبحث، لأنها تخصّ والي آخر للمدينة وهو سعيد بن العاص رضي الله عنه.

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة وتساؤلاتها الفرعية، ارتأيت تقسيم البحث إلى خمسة فصول، ومقدمة ومدخل وخاتمة.

اقتصرت في المدخل على تقديم لمحة تاريخية وجغرافية عن المدينة قبل فترة ولاية مروان بن الحكم، بذكر موقعها الجغرافي وخصائصها الطبيعية، وأسمائها وبعض فضائلها، ثم عرّجت على أوضاعها خلال العهد النبوي والراشدي.

خصصت الفصل الأول للتعريف بشخصية مروان بن الحكم، من نسبه ومولده ونشأته، وصفاته ومكانته، وزوجاته وأولاده، وأخيرا أعماله ووفاته.

أما الفصل الثاني الخاص بالأوضاع السياسية، تناولت فيه علاقة الأمير بالصحابة ثم النشاط السياسي لسكان المدينة، وأخيرا التنظيم الإداري والقضائي للولاية.

درست في الفصل الثالث الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، بداية بالتركيبة البشرية للمجتمع، ثم مكانة المرأة، لأنتقل إلى المستوى المعيشي للسكان وأهم النشاطات التي مارسوها من زراعة، وتربية المواشي، وصناعة، وتجارة.

واهتم الفصل الرابع بالجانب الثقافي، من خلال التعليم وأماكنه وأبرز العلوم التي دُرّست حينها، مروراً بأشهر علماء المدينة في تلك الفترة، ووصولاً إلى الحياة الأدبية ممثلةً في الشعر والشعراء.

لأختم بالفصل الخامس الذي تطرّقت فيه إلى المنشآت العمرانية التي أُنجزت في تلك الفترة مثل عيون الماء، والمقصورة في المسجد النبوي وتبليط ممرّاته، وتوسعة المقبرة، وبناء حِصنَين للمدينة، ودكاكين تجارية في السوق، وغير ذلك من المنجزات.

أما الخاتمة، فاشتملت على أهم النتائج التي توصّلت إليها.

وقد اتّبعت في دراسة موضوع البحث المنهج التاريخي؛ إذ سردت الأحداث والوقائع من خلال المادة التاريخية المجموعة من المصادر المختلفة، واجتهدت في عرضها مختصرة دون إطناب، مع التقيّد بالإطار الزمني للموضوع، ثم حاولت تحليل بعض القضايا والتعليق عليها ومناقشة آراء الباحثين المعاصرين فيها، ثمّ استخلاص مجموعة من النتائج عن الموضوع.

وعن الدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع، عثرت على مجموعة من الرسائل والأطروحات، أذكر منها: "الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في المدينة المنورة في العصر الأموي 41-132هـ/661-749م" وهي أطروحة دكتوراه لـ "نورة بنت عبد الملك آل الشيخ" بكلية التربية للبنات جدّة-المملكة العربية السعودية، "المدينة المنورة في العصر الأموي دراسة اجتماعية اقتصادية ثقافية" وهي رسالة ماجستير لـ "عبد الله موسى محمد النوافعة" بكلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية-الأردن، "الأوضاع الإدارية والاقتصادية في المدينة المنورة في العصر الأموي" وهي أطروحة دكتوراه لـ "عبد الحكيم حسن إبراهيم" بكلية الآداب جامعة النيلين- السودان.

المُلاحَظ عن هذه الدراسات أنها تناولت أوضاع المدينة المنورة طيلة العصر الأموي، لذا نالت ولاية مروان بن الحكم قسطاً ضئيلاً من الاهتمام، عبر إشارات متفرقة بين الفصول؛ إذ ركّزت هذه الدراسات على خلافة عبد الملك بن مروان ومن جاء بعده؛ نظراً لأن المدينة حينها عرفت ازدهارا كبيرا في مختلف المجالات، أما خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فتناولها الباحثون بشكل كبير من الناحية السياسية عبر الاهتمام ببيعة يزيد بولاية العهد، وموقف سكان المدينة المعارض لها.

ومن ناحية أخرى، نجدها غير شاملة لكافة الأوضاع، فتارة ينقصها الجانب العمراني، وتارة أخرى الجانب السياسي والإداري، وأحيانا الجانب العلمي، لذا لا تُقدّم لنا تصوّراً شاملاً عن المدينة في ذلك العصر، يمكّننا من استخلاص استنتاجات على أساسه.

وما يمكن الاستفادة منها، هو آراء باحثيها في بعض القضايا خاصة السياسية منها، وتحليلهم للأحداث التاريخية، والنتائج التي وصلوا إليها، وأيضا إرشاد الباحث وتوجيهه إلى بعض المعلومات الموجودة في مصادر البحث التي قد يغفل عنها نظراً لضخامة حجم بعض هذه المصادر.

ومن جملة المصادر التي عُدت إليها أذكر:

– محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت230هـ/844م)، وكتابه: **الطبقات الكبير**؛ من أقدم المصادر التي أُلّفت في الطبقات، وقد نشأ ابن سعد في البصرة ثم انتقل إلى بغداد وتتلمذ على يد كبار علمائها وأخُصّ بالذّكر محمد بن عمر الواقدي(ت 207هـ/823م)، الذي لازمه وصار كاتبه، كما زار مكة المكرمة والمدينة المنورة والكوفة في رحلته العلمية.

استفاد كثيراً من كتاب الطبقات للواقدي(مفقود)، يُضاف إليه الكمّ الهائل من الروايات الشفهية المُسندة. واعتمدت عليه في أغلب فصول البحث، لأنه جمع عدداً كبيراً من الروايات التاريخية –عن شهود عيان–المرتبطة بالجانب السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعمراني للمدينة في فترة الدراسة.

– علي بن الحسين بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (ت571هـ/1175م)، وكتابه: **تاريخ مدينة دمشق**؛ وهو موسوعة ضخمة في التراجم والسير، ويتميز بغزارة مادته العلمية، ومؤلّفه دمشقي المنشأ، ورحل في طلب العلم إلى العراق والحجاز وخراسان وغيرها، ونظراً لضخامة حجم الكتاب فقد كانت موارده كثيرة جدًّا ومتنوّعة منها المخطوط والمطبوع والمفقود.

نقل المؤلف في تراجمه لأعلام المدينة المنورة من كتاب الطبقات الكبير لا بن سعد الشيء الكثير، وترجم للصحابة ومروان بن الحكم بشكل مطوّل، وأضاف إلى ما كتبه ابن سعد عدداً مُعتبراً من الروايات التاريخية التي لا توجد في غيره من المصادر ، أغلبها عن شهود عيان؛ لذا اعتمدت عليه في أغلب فصول البحث.

– محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ/870م)، وكتابه: **صحيح البخاري**؛ أصحّ كُتب الحديث النبوي، ونشأ المؤلف في بُخارى (مدينة في أوزبكاستان حالياً)، وتعدّدت رحلاته العلمية فقد زار عدّة مناطق مثل: خراسان والعراق والسام والحجاز ومصر.

إنّ طبيعة موضوع البحث وارتباطه بفترة الصحابة والتابعين دفعني للاستعانة به في سرد الروايات التاريخية الموثوقة عن علاقة والي المدينة مروان بن الحكم بالصحابة رضوان الله عليهم سياسياً واجتماعياً وعلمياً.

– مسلم بن الحجاج النيسابوري(ت 261هـ/875م)، وكتابه: **صحيح مسلم** ؛ وهو أصحّ كتب الحديث النبوي بعد كتاب الإمام البخاري. وُلد المؤلف بنياسبور ومنها بدأ طلب العلم ثمّ رحل إلى الحجاز والعراق والشام ومصر.

اعتمدت عليه في موضوع البحث مثل كتاب صحيح البخاري لكن ركّزت على الروايات التاريخية الموثوقة التي انفرد بها عنه، والروايات التي فيها زيادات لم ترد لدى البخاري.

– علي بن عبد الله السمهودي (ت911هـ/1505م)، وكتابه: **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، وهو موسوعة تاريخية جغرافية أثرية للمدينة المنورة عبر العصور. نشأ المؤلف في مصر وتتلمذ فيها على علمائها، ثم رحل إلى المدينة المنورة واستقرّ فيها حتى وفاته.

جمع في كتابه أقوال المؤرخين والجغرافيين عن المدينة من العهد النبوي حتى عصره، وأضاف لها مشاهداته الشخصية لمعالمها الأثرية. وقد أعانني في تحديد المعالم الجغرافية والأثرية للمدينة والتعريف بها؛ نظراً لاستنتاجاته العلمية الدقيقة في ذلك، التي أشاد بها الباحثون والدّارسون لتاريخ المدينة المنورة.

– عمر بن شبّه (ت 262هـ/876م)، وكتابه: **تاريخ المدينة المنورة** ؛ من أقدم الكتب التي تُؤرّخ للمدينة المنورة، على الرغم من مؤلّفه نشأ في البصرة وتتلمذ على مشايخها ثم استقرّ في بغداد. نقل في كتابه عن الواقدي وابن سعد وغيرهما، وأضاف رواياته الشفوية بأسانيدها. وقد أفادني بمادتّه التاريخية عن المجتمع والاقتصاد والعمران في المدينة خلال فترة البحث.

أما المراجع، فأذكر: عبد الباسط بدر وكتابه: **التاريخ الشامل للمدينة المنورة**، وصالح أحمد العلي مؤلّف كتاب: **الحجاز في صدر الإسلام** ، وفواز علي بن جنيدب الدّهاس صاحب كتاب: **مروان بن الحكم مؤسس الفرع المرواني في الدولة الأموية** ؛ استعنت بآرائهم في التعليق على مجموعة من الأحداث وتحليلها.

وعن الصعوبات التي واجهتني، فتتلخص في نقطتين أساسيتين هما:

– عدم قدرتي على الاستفادة من بعض المراجع ذات الصلة بموضوع البحث، التي رُبّما ستُثري البحث أكثر، نتيجة العراقيل الإدارية التي منعتني من السفر إلى المملكة العربية السعودية، والردّ السلبي لمؤسساتها العلمية حين راسلتها عبر البريد الإلكتروني، وللملحقة الثقافية لسفارتها بالجزائر.

– نقص المادة العلمية المتعلقة ببعض جوانب البحث خاصة الجانب الاجتماعي والاقتصادي، رغم محاولة تجاوز ذلك بالاعتماد على كتب الفقه والحديث والفتاوى والتّراجم.

ولا يفوتني في الأخير أن أتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور بشار قويدر، الذي لم يبخل عليّ بالتوجيهات والإرشادات خلال إشرافه على البحث، وتوجيه الملاحظات لسدّ الثغرات الموجودة في العمل.

1- الموقع والخصائص الطبيعية:

1-1- الموقع:

تقع المدينة على خط طول 39° درجة، وعلى خط عرض 24° درجة، وترتفع عن سطح البحر بـ: 639 متر[1].

تتوسط المدينة الطريق بين اليمن وبلاد الشام مما يجعلها محطة تجارية للقوافل المارّة عبر هذا الطريق [*]، كما أن المسافة بينها وبين البحر الأحمر، مكّنتها من الاستفادة من واردات السلع القادمة إلى موانئه خاصّة ميناء الجار الذي ترسو فيه السفن القادمة من مصر والحبشة والهند وغيرها من البلدان[2].

1-2- الخصائص الطبيعية:

تتميز المدينة بمناخ صحراوي قاري جاف [3]، فهو حار شديد الحرارة في الصيف، معتدل لطيف منعش في الخريف والربيع، وبارد في الشتاء[4] تتخلّله بعض الأيام المطيرة[5].

---

(1) حافظ علي، فصول من تاريخ المدينة المنورة ، ط3، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، جدة-المملكة العربية السعودية، 1996، ص17. إذن، تقع المدينة في المنطقة الغربية للمملكة العربية السعودية، وتبعد عن البحر الأحمر بحوالي 220كلم، وعن الرياض-عاصمة المملكة- بحوالي 900كلم، وعلى مسافة 420كلم إلى الشمال من مكة (أنظر: بلول مختار محمد، المدينة المنورة درة المدائن، دار بلول، الرياض، 2000، ص21).

(*) أُشير هنا إلى الرحلات التجارية لقبيلة قريش منها: رحلة في الشتاء نحو اليمن وأخرى في الصيف نحو الشام، وكانت المدينة إحدى محطات توقّفهم، وقد ذكر القرآن الكريم هاتين الرحلتين في سورة قريش.

(2) الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ/1229م)، معجم البلدان، تحقيق لجنة دار صادر، دار صادر، بيروت، 1977، مج2، ص92-93.

(3) بلول، المرجع السابق، ص22.

(4) حافظ، المرجع السابق، ص17.

(5) بلول، المرجع السابق، ص22.

تتسبّب الأمصار الغزيرة –أحياناً– في حدوث فيضانات مثلما وقع في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه[1]، وفي سنة 158هـ/774م[2]، مُخلّفةً خسائر مادية معتبرة.

أما من الناحية التضاريسية [*]، المدينة واحة مستوية بين جبل أُحد في الشمال وجبل عَيْر في الجنوب، أما في شرقها وغربها نجد مساحات تُغطّيها مقذوفات البراكين [3]، ويُطلق عليها الحرّتان وهما من الصخور البازلتية–سوداء اللون–، الحرّة الشرقية تسمى حرّة واقم، والحرّة الغربية تسمى حرّة الوبرة[4].

تخترق المدينة ثلاثة أودية من الشرق إلى الغرب هي: العقيق من الجنوب، وبُطْحان من الشرق، وقناة من الشمال [5]، وتمتلئ حين هطول الأمطار، ويُضاف إليها عدد كبير من الآبار والينابيع[6].

إن هذه المميزات ساهمت في ازدهار النشاط الزراعي؛ إذ أن مقذوفات البراكين تُساهم في تخصيب التربة نظراً للمعادن التي تحتويها، وتتميز ضفاف الأودية بتربتها الطينية العالية الخصوبة، أما الآبار والينابيع فهي مصادر مائية هامة.

---

(1) ابن شبه، عمر (ت 262هـ/876م)، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق محمد فهيم شلتوت، طُبع على نفقة السيد حبيب محمود أحمد، جدة – المملكة العربية السعودية، 1979، ج1، ص169.

(2) ابن زبالة، محمد بن الحسن (ت199هـ/815م)، أخبار المدينة، تحقيق صلاح عبد العزيز زين سلامة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، المدينة المنورة، 2003، ص228–229.

(*) أنظر الملحق رقم01 ص186.

(3) وات مونتجمري، المدينة المنورة، في موجز دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ وآخرون، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة–الإمارات العربية المتحدة، 1998، ج29، ص9213.

(4) البليهشي محمد صالح، المدينة المنورة، ط2، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، 1988، ص15.

(5) البلادي عاتق بن غيث، معجم معالم الحجاز، ط2، مؤسسة الريان، بيروت، 2010، ج8، ص1536.

(6) وات، المرجع السابق، ج29، ص9213.

2- أسماء المدينة وفضائلها:

2-1- أسماؤها:

ذكر المؤرخون أسماء كثيرة للمدينة، بلغت أربعاً وتسعين اسماً [1]، وتدل هذه الكثرة على عظمة المسمّى وشرفه وفضله وهو ما ينطبق على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم [2]. وقد وردت بعض أسماء المدينة في القرآن الكريم وأحاديث نبوية صحيحة، وهي:

---

(1) السمهودي، علي بن عبد الله (ت 911هـ/1505م)، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، تحقيق قاسم السامرائي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي فرع موسوعة مكة والمدينة المنورة، جدة-المملكة العربية السعودية، 2001، ج1، ص61، 92. الجدير بالملاحظة أن هذه القائمة الطويلة بأسماء المدينة لم يرد فيها اسم "المدينة المنورة"، رغم أن السمهودي مصدر متأخر-القرن 10هـ/16م-، وهو أحسن من ألّف عن المدينة حسب الباحثين المتخصصين؛ إذ عاش فيها معظم حياته، ودرس على شيوخها وصار مفتيها وعالمها. وعليه فإن عدم ذكره "اسم المدينة المنورة" يثير الحيرة والكثير من التساؤلات.

ورد ذكر اسم "المدينة المنورة" في بعض المصادر مثل: تفسير مقاتل بن سليمان(ت 150هـ/767م). (أنظر: مقاتل، بن سليمان(ت 150هـ/767م)، تفسير مقاتل بن سليمان ، تحقيق عبد الله محمود شحاتة، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 2002، ج4، ص299). وفتوح الشام للواقدي(ت 207هـ/823م). (أنظر: الواقدي، محمد بن عمر (ت207هـ/823م)، فتوح الشام ، تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ج1، ص 12و61). ومجموعة الفتاوى لابن تيمية (ت 728هـ/1329م). (أنظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم(ت728هـ/1329م)، مجموعة الفتاوى ، تحقيق عامر الجزار وأنور الباز، ط 3، دار الوفاء، المنصورة-مصر، 2005، ج27، ص254). ولكن الاسم الغالب استخدامه في كتبهم هو: المدينة أو المدينة النبوية، أما "المدينة المنورة" يُذكر مرّة أو مرّتين؛ فربما يكون ذلك زيادة من النُّساخ في عصور متأخرة؛ إذ يرى الشيخ حماد الأنصاري -بعد أن بحث عن أصل هذا الاسم- أن أول من أطلقه هم العثمانيون، لأن الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم بقرون كثيرة استخدموا اسم "المدينة النبوية" ويُوافقه الرأي الشيخ بكر أبو زيد. (أنظر: الأنصاري عبد الأول بن حماد، المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري ، د. د.ن، المدينة المنورة-المملكة العربية السعودية، 2002، ج1، ص547-548؛ أبو زيد بكر بن عبد الله، خصائص جزيرة العرب، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، 1999، ص39).

(2) حافظ عبد السلام هاشم، المدينة المنورة في التاريخ ، ط3، نادي المدينة المنورة الأدبي، المدينة المنورة-المملكة العربية السعودية، 1982، ص33.

أ- المدينة:

المدينة هي بيوتٌ مجتمعةٌ كثيرة تجاوز حدّ القرى كثرة وعمارة، ولم تبلغ حدّ الأمصار، والمدينة اسم علم، المعرفة منه للدلالة على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والنكرة اسم لكل مدينة[1]. وجاء هذا الاسم في أربعة مواضع من القرآن الكريم[2].

ب- طيبة وطابة:

سُميت المدينة طابة وطيبة من الطَّيِّبِ وهو الطاهر؛ لطهارتها من أدناس الشرك، أو لنزول الطَّيِّبِ بها صلى الله عليه وسلم، أو لكونها كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها، وإما من الطِّيبِ لطيب أمورها كلها، وطيب رائحتها، ووجود ريح الطيب بها[3].

قال النبي صلى الله عليه وسلم: « إنّ الله تعالى سمّى المدينة طابة »[4]. وقال أيضا: « إنها طيبة تنفي الذنوب كما تنفي النار خبث الفضة »[5].

ج- يثرب[*]:

أُختلف في أصل هذه التسمية، فقيل: اسم من سكنها عند تفرق ذرية نوح عليه السلام في البلاد وهو: يثرب بن نابتة من ولد سام بن نوح، وقيل: مأخوذ من التثريب وهو اللوم،

---

(1) السمهودي، المصدر السابق، ج1، ص85.

(2) الآيتان101 و120 من سورة التوبة، والآية 60 من سورة الأحزاب، والآية 08 من سورة المنافقون.

(3) السمهودي، المصدر السابق، ج1، ص77.

(4) مسلم، بن الحجاج(ت 261هـ/875م)، صحيح مسلم، تحقيق فريق بيت الأفكار الدولية، بيت الأفكار الدولية، الرياض، 1998، كتاب الحج، باب: المدينة تنفي شرارها، رقم491، ص543.

(5) البخاري، محمد بن إسماعيل(ت 256هـ/870م)، صحيح البخاري، تحقيق أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، 1998، كتاب المغازي، باب: غزوة أحد، رقم4050، ص770.

(*) يرى الفقهاء أنه يُكره تسمية المدينة بيثرب. (أنظر: أبو زيد، معجم المناهي اللفظية، ط3، دار العاصمة، الرياض، 1996، ص586).

وقيل: اسم موضع مخصوص من أرضها، وقيل: اسم الناحية التي منها مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]. يُرجّح القول الأول لأن العرب يُطلقون اسم الإنسان أو القبيلة على المكان، والأصل فيه مجمع القبيلة، ثم أطلق على مكانها [2]. ذُكر هذا الاسم في موضع واحد من القرآن الكريم [3]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « أُمرت بقرية تأكل القرى، يقولون يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد »[4].

2-2- فضائلها:

وردت أحاديث كثيرة في فضل المدينة، وأهلها، ونباتها، وحيوانها، وجمادها-الجبال والتربة- وغير ذلك، والوعيد لمن أراد بها سوءاً. ونذكر بعضاً منها:

أ- حُرمة المدينة:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: « المدينة حرم من كذا إلى كذا، لا يقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث، من أحدث حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين »[5].

---

(1) المرجاني، عبد الله بن عبد الملك (توفي بعد 770هـ/1369م)، بهجة النفوس والأسرار في تأريخ دار هجرة النبي المختار، تحقيق محمد عبد الوهاب فضل، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002، مج1، ص110، 112.

(2) شرّاب محمد محمد حسن، المدينة النبوية في فجر الإسلام والعصر الراشدي ، دار القلم، دمشق، 1994، مج1، ص26.

(3) الآية 13 من سورة الأحزاب.

(4) مسلم، المصدر السابق، كتاب الحج، باب: المدينة تنفي شرارها، رقم 488، ص 543. المقصود من هذا الحديث أن المدينة لا يستقر فيها ويأنس فيها إلا الطيبون، وأن أهل الباطل والشر لا تستقيم فيها حياتهم ولا يأنسون بها، إما بخروجهم منها أو بفضحهم وكشف فساد قلوبهم وسوء أعمالهم، ولا يختصّ ذلك بزمن معيّن. (أنظر: الرفاعي صالح بن حميد بن سعيد، الأحاديث الواردة في فضائل المدينة جمعا ودراسة ، ط 3، دار الخضيري، المدينة المنورة-المملكة العربية السعودية، 1997، ص263.

(6) البخاري، المصدر السابق، كتاب فضائل المدينة، باب: حرم المدينة، رقم 1867، ص356.

ب- بَركة المدينة:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: « اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي ثمارنا وفي مُدّنا وفي صاعنا، بركة مع بركة »[1].

ج- عصمة المدينة من الطاعون والدّجال:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: « على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال »[2].

د- فضل الصلاة في مسجد المدينة:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام »[3].

---

(1) مسلم، المصدر السابق، كتاب الحج، باب: الترغيب في فضل المدينة ودعاء النبي فيها بالبركة وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها وبيان حدود حرمها، رقم474، ص540.

(2) البخاري، المصدر السابق، كتاب فضائل المدينة، باب: لا يدخل الدجال المدينة، رقم 1880، ص357.

(3) نفس المصدر، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، رقم1190، ص233.

3- أوضاع المدينة في العهدين النبوي والراشدي(*):

3-1- أوضاع المدينة في العهد النبوي:

تُعدّ هذه المرحلة مرحلة بناء الدولة الإسلامية التي كانت المدينة عاصمتها، شهدت خلالها الكثير من الأحداث التي غيّرت مجرى الحياة فيها جذرياً، ممهدةً لمرحلة جديدة في تاريخها الطويل.

أ- سياسيا:

أرسى الرسول صلى الله عليه وسلم دعائم الدولة الإسلامية حين قدومه إلى المدينة، وتمثّلت في: بناء المسجد، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وصحيفة المدينة. وقد مثّل المسجد مقر القيادة العليا للدولة، يتشاور فيه أهل الحلّ والعقد في شؤون المسلمين، ومنه تُعلن السياسة العامة للدولة، وفق ما يُوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم(1).

نظّمت صحيفة المدينة شؤون الدولة الفتية؛ إذ أعلنت وحدة المسلمين وتميّزهم عمن سواهم، وعزّزت التعاون والتكافل بينهم، وبيّنت حقوق اليهود الساكنين في المدينة وواجباتهم، وعلاقة المسلمين بالمشركين، كما أقرت مجموعة من القواعد الأمنية لحماية المجتمع(3).

وتُمثّل هذه الصحيفة بالمفهوم المعاصر وثيقة دستورية، اتّفق على بُنودها ثلاثة أطراف: المُهاجرون، والأنصار، واليهود؛ ضمنت لهم حُقوقهم وحُرّياتهم -بالطّبع في إطار الشريعة الإسلامية وليست حريات مُطلقة-، وفرضت عليهم واجباتٍ يلتزمون بأدائها، فكانت بمثابة عقدٍ اجتماعيّ بالمنظور السياسي.

(*) الموضوع يحتاج إلى مجلّدات للإلمام بكافة جوانبه؛ لذا اقتصرت على ذكر إشارات موجزة عن أهمّ الأحداث.

(1) الصيدلاني سعود بن بنيان بن عواد، الدور التربوي للمسجد النبوي الشريف ، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة-المملكة العربية السعودية، 1997، ص30، 40.

(2) الراوي محمد، المدينة المنورة في عهد الرسالة من حديث القرآن الكريم وبيان السنة المطهرة ، ط2، مكتبة العبيكان، الرياض، 2006، ص161، 163.

(3) بدر عبد الباسط، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، د. د. ن، المدينة المنورة، 1993، ج1، ص152.

أسهمت الغزوات في تقوية الدولة الإسلامية؛ إذ توسّعت حدودها، وانضمت إليها قبائل جديدة، فقويت شوكتها، وفرضت هيمنتها على القوى السياسية المعادية، فيُمكن عدّها مرحلة نمو الكيان السياسي للمسلمين، الذي أُعلن اكتمال بنيانه في الرسائل التي بعثها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والحكام المجاورين، فأصبحت المدينة كيانا سياسيا قويا ومتكاملا، ومركزا لصنع الأحداث والقرارات، وصنع التاريخ نفسه[1].

ب- اجتماعيا:

شكّل المهاجرون(أغلبهم من قريش) والأنصار(الأوس والخزرج من اليمن) العمود الفقري لمجتمع المدينة في العهد النبوي، وقد آخى بينهم الرسول صلى الله عليه وسلم، فامتلأت قلوبهم محبة وأُلفة، كما نجد عناصر أخرى عاشت معهم مثل اليهود والرقيق[2].

تمتّعت المرأة بحقوقها التي سُلبت أيام الجاهلية كالحق في الحياة واختيار الزوج، وساوى الإسلام بينها وبين الرجل في الثواب والعقاب، وصان كرامتها وإنسانيتها، فاندفعت لتُشارك في بناء الدولة الإسلامية؛ فنجد المجاهدة في سبيل الله، والعالمة التي تُفقّه أخواتها المسلمات، والحكيمة التي يُؤخذ برأيها ومشورتها، وربة البيت التي ولدت الأبطال والعظماء، وقد حفِظ لنا التاريخ مآثرهن في الإسلام[3].

عاش المسلمون في هذه الفترة عيشة بسيطة في الطعام واللباس؛ فغذاؤهم الأساسي التمر واللبن وخبز الشعير، أما ملابسهم فأغلبها من الصوف أي ملابس خشنة، فلم يعرفوا الترف والتأنّق في المآكل والمشارب والثياب؛ إذ كانوا أقرب إلى حياة البادية[4].

---

(1) بدر، المرجع السابق، ج1، ص222، 225.

(2) آل الشيخ نورة بنت عبد الملك، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام ، تهامة للنشر، جدة – المملكة العربية السعودية، د. ت. ن، ص40، 65.

(3) الأفغاني سعيد، الإسلام والمرأة، ط3، دار الفكر، بيروت، 1970، ص30، 60.

(4) آل الشيخ، المرجع السابق، ص104، 113.

ج- اقتصاديا:

أهم نشاط اقتصادي مارسه سكان المدينة هو: زراعة النخيل، وساعدهم في ذلك توفر التربة الخصبة، والمياه، والمناخ الملائم لهذا النوع من الزراعة، فكانت هناك أنواع كثيرة من التمور، ويُضاف إليها زراعة الشعير والخضر والفواكه [1]، أما الصناعة فكانت بسيطة اقتصرت على تلبية متطلبات السكان كالحياكة والحدادة والصباغة وصناعة النعال والصياغة التي مارسها اليهود [2]، وفي مجال التجارة أعطى المهاجرون دفعا قويا لهذا النشاط نظرا لخبرتهم الكبيرة فيه، وكانت القوافل التجارية القادمة من الشام إلى اليمن تتوقف في المدينة وتُزود سوقها بمختلف السلع، مثل: الثياب والحلي والعطور والرقيق[3].

د- ثقافيا:

المدينة مهبط الوحي ومنزل الشريعة، علّم فيها النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أمور دينهم ودنياهم، ومنها انتشر نور العلم في الآفاق، فجاءها الناس من كل فجّ للاقتباس من ذلك النور الرباني.

يُمثّل المسجد أول مدرسة للمسلمين، كبيرهم وصغيرهم، رجالهم ونسائهم، فكانوا يتجمعون حلقات حلقات يتعلمون القرآن الكريم، ويسمعون حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى جانب المسجد هناك الكتاتيب التي خُصصت لتعليم الصغار القراءة والكتابة. إذن، ارتكز التعليم في هذه الفترة على تعلّم القرآن الكريم والسنة النبوية، وفهم ما جاء فيهما، والعمل على تطبيق ذلك في حياتهم اليومية[4].

---

(1) آل الشيخ، المرجع السابق، ص119، 127.

(2) شرّاب، المرجع السابق، مج1، ص335، 346.

(3) بدر، المرجع السابق، ج1، ص235، 238.

(4) الصيدلاني، المرجع السابق، ص41-42.

هـ- عمرانيا:

أدّى قدوم المهاجرين من مكة إلى تطور عمران المدينة نتيجة زيادة عدد سكانها، ونقطة التغيير في بنيتها العمرانية حين خطّ النبي صلى الله عليه وسلم المسجد، فطفق المهاجرون يبنون منازلهم حوله، فظهرت كتلة معمارية متراصة تتجاور فيها المساكن وتتلاصق مُحيطة بالمسجد، وأخذت تتوسع مع مرور الزمن لتصبح تلك المنطقة قلب المدينة ومركزها[1].

3-2- أوضاع المدينة في العهد الراشدي:

أ- سياسيا:

استحدث المسلمون عقب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم نظام الخلافة لتسيير شؤونهم الدينية والدنيوية، فاختاروا خيرة الصحابة لتولي هذا المنصب الهام، فأُستخلِف أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين وأخيرا علي أبو الحَسَنَيْن رضوان الله عليهم.

عرفت المدينة في هذه الفترة حدثين خطيرين غيّرا مجرى تاريخها، وفتحا الباب لعهد جديد؛ أولها استشهاد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ إذ حاصره مجموعة من سكان مصر والكوفة والبصرة في منزله ثم قتلوه؛ ليُفتح باب الفتنة أمام المسلمين[2]. فاهتزّت المدينة لهذا الحدث الجسيم الذي أحدث شرخاً في وحدة الدولة.

أما الحدث الثاني هو نقل الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه عاصمة الدولة الإسلامية إلى مدينة الكوفة عام 36هـ/657م[3]؛ وبذلك خرجت الخلافة من المدينة ولم تعد إليها نهائيا.

---

(1) بدر، المرجع السابق، ج1، ص248، 251.

(2) ابن خياط، خليفة (ت 240هـ/854م)، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ص98، 105.

(3) المصدر نفسه، ص108-109.

ب- اجتماعيا:

إن مجتمع المدينة في هذه الفترة امتداد لمجتمع العهد النبوي، وقد عرف بعض التّغيرات في عناصره البشرية نتيجة زيادة عدد الرقيق عقب توّسع حركات الفتوحات وامتدادها إلى بلاد المغرب شرقا وبلاد فارس غربا، فمنهم الفرس والبربر والأحباش[1].

ج- اقتصاديا:

أصاب المدينة في هذه الفترة أزمات اقتصادية حادّة أشدّها "عام الرمادة" في سنة 18هـ/639م؛ إذ حلّ القحط والجفاف لمدة تسعة أشهر، فأصاب المسلمين جوع شديد، ونفد ما في بيت المال من الأطعمة والأموال، وشارفوا على الهلاك[2].

تأثرت الحركة الاقتصادية خلال عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه بانتقال عاصمة الخلافة إلى الكوفة؛ إذ تراجع عدد سكان المدينة بمشاركتهم في جيش الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ونقصت القوافل القادمة إليها، وانتقلت واردات بيت المال إلى المقر الجديد للخليفة، فأصبح للزراعة دور كبير في إمداد السكان بحاجاتهم الأساسية[3].

د- ثقافيا:

ازدهرت الحركة الثقافية في هذه الفترة؛ إذ انتشرت الكتاتيب في المدينة، وزاد عدد طلابها ووُضع برنامج دراسي خاص بها(القرآن والسُّنة، والقراءة والكتابة، والفرائض)، كما وفد طلبة العلم من مختلف الأمصار للتعلّم على يدي الصحابة في المسجد النبوي، وأُستحدث التاريخ الهجري، وأهم حدث حينها جمع القرآن الكريم في مصحف واحد[4].

---

(1) آل الشيخ، المرجع السابق، ص63.

(2) شرّاب، المرجع السابق، مج2، ص29، 34.

(3) بدر، المرجع السابق، ج1، ص317.

(4) الأنصاري ناجي محمد حسن عبد القادر، التعليم في المدينة المنورة من العام الهجري الأول إلى 1412هـ، دار المنار، القاهرة، 1993، ص143، 157.

هـ- عمرانيا:

توّسع عمران المدينة نتيجة زيادة عدد السكان ووفرة الأموال التي أدرّتها الفتوحات في زمن الخليفتين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما، فاتخذ المسلمون البيوت الواسعة، وأحاطوها بالبساتين، واتّصل وسط المدينة بأطرافها[1].

وأبرز إنجاز عمراني في هذه الفترة توسعة المسجد النبوي عام 29هـ/650م، وُيشير هذا الحدث إلى تطور فن العمارة لدى المسلمين؛ إذ أُعيد بناؤه بالحجارة المنقوشة والجَصّ (*) بعد أن كان من الطين، واُستعمل الخشب في سقفه بدلاً من جريد النخل، وتحمل السقف أعمدة حجرية مُدعّمة بالرصاص والحديد، وتم تحصيب أرضيته وتبييضها[2].

(1) بدر، المرجع السابق، ج1، ص290.

(*) يُسمّى في بلادنا " الجِبْس".

(2) السمهودي، المصدر السابق، ج2، ص248، 258.

الفصل الأول: حياة مروان بن الحكم

يُعدّ مروان بن الحكم شخصية بارزةً في تاريخ صدر الإسلام، كان له دورٌ كبيرٌ في أهم أحداثه، وتصدّر واجهة الأحداث السياسية في النصف الثاني من القرن الأول الهجري عقب مبايعته بالخلافة سنة64هـ/684م.

واختلف المؤرخون القدماء والمحدثون في الحكم عليه بين المدح والذمّ، وأحيانا اللّعن والتّكفير، وكلّ فئةٍ منهم تحشد كمًّا معتبراً من الروايات التاريخية –الموثوقة منها والمكذوبة– التي تُؤيّد رأيها، ويغلب على تفسيرها لها النّزعة المذهبية؛ مما يُصعّب استخلاص صورة واضحة عن شخصيته.

ودراسة حياة مروان بن الحكم عبر مراحلها المختلفة، وتتبّع تفاصيلها من بدايتها إلى نهايتها يُساعد في فهم الأحداث التي كان طرفاً فيها، وتعليل مواقفه منها، ومن ثمّ إصدار أحكام موضوعية عنه بعيداً عن التعصّب المذهبي.

1- نسبه ومولده ونشأته:

1-1- نسبه:

مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي [1]، فهو قرشي أموي، ويجتمع مع الرسول صلى الله عليه وسلم في عبد مناف الذي ولد عبد شمس وهاشماً، والأخير ولد عبد المطلب جدّ الرسول صلى الله عليه وسلم لأبيه [2]. ومروان ابن عمّ الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، لأن عفان من ولد أبي العاص بن أمية[3].

إنّ انتماء مروان بن الحكم إلى الأسرة الأموية التي حظيت بمكانة محترمة في مكة في الجاهلية والإسلام، واُشتهرت بالثراء نتيجة ممارستها التجارة؛ التي مكّنتها من ربط صِلات مع عدّة مناطق مثل: الشام واليمن، كلّ هذا سيُؤثّر في تكوين شخصيته، وسيكون عاملاً مؤثّرا في تقلّده مناصب عليا في الدولة الإسلامية وعلى رأسها الخلافة.

يُكنّى بأبي عبد الملك، وأبي الحكم، وأبي القاسم[4]، وأبي عبد الله[5]. لقبه المؤتمن بالله[6].

---

(1) ابن سعد، محمد(ت 230هـ/844م)، كتاب الطبقات الكبير ، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001، ج7، ص39.

(2) الزبيري، المصعب بن عبد الله (ت 236هـ/850م)، نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1982، ج1، ص14، 17.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص100-101.

(4) ابن عساكر، علي بن الحسن (ت 571هـ/1175م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، 1997، ج57، ص224.

(5) الصفدي، خليل بن أيبك(764هـ/1364م)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000، ج25، ص303.

(6) ابن الفوطي، عبد الرزاق بن أحمد(ت 723هـ/1323م)، مجمع الآداب في معجم الألقاب ، تحقيق محمد الكاظم، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، 1996، مج5، ص575.

1-2- مولده:

اختلف المؤرخون في سنة مولد مروان بن الحكم، وحصروها في الفترة ما بين السنة الثانية والسنة الخامسة للهجرة [1]، ويُرجّح أنه وُلد في العام الثاني من الهجرة، لأن معظم المؤرخين والباحثين اتفقوا على هذا التاريخ، ودلّت الروايات أن مروان كان عمره ثماني سنوات يوم مات الرسول صلى الله عليه وسلم[2].

وما يُؤيّد هذا الرأي، أن أصحاب السير والتراجم ذكروا أن مروان أقلّ من عبد الله بن الزبير رضي الله عنه بأربعة أشهر [3]، وإذا علمنا أن هذا الأخير وُلد في أواخر العام الأول للهجرة[4]؛ فيكون مولد مروان في السنة الثانية للهجرة. ويُضاف إلى ما سبق ذكره، أن مروان من أقران المسور بن مخرمة رضي الله عنه [5]، وقد وُلد هذا الأخير في السنة الثانية للهجرة[6]، وبذلك يكون مولد مروان في هذه السنة.

---

(1) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (ت 463هـ/1070م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1992، مج3، ص1387؛ المزّي، يوسف بن عبد الرحمن (ت 742هـ/1341م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992، مج 27، ص388.

(2) الدهاس فواز علي بن جنيدب، مروان بن الحكم مؤسس الفرع المرواني في الدولة الأموية ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2004، ص9.

(3) المزي، المصدر السابق، مج 27، ص388. عبد الله بن الزبير بن العوام، أول مولود للمهاجرين بالمدينة، بُويع بالخلافة عام64هـ/683م، مات عام73هـ/692م. (أنظر، ابن عبد البر، المصدر السابق، مج 3، ص905، 910).

(4) ابن حجر، أحمد بن علي (ت 852هـ/1449م)، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ج4، ص78، 80.

(5) ابن عساكر، المصدر السابق، ج 28، ص146. المسور بن مخرمة بن نوفل، صحابي، كان فقيها من أهل الفضل والدين، مات عام64هـ/683م. (أنظر: ابن عبد البر، المصدر السابق، مج3، ص1399-1400).

(6) ابن عبد البر، المصدر السابق، مج3، ص1399.

والده الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي، من أشراف قريش، أسلم عام فتح مكة 8هـ/628م، وكان قبل ذلك من أكبر أعداء الإسلام، توفي في المدينة عام 32هـ/652م[1]. أمه أم عثمان آمنة بنت علقمة بن صفوان الكناني، وأمها الصعبة بنت أبي طلحة بن عبد العزى القرشي[2].

تباينت الآراء حول مكان مولده، فقيل: وُلد بمكة في دار أبي العاص التي يقال لها: دار أم أبي الحكم، وقيل وُلد بالطائف[3].

1-3- نشأته:

المعلومات عن نشأة مروان شحيحة، وأغلب ما ذكرته الروايات أنه خرج إلى الطائف مع والده وهو طفل-لم يتجاوز ثمان سنين-، وبقي هناك حتى خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ إذ رجع مع والده إلى المدينة، وعدّه عثمان رضي الله عنه مثل ولده؛ فكان يعطف عليه ويُكرمه[5]. مما سبق، فإن مروان قضى طفولته وبداية شبابه في الطائف، ثم أكمل مرحلة الشباب في المدينة في كنف ابن عمه الخليفة عثمان رضي الله عنه.

---

(1) ابن حجر، المصدر السابق، ج2، ص91-92.

(2) ابن سعد، المصدر السابق، ج7، ص39.

(3) ابن خياط، المصدر السابق، ص 163-164. الطائف بلاد قبيلة ثقيف، تقع جنوب مكة بحوالي 85كلم، وتشتهر بزراعة الفواكه مثل العنب. (أنظر: الحموي، المصدر السابق، مج 4، ص8-9). ذكر النويري أن مروان وُلد بالطُّفّ-في الكوفة-، رُبّما يكون انفرد بهذا القول؛ لأنه حسب اطّلاعي لم أجد من ذكر ذلك من أصحاب السير والتراجم المتقدمين منهم والمتأخرين، بل أجمعوا على أنه وُلد بمكة أو الطائف، لذا يُحتمل أنه خطأ من النساخ؛ عوض أن يكتبوا الطائف كتبوا الطف بإسقاط الألف والهمزة، لأن النويري ذكر أن مروان سكن مع والده بالطائف بعدها مباشرة: ((وقيل أنه وُلد بالطف))، والأرجح بالطائف حسب سياق كلامه. (أنظر: النويري، أحمد بن عبد الوهاب(733هـ/1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ج21، ص47).

(5) ابن عبد البر، المصدر السابق، مج3، ص1387.

2- صفاته ومكانته:

2-1- صفاته:

أ- الصفات الخَلْقيّة:

كان مروان بن الحكم أصهب، أزرق العينين [1]، أحمر الوجه، قصير القامة، دقيق العنق، كبير الرأس واللحية، ناحل الجسم، دقيق الساقين[2]، أصلع[3].

ب- الصفات الخُلُقية:

اتّصف بالشهامة، والشجاعة، والحِنكة، والدهاء [4]، وكان قائدا عسكريا ورجل دولة من الطراز الأول، يتمتع بمهارة فائقة وحسم للأمور [5]. وقد عُدّ من بين أحزم الخلفاء الأمويين والعباسيين[6]، نظراً لسرعته في معالجة المشاكل السياسية التي تعترضه دون تردّد أو هيبة، مُستعملاً القوة في ذلك أحياناً، حتى قيل عنه أنه يُواجه الأمور الصِّعاب دون رهبة، ويُنفّذ الأمر دون رويّة[7].

---

(1) المسعودي، علي بن الحسين (ت 346هـ/957م)، التنبيه والإشراف، تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، 1938، ص269.

(2) الصفدي، المصدر السابق، ج25، ص305،

(3) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت255هـ/868م)، البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، 1990، ص320.

(4) الذهبي، محمد بن أحمد (ت 748هـ/1374م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982، ج3، ص477.

(5) بوزورث كليفورد، مروان بن الحكم، في موجز دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، ج30، ص9295.

(6) ابن حزم، علي بن أحمد (ت 456هـ/1063م)، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، ط 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987، ج2، ص74.

(7) المسعودي، المصدر السابق، ص269.

عُرف مروان بن الحكم بتفقُّهِه في الدين، والشدّة في حدود الله، وكثرة قراءة القرآن [1]، والصدق في الحديث [2]، وقد روى عنه الحديث النبوي سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه وهو أكبر قدراً وسنًّا منه لأنه صحابي [3]. كما أن تتلمذه على يد ابن عمه عثمان بن عفان رضي الله عنه، واحتكاكه بالصحابة والتّابعين، أكسبه الصدق والورع والتُّقى[4].

2-2- مكانته:

يُعدّ مروان بن الحكم من سادات قريش وفضلائها [5]، ووصفه عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما بأنه سيّدٌ من شباب قريش [6]، وهذه شهادة يعتز بها مروان من هذين الصحابيين الجليلين، وكان الخليفة عمر رضي الله عنه يُفضّله على أقرانه من شباب قريش، ويبعثه في قضاء بعض حوائجه[7].

---

(1) أبو زُرعة، عبد الرحمن بن عمرو (ت281هـ/894م)، تاريخ أبي زرعة الدمشقي، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ص300.

(2) ابن عبد البر، المصدر السابق، مج3، ص1390.

(3) الذهبي، المصدر السابق، ج 3، ص476. سهل بن سعد الساعدي، آخر الصحابة وفاةً في المدينة وذلك عام91هـ/710م. (أنظر: ابن عبد البر، المصدر السابق، مج 2، ص664-665). روى البخاري عن سهل بن سعد الساعدي أنّه قال: رأيت مروان بن الحكم جالساً في المسجد، فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَمْلى عليه: ﴿ لَا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. قال: فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُمِلُّها عليّ، فقال: يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان رجلاً أعمى، فأنزل الله تبارك وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم، وفخذه على فخذي، فَثَقُلتْ عليَّ حتى خفت أن تَرُضَّ فخذي، ثمّ سُرِّي عنه، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾. (أنظر: البخاري، المصدر السابق، كتاب الجهاد والسير، باب: قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ﴾، رقم2832، ص546).

(4) الدهاس، المرجع السابق، ص18.

(5) ابن كثير، إسماعيل بن عمر(ت 774هـ/1373م)، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الجيزة- مصر، 1998، ج11، ص706.

(6) ابن عساكر، المصدر السابق، ج57، ص238.

(7) البلاذري، أحمد بن يحي (ت 279هـ/892م)، جُمل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت، 1996، ج6، ص261.

قال عنه أبو بكر بن العربي [1]:((مروان رجل عدل من كبار الأمة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين. أما الصحابة فإن سهل بن سعد الساعدي روى عنه. وأما التابعون فأصحابه في السن، وإن [كان] جازهم باسم الصحبة في أحد القولين وأما فقهاء الأمصار فكلهم على تعظيمه، واعتبار [خلافه]، والتلفت إلى فتواه، والانقياد إلى روايته. وأما السفهاء من المؤرخين والأدباء فيقولون على أقدارهم))[2].

يُشير ابن العربي في قوله السابق إلى اختلاف الآراء في الحكم على شخصية مروان بن الحكم إلى فئتين: فئة الصحابة والتّابعين والعلماء والفقهاء، الذين يشهدون له بالصّدق والثِّقة في ما يرويه من أحاديث عن الصحابة، وتفقّهه في الدين وقُبول فتاواه واجتهاداته واعتدادهم بها في المسائل الفقهية الخلافية، أما فئة المؤرّخين والأدباء–البعض منهم– تطعن في أخلاقه، وتُشكّك في تقواه وورعه.

وأُشتهر مروان بالبلاغة في رسائله، والفصاحة في خُطبه [3]، ويعود ذلك إلى خبرته في ميدان الكتابة منذ أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه حين كان كاتبه، وله أيضاً مجموعة من الأبيات الشعرية[4].

---

(1) محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، من كبار علماء المالكية، أندلسي المنشأ، تولّى منصب القضاء في مدينة إشبيلية، ألّف عدّة كُتبٍ في الفقه والأصول والحديث والتفسير والأدب والتاريخ، تُوفي بمراكش عام 543هـ/1148م. (أنظر: الذهبي، المصدر السابق، ج20، ص197، 204).

(2) العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي، تحقيق مصطفى أبو المعاطي، دار الغد الجديد، القاهرة، 2008، ص90–91.

(3) الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ت 429هـ/1038م)، تحفة الوزراء، تحقيق حبيب علي الراوي وابتسام مرهون الصفار، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2006، ص114.

(4) ابن عساكر، المصدر السابق، ج57، ص274–275.

3- زوجاته وأولاده:

3-1- زوجاته:

تزوّج مروان بن الحكم ستّ نساء من أشراف العرب(*)؛ وهنّ:

* عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص الأموية –من بنات عمّه– * ليلى بنت زبّان بن الأصبغ الكلبية، وكسب مروان بهذه المصاهرة قبيلة كلب إلى صفه؛ فساندته ضد القبائل القيسية للوصول إلى الخلافة–كما سأبيّنه لاحقا– * زينب بنت عمر بن أبي سلمة المخزومية جدّتها أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها [1] * قطية بنت بشر بن عامر ملاعب الأسنّة –جدّها من سادات العرب وفرسانها– * أم أبان بنت الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه [2] * أم خالد فاختة بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة –جدّها من سادات قريش وأشرافها–[3].

(*) ليس المقصود أنه جمع بينهنّ في نفس الوقت تحت عِصمته.

(1) هند بنت أبي أمية، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، آخر أمهات المؤمنين وفاةً، كانت عالمة فقيهة، توفيت عام62هـ/681م. (أنظر: ابن حجر، المصدر السابق، ج8، ص404، 407). ذكرت بعض الروايات أن الرسول صلى الله عليه وسلم لعن مروان بن الحكم ووالده، ووصفه بالحيّة، وبالوزغ ابن الوزغ، فزواجه من حفيدة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها يُفنّد تلك الروايات؛ إذ كيف لها أن تُزوّج حفيدتها من رجل ملعون على لسان النبي صلى الله عليه وسلم؟ على النقيض من ذلك، نراها تنصحه وتُوجّهه لما فيه خيره في الدنيا والآخرة؛ إذ جاء في قصة زواج مروان من زينب إشارة لطيفة؛ فقد خطبها من أم سلمة رضي الله عنها، فرفضت أن تُزوّجه حفيدتها لأنه حينها كان والياً على المدينة، وحين عُزل قبلت، وبيّنت له سبب رفضها في البداية؛ إذ ذكرت له إن خير أيامه حين لا يكون أميراً، وهذا من ورعها وفقهها، لأن المسؤولية أمر عظيم، ووزرها كبير، ومن جهة أخرى نستشفّ تقديرها لمروان ومعرفتها مكانته وورعه، فنصحته ورضيت بمصاهرته. (أنظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج57، ص251).

(2) الزبيري، المصدر السابق، ج5، ص161–162.

(3) ابن سعد، المصدر السابق، ج7، ص46.

3-2- أولاده:

ولد مروان بن الحكم ثلاثة عشر رجلاً وأربع نساء[1]، واُشتهر منهم:

أ- عبد الملك:

أكبر أولاد مروان وبه يُكنّى، يُعدّ المؤسس الثاني للخلافة الأموية، بُويع بعد وفاة والده عام65هـ/685م، استطاع إعادة الوحدة للدولة بعد أن قتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وضمّ الحجاز والعراق إلى سلطته، واتّسعت الدلوة الإسلامية في زمنه شرقا وغربا، وُلد بالمدينة عام26هـ/646م وتعلّم على يدي الصحابة، له الكثير من الإنجازات أبرزها: تعريب الدواوين، وسكّ النقود الإسلامية، تولّى أبناؤه الأربعة الخلافة من بعده: الوليد وسليمان ويزيد وهشام، توفي بدمشق عام86هـ/705م[2].

ب- عبد العزيز:

ثاني أبناء مروان، والي مصر في خلافة أبيه [*] ثم أخيه عبد الملك، وهو وليّ عهده، كان جواداً كريماً، والد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز،توفي بمصر عام85هـ/704م[3].

---

(1) ابن سعد، المصدر السابق، ج 7، ص40. (وهم: عبد الملك ومعاوية وعبد العزيز وبشر وعبد الرحمن وأبان وعبيد الله وعبد الله وأيوب وعثمان وداود وعمرو ومحمد، وأم عمرو، وأم عثمان، ورملة، وأم عمرو-بنت أخرى لها نفس كُنية أختها من الأب).

(2) أنظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج37، ص110، 167.

(*) ضمّ مروان بن الحكم مصر إلى سلطته عام 65هـ/685م وولاّها ابنه عبد العزيز، فأوصاه قائلاً: ((... أوصيك بتقوى الله في سرّ أمرك وعلانيتك فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأوصيك أن لا تجعل لداعي الله عليك سبيلا فإن المؤذنين يدعون إلى فريضة افترضها الله عليك...وأوصيك أن لا تعد الناس موعدا إلا أنفذته وإن حُملت على الأسنّة وأوصيك أن لا تعجل في شيء من الحكم حتى تستشير فإن الله عز وجل لو أغنى أحدا عن ذلك لأغنى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن ذلك بالوحي الذي ياتيه...)). تُبرِز هذه الوصية ملامح شخصية مروان من ورع وشهامة وحنكة سياسية، نقيض ما يتوهمه البعض من أنه طاغية ملعون. (أنظر: الكندي، محمد بن يوسف (ت 350هـ/961م)، الولاة والقضاة، تحقيق رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908، ص47-48).

(3) أنظر: ابن كثير، المصدر السابق، ج12، ص363، 370.

ج- بِشر:

والي البصرة والكوفة في خلافة أخيه عبد الملك، اُشتهِر بالجود والكرم، توفي بالبصرة عام74هـ/693م[1].

د- محمد:

والي الموصل والجزيرة[2] وأرمينية وأذربيجان في خلافة أخيه عبد الملك وابنه الوليد، كان فارساً شجاعاً شديد البأس، قضى على الفتن التي ظهرت بالعراق، وغزا الروم عدّة مرات وهزمهم، ابنه مروان آخر خلفاء بني أمية، توفي بأرمينية عام101هـ/720م[3].

(1) أنظر: البلاذري، المصدر السابق، ج6، ص311، 331.

(2) إقليم في شمال العراق بين نهري دجلة والفرات. (أنظر: الحموي، المصدر السابق، مج2، ص134، 136).

(3) أنظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج55، ص237، 242.

4- أعماله ووفاته:

4-1- أعماله:

أ- في العهد الراشدي:

* المشاركة في فتح بلاد المغرب: شارك مروان بن الحكم في جيش عبد الله بن سعد بن أبي سرح رضي الله عنه [1] لفتح بلاد المغرب عام 27هـ/648م، وفيه عددٌ كبير من الصحابة، فانتصروا وغنموا أموالاً كثيرة[2]، وشارك مروان في قتل قائد البيزنطيين[3].

* ولايته على البحرين: ولاّه عليها الخليفة عثمان رضي الله عنه[4].

* كاتب الخليفة عثمان رضي الله عنه: اتّخذه الخليفة كاتباً له، وأمين سرّه، وأعطاه خاتمه[5]، وأحياناً يستخلفه على المدينة إذا خرج إلى الحجّ[6].

---

(1) عبد الله بن سعد بن أبي سرح، صحابي، كاتب النبي صلى الله عليه وسلم، والي مصر في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فتح إفريقية، وهو قائد معركة "ذات الصواري" التي هزم فيها الأسطول الإسلامي الأسطول البيزنطي هزيمة نكراء، توفي عام36هـ/657م. (أنظر: ابن عبد البر، المصدر السابق، مج3، ص918، 920).

(2) ابن عذارى، أحمد بن محمد (توفي بعد 713هـ/1313م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال و ج. س. كولان، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج1، ص8، 14.

(3) المالكي، عبد الله بن محمد (توفي بعد 460هـ/1077م)، رياض النفوس في طبقات علماء إفريقية وزهادهم ونسّاكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، تحقيق بشير البكوش، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ج1، ص19.

(4) ابن خياط، المصدر السابق، ص107. لم أعثر في ما تيسر لي من مصادر على تاريخ توليته.

(5) الجهشياري، محمد بن عبدوس (331هـ/941م)، الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، القاهرة، 1938، ص 21-22. أُتّهِم مروان بأنه السبب الرئيسي للفتنة التي حصلت في خلافة عثمان رضي الله عنه والتي أدت إلى استشهاده؛ إذ زوّر رسائل على لسانه عليها خاتم الخليفة حرّضت على الفتنة وأشعلتها، وقد فنّد الباحثون هذه التهمة بالأدلة والبراهين، وأكّدوا أن الأمر لا يعدو كونه مكيدة دبّرها الخارجون على طاعة الخليفة لتكون مبرّرا لأفعالهم. (أنظر مثلا: كبير علال خالد، بحوث حول الخلافة والفتنة الكبرى، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2009، ص80، 94).

(6) ابن عساكر، المصدر السابق، ج57، ص241.

ب- في العهد الأموي:

* ولايته على المدينة: عيّنه الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه [1] والياً على المدينة مرّتين: الأولى من عام 41هـ-49هـ/661-669م، والثانية من عام 54-57هـ/674-677م، وأحياناً يُضيف إليه مكة والطائف [2]، وبذلك يكون واليًا على إقليم الحجاز. قام بالعديد من الإنجازات خلال هذه الفترة كان لها الأثر الكبير في حياة السكان مثلما سأُبيّنه في ثنايا فصول هذا البحث.

* مبايعته بالخلافة: بُويع معاوية بن يزيد [3] بالخلافة عام 64هـ/684م، لكن لم تطل أيامه فيها؛ إذ توفي بعد ذلك بأربعين يوماً، ورفض أن يعهد لأحد بالخلافة، وترك الأمر شورى بين المسلمين[4]، حينئذٍ بايع سكان الحجاز والعراق ومصر وفئة من أهل الشام [*] عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، فقام بإخراج بني أمية وعلى رأسهم مروان بن الحكم من المدينة، فساروا إلى أبناء عمّهم بالشام[5].

---

(1) معاوية بن أبي سفيان، صحابي، مؤسس الخلافة الأموية، أحد كُتّاب الوحي، والي الشام في خلافة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما، بُويع بالخلافة عام 41هـ/661م، اُشتهر بالدهاء والحِلم وحُسن السياسة، توفي عام60هـ/680م. (أنظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج59، ص55، 241).

(2) ابن خياط، المصدر السابق، ص124، 138.

(3) معاوية بن يزيد بن معاوية، ثالث الخلفاء الأمويين، كان رجلا صالحا، توفي عام 64هـ/683م. (أنظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج59، ص296، 305).

(4) الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ/923م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1971، ج5، ص503.

(*) بايع أهل دمشق وحمص وقنسرين ابن الزبير رضي الله عنه، ورفض أهل الأردن وفلسطين الأمر، وطالبوا بخليفة من الأسرة الأموية.

(5) المصدر نفسه، ص529، 531.

لم يكن يخطر في بال مروان وهو يشدّ الرحال إلى الشام أن هذه الرحلة ستكون بداية رحلة جديدة في تأسيس ملك للمروانيين يتولّى خلالها خلافة المسلمين؛ إذ عاش فترة طويلة من عمره في المدينة، ولم يبد رغبة في مغادرتها نحو الشام مقر خلافة بني عمومته، ولم يُخطّط للوصول إلى الحكم[1].

رأى مروان أن معظم الأمصار بايعت ابن الزبير رضي الله عنه، فعزم على التوجه إلى الحجاز للدخول في طاعته، لكن عبيد الله بن زياد [2] ثبّطه، وأشار عليه بأنه هو الأصلح للخلافة لأنه شيخ بني أمية، فاقتنع مروان بكلامه، ثم توجّه إلى الجابية [3]، أين اجتمع أفراد الأسرة الأموية والموالين لهم، فتشاوروا في أمر الخلافة مدة أربعين يوما، واتفقوا في الأخير على مبايعة مروان خليفة للمسلمين، وتمّ ذلك في ذي القعدة عام64هـ/684م[4].

كان مؤتمر الجابية مؤتمرا تاريخيا، ويُمكن أن يوصف –بلغة السياسة الحديثة– بأنه كان مؤتمرا دستوريا؛ فقد حضره ممثلو الرأي العام في الأمة، ليتشاوروا بحرية، وليصلوا إلى قرار ينهون به الأزمة القائمة ويحسمون الخلاف، ويحفظون كيان الأمة، ويصونون مستقبلها، وتمت الدعوة إليه بالرّضا من عناصر الأمة[5].

---

(1) الدهاس، المرجع السابق، ص65. ما يُؤيّد هذا الرأي أن مروان عرض الخلافة على عبد الله بن عمر رضي الله عنه حين توفي الخليفة معاوية بن يزيد. (أنظر: ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد (ت 281هـ/894م)، الإشراف في منازل الأشراف، تحقيق نجم عبد الرحمان خلف، مكتبة الرشد، الرياض، 1990، ص105–106).

(2) عبيد الله بن زياد، والي البصرة في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، ثم جمع له الخليفة يزيد بن معاوية البصرة والكوفة، وهو المسؤول عن قتل الحسين بن علي رضي الله عنه، مات عام 67هـ/686م. (أنظر: ابن كثير، المصدر السابق، ج12، ص49، 58).

(3) الجابية قرية في جنوب دمشق. أنظر: الحموي، المصدر السابق، مج2، ص91.

(4) الطبري، المصدر السابق، ج5، ص530، 537.

(5) الريس ضياء الدين، عبد الملك بن مروان موحد الدولة العربية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، د. ت. ن، ص86.

نستطيع أن نلمح صورة لهذه التجربة الشورية الفريدة حين نتصور أن أسماء المرشحين الآخرين للخلافة غير بني أمية قد عُرضت للبحث، لكن رجحت كفة مروان لعوامل عديدة[1]، منها: أنه رجل كبير السن محنّك، شيخ بني أمية وابن عم الخليفة عثمان رضي الله عنه، يصلح للقيادة في الحرب والسياسة لشجاعته ودهائه، وقرين ابن الزبير رضي الله عنه[2].

عسكر أنصار ابن الزبير رضي الله عنه في مرج راهط [3]، وكان يقودهم الضحاك بن قيس رضي الله عنه [4]، فسار إليهم مروان بجيشه من الأمويين والقبائل اليمنية وعلى رأسها قبيلة كلب [*]، وجرت معركة بين الطرفين، استمرت عشرين يوما، وأسفرت عن انتصار مروان، وسيطرته على الشام[5].

إن أُولى النتائج التي سجّلتها هذه المعركة، هي استمرارية النظام الأموي وتجاوزه للتحدّيات الصعبة، واستعادته توازنه [6]، وفي نفس الوقت نجاح مبدأ توارث الحكم، فأصبح من مصلحة الأمة في واقع الأمر أن يتولى أمرها شخصيات قوية تستطيع بقوتها وحزمها أن تجمع شتات هذه الأمة في إطار واحد، طابعه العمل لتحقيق أكبر قدر ممكن من الخير المشترك، ومن هذه الشخصيات التي أخرجها لنا هذا النظام عبد الملك وأبناؤه[7].

---

(1) حمدي شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، 2001، ص296.

(2) الريس، المرجع السابق، ص53.

(3) مرج راهط، موضع في غوطة دمشق من ناحية الشرق. (أنظر: الحموي، المصدر السابق، مج3، ص21).

(4) الضحاك بن قيس، صحابي، صاحب شرطة الخليفة معاوية رضي الله عنه، ثم والي الكوفة، مات عام64هـ/684م. (أنظر: ابن عبد البر، المصدر السابق، مج2، ص744، 746).

(*) يبدو أن مصاهرة مروان لهذه القبيلة –زوجته ليلى بنت زبّان الكلبية–، جعلتها تقف إلى صفّه وتُحارب معه.

(5) الطبري، المصدر السابق، ج5، ص537–538.

(6) بيضون إبراهيم، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري ، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص202.

(7) حمدي، المرجع السابق، ص297. قد يظنّ البعض أن مروان متعطّش للدماء من خلال ما جرى في =

عقب معركة مرج راهط اتّجه مروان إلى مصر، وتمكّن من هزيمة أنصار ابن الزبير رضي الله عنه، فبايعه أهلها، وبقي فيها مدّة شهرين نظّم خلالها أمورها الإدارية والمالية، بعد ذلك عيّن ابنه عبد العزيز والياً عليها، ثم عاد إلى دمشق في رجب عام65هـ/685م[1].

استطاع مروان بدهائه وحنكته السياسية وجهوده المتوالية الخروج بأزمة الحكم الأموي من حالة الضياع إلى مركز الصدارة والقيادة، وهذا لم يكن حدثا عاديا محدود التأثير، وإنما هو عودة جديدة للحكم بعد تثبيته في الشام ومصر من جهة، وتجريد السفيانيين من الخلافة وتحويلها إلى المروانيين من جهة ثانية[2].

دامت خلافة مروان تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً؛ إذ تُوفي في أوائل شهر رمضان عام65هـ/685م، ودُفن بدمشق[3]، وقد عهد بالخلافة إلى ابنيه عبد الملك وعبد العزيز[4].

= معركة مرج راهط، لكن الروايات التاريخية تُفنّد ذلك؛ إذ أن مروان بكى بعد هذه المعركة، وتحسّر حين أتاه أحد الجنود برأس الضحاك بن قيس رضي الله عنه، وأمر جنوده ألاّ يُطاردوا الفارّين من جيش الضحاك، ونَدِم على دخوله في نزاع أُزهقت فيه أرواح المسلمين في أمور دنيوية. (أنظر: الطبري، المصدر السابق، ج 5، ص538؛ ابن عساكر، المصدر السابق، ج24، ص296؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج11، ص676).

(1) الكندي، المصدر السابق، ص42، 48.

(2) الصلابي علي محمد، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ط2، دار المعرفة، بيروت، 2008، مج1، ص583.

(3) ابن خياط، المصدر السابق، ص163.

(4) الطبري، المصدر السابق، ج 5، ص 610. يبدو لي أنّ خلافة مروان –على قِصَرها– تُجسّد شخصيته وصفاته التي تحدّثت عنها سابقاً؛ فقد عاش بعيدا عن بلاد الشام مدّة ستين سنة، أي لم يمتلك فيها قاعدة شعبية، ولم يكن معروفاً بين سكانها، لكنه تمكّن من بسط سيطرته عليها، مُستخدماً دهاءه وتجربته الطويلة في الإدارة والسياسة منذ زمن الخليفة عثمان رضي الله عنه حين كان كاتبه، وولايته على المدينة زمن الخليفة معاوية رضي الله عنه، ونلمس شجاعته في المعارك التي انتصر فيها على ابن الزبير رضي الله عنه، وانتزاعه الشام ومصر منه في ظرف زمني قصير–بضعة أشهر–، وأخيراً نظرته الاستشرافية بعقده البيعة لولديه حتى لا تقع الخلافة الأموية في نفس المأزق الذي عرفته عقب وفاة الخليفة معاوية بن يزيد، وانقسام أهل الشام إلى أحزاب متصارعة، ولقطع الطريق أمام من يريد الخلافة من خارج الأسرة الأموية.

4-2- وفاته:

تُوفي مروان بن الحكم في الثالث من شهر رمضان عام 65هـ/685م، ودُفن بدمشق، وكان عمره ثلاثة وستين سنة[1]. لكن اختلف المؤرخون في سبب وفاته على ثلاث روايات:

* الرواية الأولى: قتلته زوجته أم خالد فاختة بن أبي هاشم[2].

* الرواية الثانية: مات موتاً طبيعياً[3].

* الرواية الثالثة: مات بالطاعون[4].

اعتمد أغلب المؤرخين القدماء والمحدثين على الرواية الأولى في سبب وفاته، لكن هذه الرواية ضعيفة للأسباب الآتية:

- إن أم خالد فاختة بنت أبي هاشم سيدة عربية شريفة من بيت عبد شمس، ونساء العرب معروف عنهن شرف النفس ونُبل السجية، فكيف تتجرأ على قتل ابن عمها، مما يتنافى مع شهامة النفس العربية، ولم نسمع عن المطالبة بالثأر، بل العكس، نرى خالدا [5] كالأخ الصغير لعبد الملك، وظل مطيعا وفياً له طوال خلافته، وزوّجه عبد الملك بنته، وتزوّج عبد الملك أخت خالد-تُسمّى عاتكة-، إذن المسألة ليست إلا تهمة كاذبة، أو خرافة[6].

---

(1) ابن خياط، المصدر السابق، ص163.

(2) ابن حبيب، محمد (ت 245هـ/859م)، أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ص145، 147.

(3) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، 2005، ج3، ص78.

(4) ابن عساكر، المصدر السابق، ج57، ص277.

(5) خالد بن يزيد بن معاوية، كان عالماً بالطب والكيمياء، وترجم كُتباً في هذا العلم، لذا يُعدّ رائد حركة ترجمة الكتب اليونانية إلى العربية، توفي عام85هـ/704م. (أنظر:ابن كثير، المصدر السابق، ج12، ص373-374).

(6) الريس، المرجع السابق، ص63، 65. وصف كارل بروكلمان الحادثة بأنها قطعة من الخيال. (أنظر: =

– تناقض الروايات في سبب قتلها له؛ فقيل: أن مروان حين أراد التوجه إلى مصر استعار السلاح من خالد بن يزيد، وحين عاد امتنع عن ردّه له، فألحّ عليه خالد، فسبّه مروان وعيّره بأمه[1]، وقيل: أن خالدا كان طفلا صغيراً –عمره سبع سنين– فدخل على مروان في مجلسه، فلم تُعجبه طريقة مشيه، فانتقص منه أمام أهل الشام [2]، وقيل: أن مروان حين بُويع بالجابية جعل خالداً ولي عهده، ثم بعد مدّة غيّر رأيه وأراد أن يعهد بالخلافة إلى ابنيه عبد الملك وعبد العزيز، فوصف خالداً بالأحمق وسبّ أمه ليُسقطه من أعين أهل الشام فلا يُبايعونه من بعده[3].

– تناقض الروايات أيضاً في كيفية قتلها له؛ فقيل: أنها وضعت وسادة على وجهه فغمّته بها وقعدت مع جواريها عليها حتى مات [4]، وقيل: أنه كان يُحبّ اللبن، فسقته لبناً مسموماً [5]، وقيل: سقته السمّ لكنه أبطأ في قتله، فانتظرت حتى الليل، ثم قامت بوضع وسادة على وجهه وقعدت عليها فمات[6].

= بروكلمان كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط 5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968، ص131).

(1) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم(ت276هـ/889م)، الإمامة والسياسة، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، بيروت، 1990، ج2، ص22–23.

(2) الدينوري، أحمد بن داود(ت 281هـ/894م)، الأخبار الطوال، تحقيق محمد سعيد الرافع، مطبعة السعادة، القاهرة، 1912، ص279–280.

(3) ابن عساكر، المصدر السابق، ج57، ص262–263.

(4) ابن سعد، المصدر السابق، ج5، ص46.

(5) البلاذري، المصدر السابق، ج6، ص300.

(6) المقدسي، المطهر بن طاهر(توفي بعد 355هـ/966م)، البدء والتاريخ، تحقيق كلمان هوار، نشره إرنست لورو، باريس، 1919، ج6، ص19–20.

إن هذا التناقض في تفاصيل هذه الجريمة يزيد في ضعف الرواية، ويُبيّن تلاعب الرواة بالحادثة، فكلّ واحد يُضيف إليها ما يشاء، ويُنمّقها ويزيدها تشويقاً حتى يتقبّلها الناس، لأن النفوس بطبيعتها مولعة بالغرائب والعجائب، فانتشرت على الألسن، وسلّموا بصحّتها، ونقلوها في كُتبهم، وما أكثر هذه القصص المصطنعة في تاريخنا(*).

– كلمة نابية، أو تحويل ولاية العهد عن ابنها إلى عبد الملك وعبد العزيز سبب غير كافٍ من أجل ارتكاب جريمة القتل؛ خاصة إذا علمنا أن الناس أعرضوا عن مبايعة خالد بن يزيد في مؤتمر الجابية لصغر سنّه وقلّة تجربته، فاختاروا مروان، وتمّت مبايعة عبد الملك بعده بموافقة أهل الشام، وكان خالد من مقربيه(1).

– مكانة مروان بن الحكم بين قومه، وتولّيه الخلافة يجعل من الصعوبة بمكان الإقدام على مثل هذا الفعل، وذلك للنتائج المترتبة عليه فيما بعد(2).

إذن، الرواية الأولى ضعيفة، أما الرواية الثانية مقبولة ومُحتملة الحدوث؛ لأن عمر مروان آنذاك ثلاثة وستون سنة، وبذل جهدا كبيرا في بضعة أشهر، معركة في الشام مدة عشرين يوماً، ثم التوجّه إلى مصر –رغم بُعد المسافة من دمشق إلى القاهرة– وخوض معركة أخرى، ثم العودة إلى الشام، له تأثير على شيخٍ في العقد السادس من العمر(3).

(*) ليس الأمر قاصراً على القرون الماضية، بل حتى في زمننا هذا؛ رغم التطور التكنولوجي في وسائل الإعلام والاتصال، من آلات تصوير، وأقمار صناعية، ووسائل نقل المعلومات بسرعة فائقة، إلا أن المعلومة يُتلاعب بها، فيتعسّر على الإنسان التمييز بين الغثّ والسمين من الأخبار التي يتلقّاها يومياً، فنجد فبركة الصور والفيديوهات، وعملية التركيب وغيرها باحترافية كبيرة يصعب على المشاهد أن يكتشف زيفها، فما أدراك بالقرون الماضية؛ إذ لا توجد هذه الوسائل المتطورة، وإنما روايات شفاهية يتناقلها الناس، فيكثُر التحريف والتزييف فيها، ودافعها الرئيسي التّعصّب المذهبي.

(1) الريس، المرجع السابق، ص64–65.

(2) الصلابي، المرجع السابق، ج1، ص584.

(3) بوزورث، المرجع السابق، ج30، ص9294–9295.

أما الرواية الثالثة فهي مقبولة أيضاً ومُحتملة الحدوث؛ إذ يرى بروكلمان أن مروان مات بالطاعون القادم إلى الشام من العراق[1]، وهو أمر غير مستبعد إذا علمنا أنه في هذه السنة –أي سنة65هـ/685م– كان في البصرة طاعون كبير، خلّف مئات القتلى، وسُمّي "الطاعون الجارف"[2]، ومن جهة أخرى فإن بلاد الشام مشهورة عبر التاريخ بالطاعون، مثل طاعون "عَمَوَاس" سنة 18هـ/639م الذي مات فيه عدد من الصحابة الأجلاّء وآلاف المسلمين، وأصاب العراق ومصر أيضاً [3]. بناءً على ذلك، فإن هذه الرواية قد رجّحها مجموعة من الباحثين[4].

---

(1) المرجع السابق، ص131.

(2) الطبري، المصدر السابق، ج5، ص612–613.

(3) المصدر نفسه، ج 4، ص57، 63. من الصحابة الذين ماتوا بالطاعون: أبو عبيدة بن الجراح، وخالد بن الوليد، ومعاذ بن جبل، وسهيل بن عمرو، ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة رضي الله عنهم. عَمَوَاس قرية في فلسطين بالقرب من بيت المقدس، بدأ الطاعون منها فسُمّي نسبة إليها. (أنظر: الحموي، المصدر السابق، مج3، ص157–158).

(4) أنظر مثلاً: بروكلمان، المرجع السابق، ص 131؛ بوزورث، المرجع السابق، ج 30، ص 9294؛ العش يوسف، الدولة الأموية، ط2، دار الفكر، دمشق، 1985، ص191؛ حسن محمد نبيلة، في تاريخ الدولة العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية–مصر، 1993، ص213–214.

ينتمي مروان بن الحكم إلى أسرة عريقة النسب؛ فهو قرشي أموي، وُلد في العهد النبوي، ونشأ وترعرع في زمن الصحابة، وتربّى على يدي ابن عمه الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهذا كان له الأثر الكبير في تكوين شخصيته.

إن مكانة مروان بن الحكم كأحد زعماء الأسرة الأموية، والصفات التي تمتّع بها خاصة الشجاعة والدهاء، مكّنته من المساهمة الفعّالة في الأحداث التي شهدها العصر الراشدي والأموي، وتقلّده لمناصب عليا في الدولة الإسلامية.

لم يقتصر دور مروان بن الحكم في تاريخ صدر الإسلام على شخصه فقط، بل نجد بعد وفاته أولاده يُواصلون السير على طريقه؛ فتركوا بصماتهم في تاريخ الأمة الإسلامية وعلى رأسهم أكبر أولاده عبد الملك بن مروان الذي يُعدّ المؤسّس الثاني للخلافة الأموية.

تولّى مروان بن الحكم مهاماً حسّاسة في ظروف صعبة؛ من كاتبٍ للخليفة عثمان رضي الله عنه في زمن بداية الفتنة الكبرى بين المسلمين، ثم ولايته على أهم أقاليم الدولة الإسلامية وهو إقليم الحجاز في بداية عصر جديد وهو الخلافة الأموية، وأخيرا مبايعته بالخلافة في وقت شارفت فيه الأسرة الأموية على الانهيار وخروج مقاليد السلطة من يدها، وقد نجح إلى حدّ بعيد في هذه المهام.

الفصل الثاني: الأحوال السياسية

إن فترة ولاية مروان بن الحكم على المدينة ذات أهمية كبيرة؛ لأنها جاءت في مرحلة انتقالية هامّة في تاريخ الدولة الإسلامية، بتسلّم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه مقاليد الحكم عام41هـ/661م، وانتهاء عهد الخلفاء الراشدين.

وضمّت المدينة حينها كبار الصحابة وأمهات المؤمنين رضوان الله عليهم، الذين ينقاد لرأيهم جموع المسلمين في مختلف الأمصار؛ وعليه فإن دراسة الحالة السياسية فيها يُساعد في الإلمام بـ:

- موقف سكان المدينة من خلافة معاوية رضي الله عنه.
- تأثير الفتنة الكبرى على العلاقة بين سكانها والخلافة بدمشق.
- تعامل السلطة الأموية ومواقفها تجاه هذه الولاية.

ولتوضيح ذلك يجب التعرّف على طبيعة علاقة أمير المدينة بسكانها وخاصة الصحابة منهم، ودورهم في الأحداث السياسية التي جرت حينها، والتنظيمات الإدارية والقضائية المتّبَعة من طرف الأمويين لتسيير شؤون الولاية.

1- علاقة أمير المدينة مروان بن الحكم بالصحابة رضوان الله عليهم[1]

يتمتّع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكانة سامية في المجتمع الإسلامي، فهم أفضل الخلق بعد النبي صلى الله عليه وسلم مثلما جاء في الكتاب والسنة، لذا فالناس تَبعٌ لهم، ومُنقادون لقولهم، وعليه فإن معرفة علاقتهم بأمير المدينة مروان بن الحكم يُسهّل علينا معرفة موقفهم من السلطة الأموية ومعه موقف سكان المدينة، خاصة في هذه الفترة التي أعقبت الفتنة الكبرى، وبداية عصر جديد في تاريخ المسلمين.

1-1- استشارته الصحابة في شؤون الولاية:

أدرك أمير المدينة منزلة الصحابة عند الناس، وأنهم أهل الحلّ والعقد، فلم يتوان عن أخذ مشورتهم في أمور الولاية؛ إذ كان يجمعهم ويستشيرهم ويعمل بالرأي الذي اتفقوا عليه [2]، وإذا ما صادفته مسألة صعبة، وتعسّر عليه إيجاد حلٍّ لها، جمعهم لأخذ رأيهم فيها [3].

هذه سُنّة حميدة اتّبعها الأمير مروان، وهي: الشورى؛ إذ كان الرسول صلى الله عليه وسلم يُشاور أصحابه، ويأخذ برأيهم رغم أنه نبيٌّ يأتيه الوحي من السماء، ومن هذا المنطلق أدرك الأمير مروان حكمة الصحابة ورجاحة عقولهم وحُسن مشورتهم، ولسان حاله يقول: النبي صلى الله عليه وسلم شاورهم، فكيف لا أُشاورهم؟

---

(1) العلاقة بين أمير المدينة مروان والصحابة متشعّبة ومختلفة الجوانب؛ لذا لا يُمكن حصرها في هذا الجزء من البحث، بل نجدها في ثنايا الفصول، وفق سياقها ومضمونها، وذلك للحفاظ على النسق العام للبحث، فمثلا في الجزء الخاص بالإدارة والقضاء نجد أن الأمير مروان أسند مجموعة من المهام الإدارية والقضائية للصحابة وهذا بالطبع يندرج ضمن هذه العلاقة، لكن مضمونها جعلنا نُدرجها في جزء الإدارة والقضاء وليس في جزء العلاقة بين الأمير والصحابة.

(2) ابن سعد، المصدر السابق، ج7، ص47.

(3) ابن كثير، المصدر السابق، ج11، ص709.

بناءً على ما تقدّم، كان الأمير مروان يُقرّبهم منه في مجلسه، ويحافظ على احترامهم وتقديرهم؛ إذ كانوا يجلسون بعده مباشرة على أسِرّةٍ توضع لهم، ومن هؤلاء الصحابة عبد الله بن عباس[1]، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما[2]، ويحضر معهم أشراف المدينة، فيُناقش معهم شؤون المسلمين ومصالحهم، ويسمع آراءهم، وكان الأمير مروان يعقد هذه الاجتماعات يومياً بعد صلاة العصر[3].

واستشار المسور بن مخرمة رضي الله عنه [4] في عزل صاحب الشرطة الذي اشتكى الناس من شدّته عليهم، فأشار عليه بعدم فعل ذلك لأن أمور الناس لا تستقيم إلا بالحزم والشدّة، فامتثل لرأيه وأبقاه في منصبه[5].

وقَبض على نبّاش القبور، فجمع الصحابة واستشارهم في العقوبة اللازمة له، فأشاروا عليه بضربه وأن يُطاف به على الناس ليكون عبرةً لهم[6].

---

(1) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، من علماء الصحابة، كان يُلقّب بـ"حَبرُ الأمة وتُرجمان القرآن"، اُشتهر بتفسير القرآن، وقد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالفقه ومعرفة التأويل، توفي عام68هـ/687م. (أنظر: ابن عبد البر، المصدر السابق، مج3، ص933، 939).

(2) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله (ت 656هـ/1258م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد إبراهيم، دار الكتاب العربي، بغداد، 2007، مج10، ج20، ص320.

(3) مجهول (توفي في القرن 3هـ/9م)، أخبار الدولة العباسية، تحقيق عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت، 1971، ص93، 94.

(4) المسور بن مخرمة بن نوفل، صحابي، كان فقيها من أهل الفضل والدين، مات عام 64هـ/683م. (أنظر: ابن عبد البر، المصدر السابق، مج3، ص1399-1400).

(5) وكيع، محمد بن خلف (ت 306هـ/919م)، أخبار القضاة، تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1947، ج1، ص118-119.

(6) ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد (ت 235هـ/850م)، المصنف، تحقيق حمد بن عبد الله الجمعة ومحمد بن إبراهيم اللحيدان، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، 2004، ج9، ص384.

وأرسل إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه [1] يسأله عن الحكم في إحدى القضايا التي أشكلت عليه، فحَكم بما أشار عليه في ذلك[2].

1-2- إكرامه الصحابة:

أقطع الأمير مروان أبا هريرة رضي الله عنه [3] أرضاً بالعقيق [*]؛ فتصدّق بها على أولاده[4]. وهذا كرم كبير من الأمير لأن الأرض كانت ملكاً له، فجاد بها على هذا الصحابي الجليل وأبنائه.

---

(1) زيد بن ثابت بن الضحاك، كاتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم، جمع القرآن زمن خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وساهم في كتابة المصحف زمن خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، من علماء الصحابة وفقهائهم، وكان أعلم الناس بالفرائض، توفي عام 45هـ/665م. (أنظر: ابن عبد البر، المصدر السابق، مج 2، ص537، 540).

(2) ابن أنس مالك (ت179هـ/795م)، الموطأ، تحقيق أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي السلفي، مجموعة الفرقان التجارية، دبي-الإمارات، 2003، ج4، ص163.

(3) عبد الرحمن بن صخر الدوسي، أكثر الصحابة روايةً للحديث النبوي، كان فقيها، توفي عام59هـ/679م. أنظر: ابن عبد البر، المصدر السابق، مج4، ص1768، 1772.

(*) العقيق واد كبير في غرب المدينة، فيه عيون مياه عذبة، وقرى وبساتين النخيل، سكنه مجموعة من الصحابة مثل أبي هريرة وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد رضي الله عنهم، وهو واد مبارك، ذُكر فضله في أحاديث نبوية صحيحة، وقيل فيه الكثير من الأشعار، لكنه مع مرور الزمن اندثرت معالمه، وأصبح خالياً من السكان، وفقد أهميته الاقتصادية. (أنظر: السمهودي، المصدر السابق، ج 4، ص7، 53). وقام محمد محمد حسن شُرّاب بإنجاز دراسة مفصّلة عن هذا الواد ي. (أنظر: شرّاب، أخبار الوادي المبارك العقيق، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، 1985).

(4) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت 817هـ/1415م)، المغانم المطابة في معالم طابة، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، 1969، ص271-272. أبناء أبو هريرة رضي الله عنه أربعة؛ ثلاثة ذكور: المُحرز، وبلال، وعبد الرحمن، وبنتٌ لم يُذكر اسمها في ما تيسر لي من مصادر. أنظر مثلاً: ابن حزم، علي بن أحمد(ت456هـ/1063م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، 1948، ص383؛ ابن عساكر، المصدر السابق، ج67، ص369).

وبعث له مرّةً مائة دينار –وكانت مبلغا عظيما–، ففرّقها على المساكين في ذلك اليوم[1]. وحين مرض زاره الأمير ودعا له بالشفاء والعافية[2].

كسا أمير المدينة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أردية خَزٍّ [*] أُرسلت له، وكان نصيب أبي هريرة رضي الله عنه منها رداءً [3]، فقد كان بمقدور الأمير الاحتفاظ بهذه الثياب الجميلة لنفسه لكنه آثر بها الصحابة، حبّاً لهم وإجلالاً لمقامهم.

ونجده يُكرمهم حتى بعد موتهم، فحين توفي زيد بن ثابت رضي الله عنه بعث إلى أهله بإبلٍ، فنحروها وأطعموا الناس منها [4]، وهذا مواساةٌ لهم، لأنه يعلم أنهم مشغولون بالمُصاب الذي ألمّ بهم، فلا يقدرون على شراء اللحم لإطعام الناس، وفي نفس الوقت معرفته بقلّة مؤونتهم لأن عدد المعزّين كبير وإطعامهم ليس بالأمر الهيّن.

1-3- استماعه لنصائح الصحابة وأخذه بها:

كان الصحابة رضوان الله عليهم لا تأخذهم في الله تعالى لومةُ لائمٍ؛ إذ يجهرون بالحق مهما كان الحال، ولا نستغرب ذلك منهم لأنهم اتّخذوا الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة لهم؛ فتعلموا منه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم السكوت على الباطل، لا يُخافون بطش خليفة ولا سطوة أمير إذا تعلّق الأمر بحدود الله وسنّة نبيه صلى الله عليه وسلم .

---

(1) ابن سعد، المصدر السابق، ج5، ص246.

(2) المصدر نفسه، ص255. وكان مروان حينها معزولاً عن إمرة المدينة، مما يُثبت احترامه للصحابة حتى وهو بعيد عن السلطة، أي لم يكن ذلك منه تصنّعاً لكسب تأييدهم – حين يكون أميرا – كما قد يتوهّم البعض.

(*) الخَزُّ: من أجود أنواع الثياب وأشهرها في ذلك العصر، يُنسج من الصوف وخيوط الحرير. (أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711هـ/1370م)، لسان العرب، تحقيق أمين عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999، ج4، ص81).

(3) المصدر نفسه، ص249-250.

(4) ابن عساكر، المصدر السابق، ج19، ص336.

ومن هذا المنطلق كانوا يُوجّهون أمير المدينة إذا ما خالف السُّنّة في تسييره شؤون المسلمين، أو لم يعرف حُكم الشّرع في مسألة من المسائل التي أشكلت عليه، ولم يقتصر نُصحهم على الأمير بل تعدّاه إلى الخليفة معاوية رضي الله عنه؛ إذ احتفظت لنا المصادر بتلك المواقف المشرّفة لهم.

ومما يذكر في هذا الموضوع، أن أمير المدينة كان في جنازة، فأخذ بيده أبو هريرة رضي الله عنه وجلسا، فجاء أبو سعيد الخدري رضي الله عنه [1] وأخذ بيد الأمير ليُقيمه، وأخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الجلوس قبل أن توضع الجنازة [2]. لم يكن الأمير يعرف حكم المسألة من قبل، فبادر إلى العمل به حين أخبره أبو سعيد الخدري رضي الله عنه[3].

وصلّى الأمير على جنازة ثم انصرف، فأُخبر أن أبا هريرة رضي الله عنه ذكر أنه أصاب قيراطاً وحُرم قيراطاً من الأجر، فرجع الأمير يجري حتى بدت ركبتاه، فقعد حتى أَذِن له بالذهاب[4].

يُصوّر لنا هذا الموقف مسارعة الأمير لتنفيذ ما يقوله الصحابة خاصة ما تعلّق بأمور الشرع لأنهم أعلم الناس بها؛ فقد عاشوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وشاهدوا أفعاله وسمعوا أقواله، ونَلحَظُ سعي الأمير للالتزام بالسُّنّة النبوية في أفعاله، لنيل الأجر والثواب، وهو ما يدلّ على ورعه.

---

(1) سعد بن مالك بن سنان، صحابي، كان من العلماء والحُفّاظ، توفي عام 74هـ/694م. (أنظر: ابن عبد البر، المصدر السابق، مج4، ص1671-1672).

(2) البخاري، المصدر السابق، ص255.

(3) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد القادر شيبة الحمد، طُبع على نفقة الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود، الرياض، 2001، ج3، ص213.

(4) ابن كثير، المصدر السابق، ج11، ص708-709.

ويوم العيد خرج أمير المدينة وأبو سعيد الخدري رضي الله عنه إلى المسجد، وحين دخلاه أخذ الأمير بيد أبي سعيد يجرّه نحو المنبر، وهذا الأخير يجرّه نحو الصلاة، وذكر له أن من سُنّة النبي صلى الله عليه وسلم في العيد تقديم الصلاة على الخطبة[1].

يبدو أن الأمير اجتهد في الأمر، لكن أنكر عليه أبو سعيد رضي الله عنه لوجود نص صريح في ذلك، ومن جهة أخرى يدلّ على إنكار العلماء على الأمراء إذا خالفوا السُّنة، وعدم مداهنتهم في ذلك[2].

وفي زمان إمرته على المدينة، كانت الحبوب تُجمع في ميناء الجار [*] قادمةً من مصر، ثم يُعطى لكل شخص بالمدينة صَكٌّ بمقدارٍ مُعين من تلك الحبوب، فباع الناس تلك الصُّكوك فيما بينهم قبل استلام حصصهم، فجاء زيد بن ثابت رضي الله عنه وأحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأمير مروان، وأعلماه أن فعل الناس ذلك من الرِّبا، فأرسل على الفور حرسه يجمعون تلك الصُّكوك ويردّونها إلى أهلها[3].

وسرق أحد العبيد فَسَائِل نخلٍ وغرسها في بستان سيده، فرُفع أمره إلى الأمير فسجنه وأراد قطع يده، فذهب سيد العبد إلى رافع بن خديج رضي الله عنه[4] يسأله عن الحكم في

---

(1) مسلم، المصدر السابق، ص 342. يُعدّ مروان أوّل من قدّم الخُطبة في صلاة العيدين. (أنظر: العسكري، الحسن بن عبد الله (ت 395هـ/1005م)، الأوائل، تحقيق محمد السيد الوكيل، دار البشير، طنطا–مصر، 1987، ص182).

(2) ابن حجر، المصدر السابق، ج2، ص522.

(*) الجَارُ: ميناء على ساحل البحر الأحمر، يبعد عن المدينة بحوالي 205 كلم، ترسو فيه السفن القادمة إلى المدينة من مصر والمحمّلة بالحبوب، وذلك من أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . (أنظر: الحموي، المصدر السابق، مج2، 92، 94).

(3) ابن أنس، المصدر السابق، مج3، ص402.

(4) رافع بن خديج بن رافع، من علماء الصحابة، كان يفتي بالمدينة زمن خلافة معاوية رضي الله عنه =

هذه المسألة، فأخبره أنه لا قطع في سرقة الثمار وما شابهها، ثم ذهبا إلى الأمير وأخبره رافع ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فيما يخصّ هذه القضية، فأطلق الأمير سراح العبد[1].

وهنا تتجلّى لنا غيرة الصحابة رضوان الله عليهم عن أمور دينهم، وفي استجابة ولاة الأمور لداعي الحق دون تردّدٍ، ومن جهة أخرى احترام الولاة للصحابة الكرام وإجلالهم، وعدم التعرض لتصرفاتهم ما دامت مستمدّة من الحرص على تنفيذ أمر الله ورسوله، حتى وإن تدخّلوا في مهام الوالي[2].

ونرى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها [3] حين سمعت بخروج امرأة مُطلّقة من بيت زوجها قبل انقضاء عدّتها، ورأت في ذلك مُخالفة للسُنّة النبوية، أرسلت إلى الأمير تطلب منه إعادتها إلى البيت[4].

= وما بعدها، كان عريف قومه بني النجار، توفي عام 74هـ/693م. (أنظر: ابن عبد البر، المصدر السابق، مج2، ص479-480).

(1) أبو داود، سليمان بن الأشعث (ت 275هـ/889م)، سُنن أبي داود، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، دمشق، 2009، ج6، ص441.

(2) الحميداني نمر بن محمد، ولاية الشرطة في الإسلام دراسة فقهية – تطبيقية، ط2، دار عالم الكتب، الرياض، 1994، ص120-121.

(3) عائشة بنت أبي بكر الصديق، زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأحبِّهم إلى قلبه، كانت عالمة فقيهة، روت الكثير من الأحاديث النبوية، توفيت عام58هـ/678م. (أنظر: ابن عبد البر، المصدر السابق، مج 4، ص1881، 1885).

(4) أبو داود، المصدر السابق، ج 3، ص602-603. من المعلوم أن المرأة إذا طُلّقت طلاقاً رجعياً -أي المرة الأولى أو الثانية- تبقى في بيت زوجها طيلة مدّة العدّة-ثلاث حيضات- ولا تخرج منه، لأنه يُمكن أن يُراجعها زوجها، ويعودان إلى حياة الزوجية، وقد أشارت إلى ذلك الآيات 01 و02 و04 من سورة الطلاق، والآيات 228 و229 و230 من سورة البقرة.؛ لذا أنكرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هذا الفعل من تلك المرأة، وطلبت من الأمير إعادتها إلى بيت زوجها.

وقرأ الأمير بسورة قصيرة في صلاة المغرب، فأخبره زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه شهد النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في هذه الصلاة بالسور الطوال مثل سورة الأعراف[1].

وخطب يوماً، فذكر مكة وحرمتها وفضلها، فناداه رافع بن خديج رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يذكر أيضاً حرمة المدينة وفضلها، فأقرّ الأمير بذلك[2].

مرض سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه [3]، فزاره الأمير، فطلب منه سعد أن ينهى أهل الشام عن سبّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه[4].

يتّضح لنا أن الصحابة لم يدّخروا جهداً في نُصح الأمير وتوجيهه إلى ما يُوافق الشرع ولو في الأمور الصغيرة، وفي نفس الوقت استجابة الأمير لذلك دون تردّدٍ، والعمل على تنفيذ ما أشاروا به خشية مخالفة أوامر الله ورسوله.

1-4- سؤاله الصحابة عن مسائل في الدين:

الصحابة رضوان الله عليهم حمَلة الشريعة ونقلتها؛ إذ عاشوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وسمعوا أحاديثه، وشاهدوا أفعاله، لذا نجد أمير المدينة يسألهم عمّا التبس عليه من مسائل فقهية أو ما غاب عنه حكمه الشرعي.

---

(1) النسائي، أحمد بن شعيب (ت 303هـ/915م)، سُنن النسائي، تحقيق صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، 2005، ص252.

(2) مسلم، المصدر السابق، ص537.

(3) سعد بن مالك بن أهيب، أحد العشرة المبشرين بالجنة، من كبار الصحابة، شارك في الفتوحات وقاد معركة القادسية ضد الفرس، له فضائل كثيرة، توفي عام 55هـ/675م. (أنظر: ابن عبد البر، المصدر السابق، مج 2، ص606، 610).

(4) ابن عساكر، المصدر السابق، ج 57، ص248. تعتقد طائفة من أهل الشام أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أعان على قتل الخليفة عثمان رضي الله عنه لذا يبغضونه، وهو براءٌ من هذه التهمة التي فنّدها الباحثون. (أنظر مثلاً: كبير علال، المرجع السابق، ص99، 105).

في هذا السياق، أرسل الأمير إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنه يسأله عن مقدار التعويض إذا كسر رجل ضِرس رجلٍ آخر، فأجابه أنه عليه دفع خمس من الإبل، ثم بعث له مرة ثانية يسأله إن كان هذا التعويض نفسه للأسنان الأمامية والأضراس، فأجابه أنهم سواء في ذلك مثل أصابع اليد[1].

يُفيدنا موضوع السؤال المطروح أن الأمير يبحث عن الحكم الشرعي للفصل بين المتخاصمين عنده، ومن جهة أخرى سعيه أن يكون قضاؤه عادلاً وموافقاً للشرع.

وبعث إلى أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها [2] يسألها عن إحدى مفطرات الصيام، فروت له حديثاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الموضوع [3]. وفي هذا فضيلة للأمير؛ إذ يدلّ على اهتمامه بالعلم ومسائل الدين[4].

وكان جالساً مع أبي سعيد الخدري وزيد بن ثابت ورافع بن خديج رضي الله عنهم، فسأل أبا سعيد عن معنى قوله تعالى:﴿**لاَ يَحْسِبَنَّ ٱلذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلاَ تَحْسِبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ آلِيمٌ**﴾[5] لأنّه –أي الأمير– يفرح بما آتاه الله عزّ وجلّ، ويُحبّ أن يُحمد بما لم يفعل، فأخبره أن هذه

---

(1) ابن أنس، المصدر السابق، مج4، ص208. يقصد ابن عباس رضي الله عنه أنه إذا قُطع الإبهام أو السبابة أو أحد الأصابع فتعويضها واحد، لا يختلف باختلاف حجم الأصبع، فقاس الأمر على الأسنان والأضراس. ويُسمّى التعويض عن الجِراح في الفقه الإسلامي بـ: العَقْلُ.

(2) هند بنت أبي أمية، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، آخر أمهات المؤمنين وفاةً، كانت عالمة فقيهة، توفيت عام62هـ/681م. (أنظر: ابن حجر، الإصابة، ج8، ص404، 407).

(3) مسلم، المصدر السابق، ص429–430.

(4) ابن حجر، فتح الباري، ج4، ص176.

(5) الآية 188 من سورة آل عمران.

الآية نزلت في مجموعة من المنافقين كانوا يتخلّفون عن الجهاد في سبيل الله، فإن خَسِر المسلمون فرحوا بتخلّفهم عنهم، وإن انتصروا أظهروا السرور والفرح[1]. ثمّ أرسل إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنه يستفسره عن ذلك[2].

الظاهر أن الأمير أراد التأكّد والتثبّت من الأمر فبعث إلى ابن عباس رضي الله عنه يسأله عن ذلك[3]، وأيضاً يُبيّن لنا معرفته بمنزلة الصحابة وعلمهم؛ إذ أنّ ابن عباس أعلم الصحابة بتفسير القرآن، لذا أرسل إليه يسأله عن الأمر، وهذا دليل على حرصه الشديد في الاستفادة من علمهم.

واستدعى زيد بن ثابت رضي الله عنه وسأله عمّا سمع من النبي صلى الله عليه وسلم بخصوص مجموعة من المسائل مثل الصلاة الوسطى [4]. وأرسل إلى سُبَيعة بنت الحارث رضي الله عنها [5] يسألها عمّا أفتاها به النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي زوجها وهي حاملٌ، ثم وضعت حملها قبل انقضاء عِدّتها[6].

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، ط 2، دار طيبة، الرياض، 1999، ج2، ص182.

(2) البخاري، المصدر السابق، ص866. كان رأي ابن عباس رضي الله عنه أن هذه الآية نزلت في اليهود حين سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء، فكتموه وأخبروه بغيره، فاستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بكتمانهم الإجابة.

(3) ابن حجر، فتح الباري، ج8، ص86.

(4) ابن حنبل، أحمد (ت 241هـ/855م)، المسند، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008، ج9، ص6-7. يرى زيد بن ثابت رضي الله عنه أن الصلاة الوسطى هي صلاة الظهر، ويذهب جمهور العلماء إلى أنها صلاة العصر.

(5) سُبيْعة بنت الحارث الأسلمية، صحابية. أنظر: ابن حجر، الإصابة، المصدر السابق، ج8، ص171-172.

(6) ابن حنبل، المصدر السابق، ج 11، ص 290-291. ولدت بعد وفاة زوجها بنصف شهر، فأفتاها النبي صلى الله عليه وسلم أن عدّتها انقضت بوضع حملها.

ودخل عليه أبو هريرة رضي الله عنه مجلسه، فطلب منه أن يُحدّثه عن صلاة الخوف وكيفية أدائها مثلما صلّاها النبي صلى الله عليه وسلم[1].

وكان جالساً مع عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، فسأله عن الركعتين اللّتين يُصلّيهما بعد العصر، فأجابه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلّاهما وفق ما حدّثت به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فأرسل إليها الأمير يستفسره ا، فأخبرته أن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها حدّثتها بذلك، فبعث إليها، فذكرت أن النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك مرّة واحدة فقط؛ إذ أخّر ركعتي نافلة الظهر إلى ما بعد العصر بسبب أمر شغله[2].

يتجلّى لنا بوضوح فقه الأمير؛ إذ أنّ ما بين العصر والمغرب وقتٌ يُحظر فيه صلاة النوافل، لذا استغرب فعل ابن الزبير رضي الله عنه، وأرسل إلى عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما للتحقّق من ذلك، مما يُبيّن اهتمامه بالعلم وحرصه على التفقّه في الدين.

ومما يُذكر في هذا الموضوع، سُؤاله أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها عمّا إذا كان أكل اللّحم الناضج بالنّار يُبطل الوضوء مثلما ذكر أبو هريرة رضي الله عنه، فأخبرته أنها قدّمت للنبي صلى الله عليه وسلم لحماً فأكل ثمّ صلّى ولم يتوضّأ[3].

وبعث إلى أم مَعقِل رضي الله عنها[4] للاستفسار عن حديث العمرة في رمضان، فروَت الحديث لمبعوثه، ثمّ زارها في منزلها مع نفر من الناس حتى يسمعه بنفسه [5]، أي تجشّم عناء الذهاب إلى منزلها لسماع الحديث منها شخصياً رغم انشغالاته.

---

(1) ابن حنبل، المصدر السابق، ج4، ص286.

(2) المصدر نفسه، ج11، ص42-43.

(3) المصدر نفسه، ص57.

(4) أم مَعقِل الأنصارية، صحابية. (أنظر: ابن عبد البر، المصدر السابق، مج4، ص1962).

(5) المصدر نفسه، ص245-246.

سمع الأمير أن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها [1] أمرت ابنة أُختها المُطلّقة بالخروج من بيت زوجها قبل انقضاء عِدّتها، فأنكر فعلها، واستفسرها عن ذلك، فأخبرته أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرها بذلك حين طُلّقت [2]، وتُبيّن هذه الحادثة تفقّه الأمير في الدين، لأن المرأة إذا طُلّقت للمرة الأولى أو الثانية تبقى في بيت زوجها ولا تخرج منه حتى انقضاء عدّتها-كما سبق ذكره-

ودخل عليه في مجلسه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، فطلب منه أن يُحدّثه عن نهي النبي صلى الله عليه وسلم النفخ في الشراب، فروى له قصة ذلك[3].

كما أنه سأل أبا هريرة رضي الله عنه عن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الجنازة، فقرأه عليه[4]، وهذا حرصٌ منه على اتّباع السُّنّة النبوية.

طلب الأمر مروان من أبي قتادة رضي الله عنه [5] أن يُريه المواضع التي وقف فيها النبي صلى الله عليه وسلم، وجرت عليها مجموعة من الأحداث في زمنه كالغزوات وغيرها[6].

---

(1) فاطمة بنت قيس الفهرية، من الصحابيات المهاجرات، وهي أُخت الضحاك بن فيس رضي الله عنه الذي قاتل مروان في مرج راهط -كما ذكرنا في الفصل الأول-، توفيت عام 50هـ/670م. (أنظر: ابن عبد البر، المصدر السابق، مج4، ص1901).

(2) النسائي، المصدر السابق، ص859-860.

(3) الحاكم، محمد بن عبد الله (ت 405هـ/941م)، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ج4، ص155.

(4) الطبراني، سليمان بن أحمد(ت360هـ/971م)، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، 1995، ج3، ص272.

(5) الحارث بن ربعي، فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي عام 54هـ/674م. (أنظر: ابن عبد البر، المصدر السابق، مج1، ص289).

(6) البخاري، التاريخ الصغير، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت، 1986، مج1، ص131.

إن سُؤال الأمير عن المواقف النبوية دلالة واضحة على اهتمام الولاة من الصحابة والتابعين بالسيرة النبوية ونقلها، نابعٌ من اهتمامهم بمعرفة كل ما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم، ونقله إلى من بعدهم، وبالذات ولاة المدينة النبوية، لما يجدونه من آثار باقية، كالمسجد النبوي، والأماكن التي صلّى فيها، وغير ذلك[1].

مما تقدّم ذكره، فإن أسئلة أمير المدينة مروان بن الحكم لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أَثْرت التراث الفقهي الإسلامي؛ إذ اعتمدها فقهاء المذاهب دلائل وشواهد يستدلّون بها في الفتوى، وساهمت في حلّ الكثير من المسائل الفقهية والنوازل عبر أزمنة متفرقة من تاريخ المسلمين.

(1) الرميح طارق بن عبد الله بن محمد، مواقف ولاة بني أمية من الاتجاهات العلمية والفكرية في العصر الأموي(41-132هـ/660-749م)، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 2014-2015، ص175.

1-5- علاقته بالحسن والحسين رضي الله عنهما[1]:

كان للحسن والحسين رضي الله عنهما مكانة مرموقة عند سكان المدينة، وقد اختلفت الروايات التاريخية في تحديد طبيعة علاقتهما بالأمير مروان بن الحكم، فتارةً علاقة احترام وتقدير، وتارةً أخرى علاقة سيئة مشحونة بالكراهية والحقد، وهذا التناقض يرجع بشكل كبير إلى مذاهب الرواة ونزعاتهم الطائفية.

ومن أمثلة ذلك تزعم إحدى الروايات أنّ الحسين رضي الله عنه سبّ الأمير مروان وأخوه الحسن رضي الله عنه ساكتٌ، فقال الأمير للحسين بأنّهم أهل بيت ملعونون، فغضب الحسن وردّ عليه بأن الله لعنه ووالده على لسان نبيّه[2].

أوّل ما يُلاحَظ عن هذه الرواية أن راويها "أبو يحي النخعي" مجهول [3]، لا يُعرف حاله إن كان عدلاً ثقةً أو ضعيفاً كذّاباً، وثانياً هل يُعقل أن مسلماً يصف أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم ملعونون؟ !!! وثالثاً الحسين رضي الله عنه من بيت النبوة، فأخلاقه وتربيته لا تسمح له أن يُصبح سبّاباً، وقد سمع جدّه صلى الله عليه وسلم يُحذّر المسلم من السبّ واللّعن والفحش، ورابعاً لا يُعقل أن الحسن يرضى بذلك؛ لذا الرواية مكذوبةٌ ومُصطنعةٌ غرضها إثبات لعن الأمير مروان ووالده[*] كما جاء في ردّ الحسن رضي الله عنه.

---

(1) الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء رضي الله عنهم أجمعين، حفيدا الرسول صلى الله عليه وسلم، وريحانتاه من الدنيا، وسيدا شباب الجنة، تولّى الحسن رضي الله عنه الخلافة عام 40هـ/660م، ثم تنازل عنها لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، توفي عام 50هـ/670م، أما الحسين أُستشهد عام 61هـ/680م. (أنظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج6، ص352، 460).

(2) ابن سعد، المصدر السابق، ج6، ص411.

(3) الذهبي، المصدر السابق، ج3، ص478.

(*) ذكرت الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن والد مروان وبنيه، لكن العلماء ضعّفوا هذه الروايات، وعدّوها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة للتّنقيص من بني أمية عموماً وآل مروان خصوصاً، ومن هؤلاء =

والحادثة الأخرى التي تطرّقت إليها المصادر بالتفصيل، محاولة دفن الحسن رضي الله عنه في الحجرة النبوية واعتراض مروان على الأمر بقوة السلاح، حتى تدخّل الصحابة ودُفن بالبقيع(*)، وقد اختلفت رواياتها وتنوع سياق قصتها إلى درجة التناقض.

= العلماء: قال الذهبي: ويُروى في سبّه أحاديث لم تصحّ. (أنظر: الذهبي، المصدر السابق، ج 2، ص108). وقال في موضع آخر: وقد رُوِيت أحاديث مُنكرةٌ في لعنه لا يجوز الاحتجاج بها. (أنظر: الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1989، ج 3، ص366). وقال ابن كثير: وقد ورد في هذا المعنى – لعن والد مروان وبنيه – أحاديث كثيرة موضوعة، فلهذا أضربنا صفحاً عن إيرادها لعدم صحّتها. (أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص711). وذكر ابن عساكر جُملة من هذه الأحاديث وبيّن موضع الضعف فيها. (أنظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج 57، ص265، 273). وقال ابن تيمية عن حادثة نفي الرسول صلى الله عليه وسلم للحكم بن أبي العاص وابنه مروان من المدينة إلى الطائف– اُتّخذت هذه الحادثة وسيلة ذمّ لمروان وأبنائه–: وقصة نفي الحكم ليست في الصحاح، ولا لها إسناد يُعرف به أمرها، وقد طعن كثير من أهل العلم في نفيه، وقالوا أنه ذهب باختياره. (أنظر: ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، تحقيق محمد رشاد سالم، نشر جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1986، ج6، ص265). وضعّف الحافظ ابن حجر أحاديث ذمّ الحكم بن أبي العاص وبنيه. (أنظر: ابن حجر، الإصابة، ج2، ص91–92).

وإن ثَبتَ أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لعن الحكم بن أبي العاص – قبل أن يولد مروان– فلا ضير في ذلك، لأن الحكم حينها كان مشركاً مُجاهراً بعدواته للإسلام وللرسول صلى الله عليه وسلم، إذن، فلا نستغرب لعن كافرٍ مشركٍ، وبما أنه أسلم فيما بعد، فالإسلام يمحو ما كان قبله.

إن تاريخ بني أمية كُتب في زمن الخلافة العباسية؛ لذا نجد عدداً كبيراً من الروايات التاريخية تذمّهم وتصفهم بأبشع الأوصاف، وذلك خوفاً من بطش الخلفاء العباسيين، وأحياناً تزلّفاً لهم، وما زاد الطين بلّة الباحثون المعاصرون الذين أطلقوا أحكاماً غير موضوعية عن الخلافة الأموية، وحُجّتهم في ذلك ما وجدوه من روايات عند الطبري أو المسعودي أو البلاذري أو ابن الأثير وغيرهم من المؤرخين، فسلّموا بصحّتها دون نقد أو تمحيص، رغم وجود روايات أخرى مناقضة لها تماماً.

(*) البَقِيع: مقبرة سكان المدينة، وتُسمّى "بقيع الغَرْقَد"، دُفن فيها آلاف الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم، وأمهات المؤمنين، ولا تزال قائمة إلى يومنا الحاضر، يزورها الحجاج من كل بقاع العالم. (أنظر: السمهودي، المصدر السابق، ج3، ص257، 311).

تذكر إحدى الروايات أن سبب اعتراض مروان هو أن الحسن والحسين رضي الله عنهما منعا سابقاً دفن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بجوار النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه[1].

ضَعفُ هذه الرواية بيّنٌ؛ إذ أن الروايات التاريخية تُؤكّد أن الحسن والحسين رضي الله عنهما كانا في دار الخليفة عثمان رضي الله عنه يُدافعان عنه حين حاصره مجموعة من أهل مصر والبصرة والكوفة، وقد أمرهما والدهما بذلك[2].

أما عن منع دفن عثمان رضي الله عنه في الحجرة النبوية، فإن المصريين والكوفيين والبصريين الذين قتلوه هم من منعوا دفنه في الحجرة النبوية وحتى في مقبرة البقيع مع المسلمين، فاضطُرّ نفرٌ قليلٌ من الصحابة إلى دفنه ليلاً وعلى عجلٍ خوفاً منهم[3].

والأمر الخطير في هذه الرواية أنها تتّهم الحسن والحسين ووالدهم رضي الله عنهم –بطريقة غير مباشرة– بالمساهمة في قتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، لأنه من المتعارف عليه بين الباحثين المتخصصين أن علياً رضي الله عنه أُتّهم بذلك مباشرة في بعض الروايات، وأنه أعان على ذلك، وهذا زورٌ وبُهتانٌ لم تُثبته الروايات الموثوقة[4].

---

(1) ابن شبه، المصدر السابق، ج1، ص110.

(2) أنظر مثلاً: ابن خياط، المصدر السابق، ص 102؛ ابن سعد، المصدر السابق، ج 3، ص67؛ ابن شبه، المصدر السابق، ج 1، ص114–115؛ البلاذري، المصدر السابق، ص 185؛ الطبري، المصدر السابق، ج 4، ص350؛ المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص270؛ ابن عساكر، المصدر السابق، ج39، ص391–392؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص298.

(3) أنظر: ابن شبه، المصدر السابق، ج 1، ص114–115؛ الطبري، المصدر السابق، ج 4، ص413، 415. وقد دُفن في موضع ملتصقٍ بالبقيع يُسمّى "حُشُّ كَوْكَب" –سأتحدث عنه بالتفصيل في الفصل الخامس–، وهو أول من دُفن فيه.

(4) أنظر مثلاً: كبير علال، المرجع السابق، ص99، 105.

وفي رواية أخرى للحادثة، أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أَذِنت بدفن الحسن في الحجرة النبوية بعد أن طلب منها ذلك– لأنها حُجرتها – [1]، وعلى النقيض من ذلك، نجد رواية تُصوّر رفضها وخروجها لمنع حدوث الأمر [2]. وتذكر هذه الرواية أن الحادثة وقعت بعد وفاة الحسن رضي الله عنه[3]، أما في رواية أخرى أنها وقعت قبل ذلك –أي في حياته– فأمر أخاه الحسين رضي الله عنه بدفنه في البقيع بجنب أُمّه تفادياً لإراقة الدماء من أجله[4].
إن هذا التناقض يوضّح لنا تلاعب الرواة بقصة الحادثة، وزياداتهم فيها حسب أهوائهم وتوجّهاتهم المذهبية، مما صعّب معرفة حقيقتها.

ويستمرّ هذا التناقض في الروايات؛ إذ أن أمير المدينة سعيد بن العاص رضي الله عنه[5] اعتزل الناس حين وقوع الأمر [6]، وعلى النقيض نجده يقف مع مروان وبني أمية في اعتراضهم بني هاشم بالسلاح [7] ويحرّض أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لتمنع دفن الحسن بالحجرة النبوية[8].

---

(1) ابن عساكر، المصدر السابق، ج13، ص289.

(2) ابن سعد، المصدر السابق، ج6، ص393.

(3) المصدر نفسه، ص389.

(4) ابن عساكر، المصدر السابق، ج13، ص289.

(5) سعيد بن العاص بن سعيد، صحابي، أحد كُتّاب المصحف في خلافة عثمان رضي الله عنه، عيّنه الخليفة عثمان رضي الله عنه والياً على الكوفة، وولّاه الخليفة معاوية رضي الله عنه المدينة، ساهم في الفتوحات، كان جواداً كريماً، توفي عام59هـ /679م. (أنظر: ابن عبد البر، المصدر السابق، مج2، ص621، 624).

(6) ابن سعد، المصدر السابق، ج6، ص389.

(7) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت 292هـ/904م)، تاريخ اليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2010، مج2، ص134.

(8) ابن أعثم، أحمد (ت314هـ/ 926م)، كتاب الفتوح، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، بيروت، 1991، =

خلاصة القول، أن الحادثة وقعت لكن ضُخِّمت في بعض الروايات، رُبّما الأمر اجتهاد من مروان كما دلّت بعض الروايات أن الناس استصوبوا رأيه وفعله، وأنه لا يُدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أحد آخر، واستعظموا ذلك [1]، وحتى الحسن رضي الله عنه كان يتوقّع رفض الناس للأمر، فأوصى أخاه بتجنّب الفتنة وإراقة الدماء، ودفنه في مقابر المسلمين[2].

وما يُؤكّد هذا الطرح، أن مروان حمل سرير جنازة الحسن رضي الله عنه [3] وهو يبكي[4]، ما يُشير إلى أن قصة الحادثة تمّ تهويلها لأغراض مذهبية مقيتة، للنيل من بني أمية عموماً، ومروان بن الحكم خُصوصاً.

والحادثة الأخرى التي تُصوّر العلاقة بين الطرفين، أن الأمير مروان كان يسبّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه في كل خُطبة جُمعة طيلة مدة ولايته على المدينة–الأولى والثانية–، فردّ عليه الحسين رضي الله عنه ردًّا قبيحاً[5].

= ج4، ص320.

(1) ابن سعد، المصدر السابق، ج6، ص393–394.

(2) المصدر نفسه، ص388.

(3) المصدر نفسه، ص393.

(4) ابن عساكر، المصدر السابق، ج13، ص252.

(5) ابن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، ط 2، دار الخاني، الرياض، 2001، مج3، ج6، ص176. أشار محقق الكتاب في هامش الصفحة أن إسناد هذه الرواية صحيح. لكن من المتعارف عليه بين علماء الحديث أن صحّة السند لا تعني إطلاقاً صحّة الحديث، لذا نجد عندهم ما يُسمّى "العلّة القادحة" في الحديث إذا كان السند صحيحاً والمتن فيه ضعف؛ لأنه إذا قبلنا هذه الرواية ففيها طعن في الصحابة الذين قبلوا بالأمر –وحاشاهم ذلك–. وقد وردت هذه الرواية بزيادات كبيرة فيها سبّ وشتم بين مروان والحسين رضي الله عنه. (أنظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج6، ص409–410).

هذه الرواية مرفوضة؛ لأنه إذا سلّمنا بصحّتها فذلك يعني أن الصحابة الذين كانوا بالمدينة حينها أمثال: سعد بن أبي وقاص، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وزيد بن ثابت، وسعيد بن زيد [1] وغيرهم من خيار الصحابة رضوا بهذا الفعل وقَبِلوه –وحاشاهم ذلك–؛ إذ مرّ معنا سابقاً أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه طلب من الأمير مروان أن ينهى أهل الشام عن سبّ علي، فلو كان الأمير يفعل ذلك لاعترض عليه سعد وطلب منه الكفّ عنه، ونجد أن سعيد بن زيد رضي الله عنه أنكر على رجل سمعه يذمّ عليّاً بالكوفة وردّ على فاعله[2]، ما يُوضّح الموقف الرافض للصحابة من هذا الفعل الشنيع.

إضافةً إلى ذلك، توجد رواية –أشكّ في صحّتها– تزعم أن الخليفة معاوية رضي الله عنه حين زار المدينة، صعد المنبر وأراد لعن عليّ، فنصحه الحاضرون بتجنّب ذلك لوجود سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، فلمّا مات سعد، أمر معاوية بلعن عليّ على المنابر [3]، فالخليفة لم يجرأ على ذلك في حياة سعد رضي الله عنه فما أدراك بالأمير.

تُكذّب هذه الرواية –رغم ضعفها– الرواية التي سبقتها، لأن سعداً عاش حتى أواخر ولاية مروان الثانية على المدينة؛ إذ توفي عام 55هـ/675م[4]، أي لم يُسَبَّ عليٌّ رضي الله عنه إلا بعد هذا العام–كما تزعم الرواية–، فكيف كان الأمير مروان يسبُّه طيلة مدّة ولايته؟

---

(1) سعيد بن زيد بن عمرو، أحد العشر المبشرين بالجنة، ومن السابقين الأولين في الإسلام، توفي عام51هـ/671م. (أنظر: ابن عبد البر، المصدر السابق، مج2، ص614، 620).

(2) البلاذري، المصدر السابق، ج10، ص470.

(3) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (ت 328هـ/939م)، العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ج5، ص114–115. وغالت بعض الروايات في الموضوع حتى قيل أن معاوية أعطى للصحابة أموالاً لرواية أحاديث نبوية مكذوبة في ذمّ علي، مثل الصحابي أبي هريرة رضي الله عنه، وفُنّدت هذه الروايات من طرف الباحثين. (أنظر مثلاً: الخطيب محمد عجاج، السنة قبل التدوين، ط2، مكتبة وهبة، القاهرة، 1988، ص441، 446).

(4) ابن عساكر، المصدر السابق، ج20، ص293–294.

وعلى النقيض مما ذُكر سابقاً، نجد روايات أخرى تُقدّم لنا صورة حسنة للعلاقة بين الطرفين، بعيدة عن السبّ والشتم واللعن، مثل أن الحسن والحسين رضي الله عنهما كانا يُصلّيان خلف الأمير مروان، ويتقدّمان في الصفّ[1].

ولمّا خرج الحسين رضي الله عنه إلى العراق، كتب مروان رسالة إلى عبيد الله بن زياد يوصيه فيها بالحسين، ويحذّره من إلحاق الأذى به [2]. ولمّا بلغه خبر مقتله بكاه بكاءً شديداً[3]، وأرسل هِبةً مالية إلى ابنه علي بن الحسين [4] تُقدّر بستة آلاف دينار– من ماله الخاص– مُواساةً له في هذه المحنة العصيبة، وليستعين بها في قضاء حوائجه [5]، وكان علي بن الحسين من أحبّ الناس إلى مروان وابنه عبد الملك[6].

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص709. يتحجّج الشيعة أن صلاة الحسن والحسين رضي الله عنهما خلف الأمير مروان تقيّةٌ منهما، لكن لو كان مروان ملعوناً كما قيل عنه، كيف يقبلان الصلاة خلفه وقد افتقد شروط الإمامة أساساً؟

(2) ابن سعد، المصدر السابق، ج6، ص429. جاء في الرسالة: ((أما بعد: فإن الحسين بن عليّ قد توجه إليك، وهو الحسين بن فاطمة، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبالله ما أحد يُسلّمه الله أحبّ إلينا من الحسين، فإياك أن تهيّج على نفسك ما لا يسده شيء ولا تنساه العامّة ولا تَدَعْ ذِكْرَه، والسلام)). (أنظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج 14، ص212). تُعبّر الرسالة عن حُبّ مروان للحسين رضي الله عنه، واحترامه ومعرفة منزلته بين المسلمين.

(3) ابن حمدون، محمد بن الحسن (ت 562هـ/1167م)، التذكرة الحمدونية، تحقيق إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، 1996، مج9، ص149.

(4) زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، من أفاضل التابعين، كان فقيهاً زاهداً عابداً، توفي عام94هـ/713م. (أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص479، 503).

(5) ابن عساكر، المصدر السابق، ج 57، ص247. وراوي هذه الحادثة : "جعفر الصادق" من كبار أئمة أهل البيت، أي شهد شاهدٌ من أهلها، مما يُثبت العلاقة الطيبة التي ربطت الأمير مروان بآل علي عامّة، وبِزين العابدين خاصّة.

(6) أبو زُرعة، المصدر السابق، ص189.

وتذكر إحدى الروايات أن مروان أقرض علي زين العابدين مائة ألف درهم لتحسين ظروفه المعيشية؛ بُغية الحفاظ على ذُرّية أهل بيت النبوّة، وأوصى بنيه حين وفاته ألاّ يستردّوا المبلغ منه [1]، فلو كان مروان عدواً لبني هاشم لَمَا أعطى هذا المبلغ الكبير لزين العابدين، وما كان ليهتمّ بذُريّته.

وإذا ما عُدنا إلى أُمّهات كُتب الشيعة المعتمدة في مذهبهم، نجد روايات تُؤكّد العلاقة الحسنة بين الأمير مروان والحسن والحسين رضي الله عنهما؛ فقد كانا يُصلّيان خلف الأمير صلاة الجماعة، ولا يُعيدانها إذا رجعا إلى البيت [2]، وحمل الأمير جنازة الحسن رضي الله عنه، ومدح حِلمه بأنه يُضاهي الجبال [3]. كما ذكروا أن مروان أُسِر في معركة الجمل [4] فاستشفع له الحسن والحسين رضي الله عنهما عند والدهما علي رضي الله عنه فأطلق سراحه[5]. يدلّ هذا الفعل على العلاقة الحسنة بينهم، وأنها قديمة من قبل أن يتولّى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه الخلافة.

---

(1) ابن عساكر، المصدر السابق، ج41، ص374.

(2) أنظر مثلاً: ابن موسى، إسماعيل (توفي في القرن3هـ/9م)، الجعفريات، تحقيق مشتاق صالح المظفر، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء–العراق، 2013، ج1، ص127؛ الراوندي، فضل الله بن علي (ت571هـ/1176م)، النّوادر، تحقيق سعيد رضا علي العسكري، دار الحديث الثقافية، قُم–إيران، 1997، ص163؛ المجلسي، محمد باقر (ت1111هـ/1699م)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد الباقر البهبودي، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1983، ج44، ص123.

(3) المجلسي، المصدر السابق، ج44، ص145–146.

(4) معركة الجمل عام36هـ/656م في البصرة، وهي فتنة بين فئتين من المسلمين، فئة الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفئة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي كانت تركب جملاً فسُمّيت المعركة بذلك. (أنظر تفاصيلها: الطبري، المصدر السابق، ج4، ص444، 541).

(5) ابن أبي الحديد، المصدر السابق، مج 3، ج6، ص261. وروى أبو الفرج الأصفهاني – شيعي المذهب– أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد أن أطلق سراح مروان بن الحكم كساه كُسوةً. (أنظر: الأصفهاني، علي بن الحسين (ت356هـ/976م)، الأغاني، تحقيق إحسان عباس وآخرون، ط3، دار صادر، بيروت، 2008، مج10، ص61).

أختم هذا الموضوع بشهادة أحد أئمة أهل البيت وهو: محمد الباقر [1]؛ إذ سُئل عن أَمِيريْ المدينة سعيد بن العاص رضي الله عنه ومروان بن الحكم، فأجاب: ((كان مروان يعذلنا بلسانه ويصلنا، وكان سعيد بن العاص لا يعذلنا ولا يصلنا، فقلت له –أي السائل–: أيهما كان أحبّ إليكم؟ قال: مروان كان خيراً لنا في السرّ من سعيد))[2].

يُستفاد من شهادة محمد الباقر أن الأمير مروان في ظاهره يبدو غليظًا في معاملته أهل البيت وكلامه معهم، لكنّه في باطنه لا يحمل قلبه حقداً أو بُغضاً لهم؛ بل كان يُكرمهم ويجود بماله عليهم؛ أي سريرته أحسن من علانيته، وهي من الصفات التي يُستحبّ أن يتحلّى بها المسلم.

ويُفترض أن تكون أخلاق المسلم على هذا النّحو؛ فقد نختلف مع بعضنا البعض في الرأي، لكن لا يجب أن يسودّ قلب المسلم، ويطغى عليه الحقد والكراهية وحبّ الإنتقام من أخيه المسلم، بل نقف مع بعضنا البعض في الشّدة والرّخاء، وألّا نبيت ليلتنا وفي قلوبنا غلٌّ على أحد المسلمين كما أرشدنا الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

---

(1) محمد الباقر بن علي زين العابدين، من التابعين، أحد أئمة أهل البيت، كان عالماً عابداً، توفي عام114هـ/732م. (أنظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج7، ص315، 318).

(2) ابن عساكر، المصدر السابق، ج57، ص247.

2- مشاركة سكان المدينة في الأحداث السياسية

يميل أغلب الباحثين والدّارسين لتاريخ الخلافة الأموية إلى أن المدينة في العصر الأموي عاشت عُزلةً سياسية، ولم يعد لها أي دور في شؤون السياسة، بسبب انتقال العاصمة منها إلى مدينة دمشق. ونتيجة لذلك اتّجه أهلها إلى حياة الترف واللهو، بعيداً عن ضوضاء السياسة وأمور الحكم.

إلى أي مدى هذا الطرح صحيح؟ وهل كانت هذه العزلة مطلقة؟ وهل فقد بالفعل سكان المدينة تأثيرهم ودورهم في الأحداث السياسية آنذاك؟

2-1- أهمية المدينة عند الخلفاء الأمويين:

إن ولاية المدينة من أهم الولايات، ومركز الثقل بالنسبة إلى الخلافة؛ إذ فيها الصحابة من المهاجرين والأنصار وأبناؤهم، ولا تكاد تنعقد البيعة إن لم يبايع سكان المدينة، لأن فيها أهل الحلّ والعقد، ومن يطيعهم الناس ويسيرون برأيهم [1]. ونظراً لتلك الشخصيات المرموقة في قلوب المسلمين، كان سكان المدينة في زمن خلافة معاوية رضي الله عنه يمثلون ثقلاً سياسيا كبيرا[2].

لم يفقد الحجازيون تأثيرهم، فالخليفة معاوية رضي الله عنه ومن جاء بعده حجازيون، وهذا ما جعل صلتهم بالحجاز قوية، فقد زار هذا الإقليم عدد من الخلفاء الأمويين، وكان الحج عاملا كبيرا في هذه الزيارات التي لم يحظ بها أي إقليم من أقاليم الخلافة، وإن كان

---

(1) شاكر محمود، التاريخ الإسلامي العهد الأموي، ط7، المكتب الإسلامي، بيروت، 2000، ج4، ص81. مثل أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وابن عمر وابن عباس ويُضاف لهم أُمّهات المؤمنين رضوان الله عليهم.

(2) الشيباني محمد بن عبد الهادي بن رزّان، مواقف المعارضة في عهد يزيد بن معاوية (60-64هـ)، ط2، دار طيبة، الرياض، 2009، ص113.

الغرض الأساسي للزيارة هو الحج إلا أن الخلفاء كانوا يستغلون الفرصة للاطلاع شخصيا على أحوال الإقليم وتقوية الصلة بأهله، ووفد بعض رجال الحجاز على البلاط الأموي مما عزّز هذه الصلة[1].

ونظراً لأهمية المدينة، انتقى الخلفاء الأمويون لها وُلاةً من البيت الأموي نفسه، من أصحاب الخبرة القادرين على فهم نفسية سكانها، ومعاملتهم بما يتفق وميولهم وأمزجتهم، وأرسى دعائم هذه السياسة الخليفة معاوية رضي الله عنه[2].

2-2- مشاركة سكان المدينة في الفتوحات:

تُعد الفتوحات حدثا هاما؛ إذ تُشرف عليها الدولة، وتُسخِّر لها كافة الإمكانيات المادية والبشرية، وفي زمن الخلافة الأموية كَثُرت الفتوحات، وامتدّت إلى الهند شرقا والأندلس غربا، ولم يتخلّف سكان المدينة عن مواكبة هذا الحدث؛ إذ نجدهم في طليعة جيوش الفتح، وعلى رأسهم الصحابة والتابعون.

غزا المسلمون أرض الروم عام 42هـ/662م، وعيّن الخليفة معاوية رضي الله عنه عبد الملك بن مروان قائدا لجنود المدينة، فركبوا السُّفن وغزوا العدوّ [3]، وهذه ثقة كبيرة من الخليفة في عبد الملك، فلم يمنعه صِغر سنّه [*] من قيادة جيش المسلمين لمواجهة أعتى إمبراطورية آنذاك وعن طريق البحر الذي كانت خبرة المسلمين فيه قليلة، وفي نفس الوقت تبرز لنا كفاءته ومقدرته العسكرية التي اكتسبها من والده الأمير مروان.

---

(1) العلي صالح أحمد، الحجاز في صدر الإسلام دراسات في أحواله العمرانية والإدارية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1990، ص10.

(2) خماش نجدة، الإدارة في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق، 1980، ص108.

(3) ابن سعد، المصدر السابق، ج7، ص221.

(*) كان سِنُّ عبد الملك حينها ستة عشرة سنة، لأنه وُلد عام 26هـ/646م كما تقدّم ذكره في الفصل الأول، ويستوقفنا هذا الحدث لنرى حال شباب المسلمين في ذلك الزمن؛ إذ كانوا يقودون الجيوش ويخضون المعارك أمام أقوى الدول والإمبراطوريات، دون خوف أو رهبة، هدفهم إعلاء كلمة لا إله إلا الله، ولو بذلوا في سبيلها مُهجهم.

وشارك سكان المدينة في حملة معاوية بن حديج رضي الله عنه [1] على بلاد المغرب عام45هـ/665م، وكان في جيشه عدد من الصحابة وأشراف قريش، وأبلوا بلاءً حسنا[2].

ولم يتخلّفوا عن حملة القسطنطنية [3] عام 49هـ/668م؛ إذ كان في الجيش جمعٌ من الصحابة مثل: عبد الله بن عمر [4] وابن الزبير وابن عباس رضي الله عليهم، وكُلهم من أعيان أهل المدينة[5]. وقبلها ركب سكان المدينة وسكان مصر البحر لجهاد الروم[6].

الخلاصة أن سكان المدينة لم يتخلفوا عن الجهاد في سبيل الله، وشاركوا في الفتوحات شرقا وغربا، ولم يعتزلوا الحياة السياسية–لأن الفتوحات ذات طابع عسكري سياسي–، للتفرّغ لحياة الترف والخمول كما ادّعت بعض الكتابات[7].

---

(1) معاوية بن حديج بن جفنة، ويُقال: معاوية بن خديج، صحابي، والي مصر في خلافة معاوية رضي الله عنه، غزا بلاد المغرب، وأسس معسكر القَرَن الذي يُعدّ النواة الأولى لمدينة القيروان، توفي عام 52هـ/672م. (أنظر: ابن حجر، الإصابة، ج6، ص116–117).

(2) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص16.

(3) القُسطَنطِنية: عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، ت تُطلّ على البحر الأسود وبحر مرمرة، حاول المسلمون فتحها منذ عهد الخلافة الأموية لتحقيق بشارة النبي صلى الله عليه وسلم بفتحها، ولم يتمكنوا من ذلك إلا في عهد الدولة العثمانية؛ إذ فتحها السلطان محمد الثاني الملقّب بـ"الفاتح"، وأصبحت تسمى "إسطنبول". (أنظر: الحموي، المصدر السابق، مج4، ص347–348).

(4) عبد الله بن عمر بن الخطاب، من علماء الصحابة، روى الكثير من الأحاديث النبوية، كان زاهداً عابداً، توفي عام73هـ/692م. (أنظر: ابن عبد البر، المصدر السابق، مج3، ص950، 953).

(5) الطبري، المصدر السابق، ج5، ص232.

(6) المصدر نفسه، ص231.

(7) يرى طه حسين وشوقي ضيف وإبراهيم بيضون أن الخليفة معاوية رضي الله عنه شجّع الغناء واللهو في المدينة، بإغداقه الأموال على سكانها، فابتعدوا عن السياسة ومشاغلها، وتأثر بهذه الفكرة–من أفكار المستشرقين– أغلب الباحثين المعاصرين. (أنظر: حسين طه، حديث الأربعاء، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2014، =

2-3- تولّي سكان المدينة مناصب سياسية في الخلافة الأموية:

أُسندت معظم الوظائف السامية في الخلافة الأموية -خاصة ولاية الأقاليم وقيادة الجيوش- إلى رجال الحجاز، وبذلك كان للحجازيين أثر كبير في إدارة أقاليم الخلافة[1].

عيّن الخليفة معاوية رضي الله عنه من سكان المدينة وُلاة للأمصار مثل: عبد الله بن عامر رضي الله عنه [2] والي البصرة [3]، وعقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه [4] والي مصر[5]، ثم خَلَفه مسلمة بن مُخلَّد رضي الله عنه[6]، وسعيد بن عثمان[7] والي خُراسان[8].

= ص199-200؛ ضيف شوقي، التطور والتجديد في الشعر الأموي ، ط8، دار المعارف، القاهرة، 1987، ص25-26؛ بيضون، المرجع السابق، ص156).

(1) العلي، المرجع السابق، ص11-12.

(2) عبد الله بن عامر بن كريز، صحابي، فاتح خراسان، كان سخياً كريماً، توفي عام 59هـ/ 679م. (أنظر: ابن عبد البر، المصدر السابق، مج3، ص931، 933).

(3) ابن خياط، المصدر السابق، ص124.

(4) عقبة بن عامر بن عبس، صحابي، كان فقيهاً عالماً بالفرائض، توفي عام 58هـ/678م. (أنظر: ابن حجر، الإصابة، ج4، ص429-430).

(5) الكندي، المصدر السابق، ص37.

(6) المصدر نفسه، ص 38. مسلمة بن مُخلَّد بن الصامت، صحابي، والي مصر وإفريقية، توفي عام62هـ/682م. (أنظر: ابن عبد البر، المصدر السابق، مج3، ص1397-1398).

(7) سعيد بن عثمان بن عفان، تابعي، مات عام 58هـ/678م. (أنظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج 21، ص220، 228).

(8) الطبري، المصدر السابق، ج 5، ص304، 306. خُراسان إقليم واسع يشمل أفغانستان وتركستان وشرق إيران، كان له دور كبير في التاريخ الإسلامي؛ فمنه انطلقت الدعوة العباسية، وأنجب العديد من القادة والعلماء المسلمين في مختلف الميادين، الذين صنعوا الحضارة الإسلامية. (أنظر: الحموي، المصدر السابق، مج 2، ص350، 354).

2-4- وفادات سكان المدينة على الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه:

إن وفود الأشخاص أو الجماعات على الخلفاء والأمراء والولاة أمر مألوف؛ إذ استقبل الرسول صلى الله عليه وسلم وفود القبائل العربية ورُسل الملوك [1]، وكذا الأمر زمن الخلفاء الراشدين[2].

حين تولى معاوية رضي الله عنه الخلافة أتته الوفود من كل الأمصار، لمبايعته، ثم توالت زياراتها، فَقَدِم عليه سكان المدينة، فُرادى وجماعات خلال مدة حُكمه، ما يُثبت أن المدينة لم تنعزل عن الحياة السياسية في العصر الأموي؛ إذ أن هذه الوفادات تُعبّر عن الوعي السياسي لدى سكانها، ومعرفتهم بمستجدّات الأحداث، وصلتهم القريبة بمركز الخلافة رغم بُعد المسافة بين المدينة ودمشق.

والأمثلة كثيرة عن هذه الوفادات، وما جرى فيها بين الخليفة وسكان المدينة، ومن ذلك أن وفداً من أبناء الصحابة فيهم ابن عباس وابن الزبير وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم[3] دخلوا على الخليفة معاوية رضي الله عنه، فأجلس ابن عباس وابن جعفر على سريره، أحدهما على يمينه والآخر على يساره[4].

---

(1) كان ذلك في عام 9هـ/630م؛ وقد جاءت وفود القبائل العربية للدخول في الإسلام؛ فسُمّي "عام الوفود". (أنظر: ابن هشام، عبد الملك (ت 213هـ/828م)، السيرة النبوية، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط 3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1990، ج4، ص203، 241).

(2) أنظر: البدراني جاسم محمد جاسم، الوفادات على الخلفاء الأمويين، دار الكتاب الثقافي، إربد-الأردن، 2005، ص28، 33.

(3) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، صحابي، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، أول مولود للمسلمين بالحبشة، كان جواداً كريماً، وله في ذلك أخبار مشهورة، توفي عام 80هـ/699م. (أنظر: ابن عبد البر، المصدر السابق، مج3، ص880، 882).

(4) مجهول، المصدر السابق، ص59.

يدلّ هذا على منزلتهما الكبيرة لدى الخليفة نظرا لصلة القرابة التي تربطهما معه، وكذلك لمكانتهما المتميزة في المجتمع ومدى تأثيرهما على الناس، فضلا عن قرابتهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم-أبناء أعمامه-، فلذلك حظيا بهذا التقدير المميز في مجلس الخليفة أمام الحاضرين من كبار قادة الدولة والأعيان والأشراف[1].

كان عبد الله بن جعفر رضي الله عنه يفد على الخليفة كل سنة؛ فيُجيزه بأموال كبيرة ويقضي حاجاته[2]، وكذا الأمر مع الحسن رضي الله عنه [3]. ووفد عليه عدد من الصحابة أمثال: سعد بن أبي وقاص [4]، وأبو الجهم[5]، والمسور بن مخرمة -كان من المنتقدين له-، فرحّب به، ثم تحاورا في نقاط الخلاف بينهما، واستطاع الخليفة أن يُغيّر نظرته إليه، فصار يذكره بخير [6].

ودخل عليه وفد من الأنصار يشكون له هجاء الأخطل [7] لهم بما ليس فيهم، فاسترضاهم الخليفة، وأعطاهم الحق في القصاص منه [8]، لمعرفته منزلتهم وقدرهم بين المسلمين، وله في ذلك فراسة وفطنة.

---

(1) البدراني، المرجع السابق، ص47.

(2) ابن عساكر، المصدر السابق، ج27، ص263.

(3) المصدر نفسه، ج13، ص166.

(4) البلاذري، المصدر السابق، ج5، ص31.

(5) المصدر نفسه، ص61. أبو الجهم عامر بن حذيفة، صحابي، من مشيخة قريش، توفي في خلافة ابن الزبير رضي الله عنه. (أنظر: ابن حجر، الإصابة، ج7، ص60، 62).

(6) ابن سعد، المصدر السابق، ج6، ص21.

(7) غياث بن غوث، من أشهر شعراء العصر الأموي، كان نصرانياً، توفي عام92هـ/710م.(أنظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج48، ص104، 123).

(8) ابن أبي الدنيا، المصدر السابق، ص112-113.

تعامل الخليفة معاوية رضي الله عنه مع الوافدين إليه من المدينة باحترام كبير وصدرٍ رحبٍ، فقد دخل عليه نافع بن جبير [1] بعد أن تعارك بالأيدي مع حارس الباب، فلم يُعاقبه على فعله وصفح عنه [2]، وبعث ذات مرّة إلى رجل من الأنصار خمسمائة دينار، فلم تملأ عينيه، وعدّها غير كافية، فطلب من ابنه أن يُرجعها للخليفة ويرميها له، فنفّذ الإبن طلب أبيه، ولم يغضب معاوية رضي الله عنه من الأمر [3].

وفي سياق الحديث عن احترام معاوية رضي الله عنه لسكان المدينة، فإن غلمان هذا الأخير اقتتلوا مع غلمان ابن الزبير رضي الله عنه–بسبب أرضٍ بينهما–، فأرسل هذا الأخير إليه كتاباً يتهدّده فيه، فوهب له معاوية الغلمان والأرض معاً[4].

إن المتأمّل لما سبق ذكره، يلمس منزلة سكان المدينة –خاصة الصحابة– لدى الخلافة الأموية، وأن الخليفة يُكنّ لهم الاحترام والتقدير نظراً لمكانتهم عند الناس ليس في الحجاز فقط، وإنما في جميع الأمصار الإسلامية، مما يُكذب المزاعم التي تدّعي أنّ انتقال عاصمة الدولة الإسلامية من المدينة إلى دمشق أفقد الصحابة نفوذهم السياسي، فانكبّوا على دراسة الحديث والسُّنة النبوية لسدّ ذلك الفراغ [5]، أو أنّ السكان عاشوا حياة اللهو والترف والخمول، واعتزلوا السياسة ومشاكلها.

---

(1) نافع بن جبير بن مُطعِم، تابعي، كان من العُبّاد، توفي عام 99هـ/717م. (أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص661–662).

(2) البلاذري، المصدر السابق، ج5، ص74.

(3) المصدر نفسه، ص86.

(4) المصدر نفسه، ص60–61.

(5) بروكلمان، المرجع السابق، ص116.

2-5- موقف سكان المدينة من بيعة يزيد بن معاوية[1] بولاية العهد:

تُوفي الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يعهد إلى أحد من الصحابة بالحكم، فترك الأمر شورى بين المسلمين، فاختاروا أبا بكر رضي الله عنه، هذا الأخير بعد استشارته أهل الحلّ والعقد عَهِد بالخلافة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي حين حضرته الوفاة ترك الأمر شورى بين ستة من خيار الصحابة.

أوجد الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه نظام الوراثة في الخلافة، مُعتقداً أنه بذلك يحلّ المشاكل التي يُمكن أن تقع بين المسلمين، فربما لو ترك الأمر بعد وفاته دون ولي عهد لظهر الخصام، وحدث الاقتتال والتنافر، فهو بهذا النظام يمنع الخلاف، ويحقن الدماء، وهو اجتهاد منه في أمر لم تُجمع الأمة على خلافه-أي الوحدة وحقن الدماء-[2].

إذن، نظام ولاية العهد نظام جديد لم يعهده المسلمون من قبل، استحدثه الخليفة معاوية رضي الله عنه بمبايعة ابنه يزيد بالخلافة[*]، فاختلفت الآراء فيه. وعليه نتساءل:

ما هو موقف سكان المدينة من هذا النظام الجديد في الحكم؟

استدعى الخليفة معاوية رضي الله عنه وفود الأمصار إلى دمشق واستشارهم في بيعة يزيد، فعبّر كلّ وفدٍ عن رأيه ثم بايعوا، وذلك عام55هـ/675م[3]، لكن وفد المدينة لم يحضر

---

(1) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ثاني الخلفاء الأمويين، قائد أول محاولة لفتح القسطنطنية، جرت في خلافته الكثير من الفتن بين المسلمين، توفي عام 64هـ/683م. (أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص637، 661).

(*) تهتم الدراسة بموقف سكان المدينة من هذه البيعة، أما عن أسبابها وما جرى فيها من أحداث (أنظر: الشيباني، المرجع السابق، ص93، 188).

(2) العش، المرجع السابق، ص161، 164.

(3) ابن أعثم، المصدر السابق، ج4، ص332، 334.

هذا الاجتماع؛ لأنّه قدِم متأخراً، فاستقبل الخليفة رئيس الوفد عمرو بن حزم الأنصاري [1]، الذي لم يَرُق له اختيار يزيد ولياً للعهد؛ فنصحه بأن يُحسن اختيار من يخلفه في شؤون المسلمين، فعرف الخليفة أن سكان المدينة يرفضون الأمر، فشكره على نصحه[2].

بعد بيعة الوفود بدمشق، كتب معاوية رضي الله عنه إلى أُمراء الأمصار يطلب منهم حثّ الرعية على البيعة، ولمّا وصلت رسالة الخليفة إلى أمير المدينة مروان، جمع الناس في المسجد، وقرأ عليهم الرسالة، ودعاهم إلى طاعة الخليفة [*]، فعارضه عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه [3]، ورفض أن يُبايع بحجة أن توريث الحكم من عادات الروم والفرس، وأن هذا أمر لم يحدث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم أو خلفائه الراشدين، وتبعه في رأيه ابن عمر وابن الزبير والحسين رضي الله عنهم[4].

أما سعيد بن عثمان بن عفان فقد توّجه إلى الشام، ودخل على الخليفة، فعاتبه على اختيار ابنه ولياً للعهد، وأنه الأجدر بالأمر من يزيد، فتقبّل الخليفة انتقاده بصدرٍ رحبٍ، وتفهّم حماسة الشباب المتوقّدة فيه، وتطلّعه لتحمّل المسؤولية، فعيّنه والياً على إقليم خراسان وذلك بمشورة من ابنه يزيد[5].

---

(1) عمرو بن حزم الأنصاري، صحابي، أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل نجران ليُفقّههم في الدين، توفي عام53هـ/672م. (أنظر: ابن حجر، الإصابة، ج4، ص511-512).

(2) أبو يعلى، أحمد بن علي (ت 307هـ/920م)، مسند أبي يعلى الموصلي ، تحقيق إرشاد الحق الأثري، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة-المملكة العربية السعودية، 1988، مج6، ص353-354.

(*) أنظر الملحق رقم 07 ص192.

(3) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، صحابي، توفي عام55هـ/675م. (أنظر: ابن عبد البر، المصدر السابق، مج2، ص824، 826).

(4) ابن الأثير، علي بن محمد (ت 630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، مج3، ص351-352.

(5) ابن عساكر، المصدر السابق، ج21، ص225. كان سكان المدينة قد رشّحوا سعيد بن عثمان بن عفان =

بعث أمير المدينة بردّ عبد الرحمن بن أبي بكر ومن معه إلى الخليفة، فقرّر القدوم بنفسه–لأن الأمصار كلها بايعت إلا المدينة–، فاعتمر في رجب عام 56هـ/676م، وخطب في الناس يدعوهم إلى بيعة يزيد، فبايعوه إلا أربعة نفر–سبق ذكرهم– فإنهم توجهوا نحو مكة، فلحق بهم، وتحاوروا في المسألة، وحاول إقناعهم برأيه لكنهم رفضوا أن يبايعوا لخليفتين في نفس الوقت، فرجع إلى الشام[1].

نُلاحظ أن المعارضين احتجّوا بأن ولاية العهد لم تكن زمن الخلفاء الراشدين، ومن ناحية أخرى البيعة باطلة لوجود حديث نبوي لا يُجيز بيعة خليفتين في آن واحد [*]، لكنهم لم يحتجّوا بأن يزيد فاسق وماجن، وهذا ما يُشير إلى أن هذه الصفات التي أُتّهم بها فيما بعد مكذوبة عليه[2].

= لخلافة معاوية رضي الله عنه، وكانوا يقولون: "والله لا ينالها يزيد حتى ينال هامه الحديد إن الأمير بعده سعيد" وعليه كانت له طموحات في الخلافة؛ فعاتب الخليفة على اختياره ابنه يزيد. (أنظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج21، ص223).

(1) ابن خياط، المصدر السابق، ص131–132. زعمت بعض الروايات أن معاوية رضي الله عنه استعمل القوة مع هؤلاء النفر لأخذ بيعتهم؛ إذ قام خطيباً في المسجد الحرام، وذكر أن المعارضين قد بايعوا، وفي نفس الوقت وضع إلى جانب كل واحد منهم حارسين وأمرهم أن يضربوا أعناقهم إن رفضوا البيعة أو احتجّوا أمام الناس. (أنظر: الطبري، المصدر السابق، ج5، ص338، 343). لكن هذه الرواية ضعيفة لأن معاوية أُشتهر باستعماله سياسة اللّين أكثر من سياسة القوة، ومثل هذا الموقف الخطير يحتاج إلى ليونة كبيرة، وحذرٍ شديد في اتّخاذ أي قرار، ومن جهة أخرى تُؤكّد روايات صحيحة السند أنهم لم يُبايعوا فتركهم وشأنهم، وأن يزيد حين تولّى الخلافة أرسل إلى والي المدينة ليأخذ البيعة منهم. (أنظر: الخلّال، أحمد بن محمد (ت 311هـ/924م)، السُّنّة، تحقيق عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، 1989، ج3، ص520).

(*) قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَاقْتُلُوا الآخَرَ مِنْهُمَا)). (أنظر: مسلم، المصدر السابق، كتاب الإمارة، باب: إذا بُويع لخليفتين، رقم1853، ص774).

(2) الشيباني، المرجع السابق، ص124.

إن ما جرى بين الخليفة والمعارضين من نقاش يبين لنا الوعي السياسي لدى أبناء الصحابة، وكيف كان الحوار صريحاً، وكذا الأمر في بيعة الوفود حين عبّروا عن آرائهم بكل صراحة ودون ضغوط تذكر [1].

تُعدّ بيعة يزيد بولاية العهد أهم حدث تصدّرت فيه المدينة واجهة الأحداث السياسية في خلافة معاوية رضي الله عنه برفضها لها، لكن مضمون هذه المعارضة سياسي في المقام الأول؛ إذ لم يحاول السكان القيام بعمل مسلّح للتعبير عن رأيهم[2].

(1) الشيباني، المرجع السابق، ص128-129.

(2) بيضون، الدولة الأموية والمعارضة ، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1985، ص40-41.

3- الإدارة والقضاء

تقاسم السلطة في المدينة ثلاثة رجال: الأمير -يُعينه الخليفة-، ورئيس الشرطة، والقاضي، ويُعينهما الأمير [1].

إمارة مروان بن الحكم على المدينة إمارة عامة، تجمع بين الجانب السياسي والمالي والديني والعسكري في آنٍ واحدٍ؛ إذ يقوم بجمع الزكاة، وإمامة الناس في الصلاة، وإقامة الحج، وحماية المسلمين، وتطبيق الحدود، وتعيين القاضي وصاحب الشرطة ومهام أخرى[2].

3-1- الإدارة:

لم تكن المدينة وحدها خاضعة لسلطة الأمير مروان، بل نجد أيضا مكة والطائف اللّتان ضُمّتا إليه في وقت لاحق[3]، وأحياناً اليمن[4].

وكانت تتبع المدينة مجموعة من الأقسام الإدارية الصغيرة [*]، وتشمل مواطن القبائل العربية وفروعها المنتشرة في بادية الحجاز ونَجْد [5]، وكان الأمير يُعيّن من يُشرف على شؤونها ويجمع زكاتها. ومنها:

---

(1) شُرّاب، أخبار العقيق، المرجع السابق، ص286.

(2) الماوردي، علي بن محمد (ت 450هـ/1058م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق سمير مصطفى رباب، المكتبة العصرية، بيروت، 2010، ص41. ويذكر الماوردي أن الإمارة الخاصة يُشرف فيها الأمير على شؤون الرعية والجيش، دون أن تكون له سلطة قضائية أو مالية. (أنظر: المصدر نفسه، ص 43-44).

(3) ابن خياط، المصدر السابق، ص124.

(4) ابن شبه، المصدر السابق، ج1، ص62.

(*) أنظر الملحق رقم02 ص187.

(5) نَجْد: أحد أقاليم شبه الجزيرة العربية، يحدّه غرباً البحرين، وشرقا الحجاز، وشمالا العراق والشام، وجنوبا العَرُوض. (أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، مج5، ص261، 265).

* بنو عامر بن عقيل، همّام بن مطرف العقيلي[1].

* بنو كعب بن ربيعة (قُشير وجَعدة والحَريش)، عمر بن عبد الرحمن بن عوف ثم نوفل بن مساحق[2].

* بنو عمرو وبنو حنظلة، الحارث بن حاطب الجمحي رضي الله عنه[3].

* تَيْماء، ربعي بن دجاجة العبدي[4].

* قبيلة طيِّء، المطلب بن عبد الله المخزومي[5].

---

(1) ابن حبيب، المصدر السابق، ص257. همام بن مطرف العقيلي لم أعثر على ترجمة له في ما تيسّر لي من مصادر.

(2) الأصفهاني، المصدر السابق، مج 2، ص 13-14. عمر بن عبد الرحمن بن عوف، تابعي، والده أحد المبشرين بالجنة. (أنظر: المزِّي، المصدر السابق، مج 21، ص 425-426). نوفل بن مساحق بن عبد الله، تابعي، من أشراف قريش، كان فقيهاً، تولّى منصب قاضي المدينة في خلافة عبد الملك بن مروان. (أنظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج62، 293، 302).

(3) الزبيري، المصدر السابق، ج11، ص395. الحارث بن حاطب الجمحي، صحابي، والي مكة في خلافة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه. (أنظر: الفاسي، محمد بن أحمد (ت832هـ/1429م)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986، ج4، ص5-6).

(4) النهرواني، المعافى بن زكريا (ت 390هـ/1000م)، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ، تحقيق محمد مرسي الخولي، عالم الكتب، بيروت، 1993، ج1، ص514-515. ربعي بن دجاجة العبدي لم أعثر على ترجمة له في ما تيسّر لي من مصادر. تَيْماء: قرية في أطراف الشام، على الطريق الرابط بين المدينة ودمشق مروراً بوادي القرى، سكنها اليهود، وصالحهم الرسول صلى الله عليه وسلم عام 9هـ/629م مقابل دفع الجزية. (أنظر: الحموي، المصدر السابق، مج2، ص67).

(5) ابن بري، عبد الله (ت 582هـ/1186م)، التنبيه والإيضاح عمّا وقع في الصّحاح ، تحقيق مصطفى حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980، ج 1، ص 65. المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومي، تابعي، من أشراف قريش، ابن أخت مروان بن الحكم، عاش حتى خلافة هشام بن عبد الملك. (أنظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج58، ص356، 363).

* اليَمامة، أسيد بن ظهير رضي الله عنه[1]، وأبو حفصة عامل الزكاة[2].

3-1-1- نائب أمير المدينة:

كان الأمير مروان يستخلف أبا هريرة رضي الله عنه على المدينة إذا حجّ أو اعتمر، فكان يؤمّ الناس في الصلوات [3]، ويقضي بينهم في الخصومات [4]. أي ينوب عنه في تسيير شؤون المسلمين الضرورية والمستعجلة، ولا يُفوّضه جميع صلاحياته.

3-1-2- رئيس الديوان[5]:

ترأّس ديوان المدينة زيد بن ثابت رضي الله عنه حتى وفاته عام 45هـ/665م، فخَلَفه عبد الملك بن مروان بأمرٍ من الخليفة معاوية رضي الله عنه[6].

---

(1) ابن حنبل، المسند، ج7، ص378. أسيد بن ظهير بن رافع، صحابي، توفي في خلافة عبد الملك بن مروان. (أنظر: ابن عبد البر، المصدر السابق، مج 1، ص 95-96). اليمامة: من قرى إقليم نجد، موطن قبيلة بني حنيفة. (أنظر: الحموي، المصدر السابق، مج5، ص441، 447).

(2) الأصفهاني، المصدر السابق، مج 10، ص60. أبو حفصة، اسمه يزيد، مولى مروان بن الحكم، من سبي إصطخر- في بلاد فارس-، اشتراه عثمان بن عفان رضي الله عنه ووهبه لمروان، وهو جدّ الشاعر المشهور مروان بن أبي حفصة. (أنظر: المرزباني، محمد بن عمران (ت 384هـ/994م)، معجم الشعراء، تحقيق فاروق اسليم، دار صادر، بيروت، 2005، ص374).

(3) ابن حنبل، المسند، المصدر السابق، ج4، ص918.

(4) العسكري، المصدر السابق، ص406-407.

(5) الدِّيوان: كلمة فارسية معرّبة تعني السّجّل أو الدفتر، وهو موضع يُحفظ فيه مصالح الدولة من الأموال والأعمال والجيوش والعمال، وأول من أحدثه في الإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإنشائه ديوان الجند وديوان الخراج، ثم ظهرت دواوين أخرى في عهد الخلافة الأموية والخلافة العباسية مثل: ديوان البريد، وديوان الخاتم، وديوان المظالم، وديوان الطراز وغيرها. (أنظر: الماوردي، المصدر السابق، ص 220، 223). يُشبه الديوان الوزارة حالياً.

(6) ابن قتيبة، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1981، ص355.

يُعدّ منصب رئيس الديوان منصباً هاماً؛ إذ يتمثل في منح سكان المدينة أموالهم التي تُرسلها الخلافة بدمشق، وتُضبط العملية في دفاتر، فكان عبد الملك على درجة من الحنكة السياسية التي تُمكّنه من إدارة شؤون الديوان[1].

3-1-3- الحاجب[2]:

اقتصرت المصادر على ذِكر أن حاجب الأمير مروان يُدعى رافع[3]، ولم تزد عن ذلك.

3-1-4- الخارص[4]:

تولّى سهل بن أبي حثمة رضي الله عنه [5] عملية الخرص، وحين ينتهي من عمله يعرض الحصيلة على الأمير[6].

---

(1) بن حسين بثينة، الفتنة الثانية في عهد الخليفة يزيد بن معاوية(60-64هـ/680-684م)، منشورات الجمل، بيروت، 2013، ص574.

(2) الحَاجِب: بوّاب الخليفة أو الأمير، يمنع دخول الناس إلا بإذن، وأول من اتخذ الحُجّاب الخليفة معاوية رضي الله عنه، وقد تطور هذا المنصب في العصور اللاحقة حتى صار الحاجب بمنزلة رئيس الوزراء. (أنظر: ابن خلدون، عبد الرحمن (ت 808هـ/1406م)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 2001، ص299).

(3) البخاري، الصحيح، المصدر السابق، ص866. رافع لم أعثر على ترجمته في ما تيسر لي من مصادر.

(4) الخَارِص: شخص يُقدّر غلّة النخيل من التمر، وغلّة الأشجار من الثمار لأخذ زكاتها. (أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج4، ص62).

(5) سهل بن أبي حثمة، صحابي، كان أبوه خارصاً للنبي صلى الله عليه وسلم، توفي في خلافة معاوية رضي الله عنه. (أنظر: ابن حجر، الإصابة، ج3، ص163-164). أي أن الأمير مروان أحسن اختيار الخارص؛ فوالده -أبو حثمة- خبير في هذا الميدان، والذي كان موضع ثقة النبي صلى الله عليه وسلم.

(6) ابن زنجويه، حميد (ت 251هـ/864م)، الأموال، تحقيق شاكر ذيب فياض، مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1986، ج3، ص1074.

3-1-5- العرفاء[1]:

كان لكل قبيلة في المدينة عريفٌ، يأخذ أُعطياتهم التي يُرسلها الخليفة معاوية رضي الله عنه، فيوزّعها على مستحقّيها [2]، وذكرت الروايات أن رافع بن خديج رضي الله عنه عريف قومه بني النجار في هذه الفترة[3].

3-1-5- عامل الزكاة:

إن جمع الزكاة وإنفاقها على مستحقيها من مهام الأمير، والزكاة من الموارد المالية للولاية؛ فقد كانت كل ولاية تصرف إيراداتها على مرافقها الخاصة، والباقي يرسل إلى بيت المال العام في دمشق[4].

أشارت الروايات إلى أن الأمير كلّف زيد بن ثابت رضي الله عنه بهذه المهمة [5]، لكن هل يُشرف على الزكاة عامّة أم زكاة المدينة فقط دون أقسامها الإدارية؟

أُرجّح الفرضية الأولى، لأن أموال زكاة المدينة وأقسامها الإدارية، تحتاج إلى ضبط وتقييد في الدفاتر حتى لا يقع تلاعب بها، وسبق الإشارة إلى أن زيد بن ثابت رضي الله عنه ترأّس ديوان المدينة، فلا يستبعد أن يُشرف على الزكاة عامّة.

الملاحَظُ أن الأمير مروان استعان بالصحابة في تسيير الشؤون الإدارية والمالية للمدينة، ما يُؤكّد العلاقة القوية بين الطرفين، والثقة الكبيرة التي منحها لهم الأمير.

---

(1) العريف هو القيّم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس، يتولّى أمورهم ويتعرّف الأمير منه على أحوالهم. (أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج9، ص154).

(2) الزبيري، المصدر السابق، ج5، ص154.

(3) ابن حنبل، المسند، المصدر السابق، ج5، ص57.

(4) العاوور صلاح حسن، النظام الإداري في العصر الأموي في المشرق ، رسالة دكتوراه، جامعة البنجاب، باكستان، د. ت، ص305.

(5) ابن حنبل، المسند، ج5، ص57.

3-2- القضاء:

كان أمير المدينة يُعيّن القاضي؛ إذ أن الخليفة معاوية رضي الله عنه لم يكن يتدخل في تعيين القضاة على الأمصار مع توسع الدولة حرصاً على استقلالية منصب القاضي[1].

عيّن الأمير مروان في ولايته الأولى على المدينة عبد الله بن نوفل قاضياً [2]، ومصعب بن عبد الرحمن في ولايته الثانية[3]. كما استعان بأبي هريرة رضي الله عنه أيضاً[4].

تعيين الأمير لهؤلاء في منصب القضاء لم يمنعه من أن يقضي هو بنفسه بين الناس؛ إذ اختصمت إليه أروى بنت أويس [5] وزوجها سعيد بن زيد رضي الله عنه في قطعة أرضٍ بينهما، فقضى مروان لسعيد[6]، واختصم إليه أيضاً رجل وامرأته في طلاقهما[7].

---

(1) أبو شبيكة إبراهيم أحمد حسن، خلافة بني أمية عند علي بن الحسين المسعودي 41-132هـ دراسة تاريخية منهجية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة- فلسطين، 2007، ص127.

(2) وكيع، المصدر السابق، ج1، ص113، 116. عبد الله بن نوفل بن الحارث، تابعي، توفي عام84هـ/703م. (أنظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج7، ص24، 26).

(3) المصدر نفسه، ص 118-119. مصعب بن عبد الرحمن بن عوف، تابعي، والده أحد المبشرين بالجنة، توفي عام64هـ/683م. (أنظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج7، ص156، 158).

(4) المصدر نفسه، ص111، 113.

(5) لم أعثر على ترجمة لها في ما تيسّر لي من مصادر.

(6) مسلم، المصدر السابق، ص 657. ادّعت أروى أن زوجها سعيد أخذ جزءاً من أرضها، ورُفعت القضية إلى الأمير مروان، فلما امتثلا بين يديه، أخبره سعيد أنه سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: ((مَنْ أَخَذَ شِبْراً مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا فإنَّهُ يُطَوَّقُهُ مِن سَبْعِ أَرَضِينَ)) فلا يمكن له أن يأخذ من أرضها شيئاً، فصدّقه الأمير وقضى له. (أنظر: البخاري، الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في سبع أرضين، رقم 3198، ص614). يدلّ هذا على احترام الأمير مروان للصحابة، فقد قضى لسعيد بروايته لحديث نبوي دون بيّنة أخرى، لصدقه وورعه.

(7) ابن أنس، المصدر السابق، مج3، ص242.

وتخاصم إليه زيد بن ثابت رضي الله عنه وعبد الله بن مطيع [1] في دارٍ بينهما [2]، وادّعى لديه أبناء صهيب [3] أن الرسول صلى الله عليه وسلم أعطى أباهم بيتين وحُجرة، وشهد بذلك عبد الله بن عمر رضي الله عنه، فقضى لهم بشهادته [4]، وشكا له أحد الموالي ضرب عبد الرحمن بن الحكم[5] له على وجهه، فقضى بأن يردّ عليه بمثل ما ضربه[6].

لم يقتصر قضاء الأمير على المدينة فقط بل تعدّاه إلى الأقسام الإدارية التابعة لها؛ إذ نجده يفصل في النزاعات التي نشبت بين فروع القبائل العربية، ومن ذلك تخاصم بني قطن وبني جندل الدارميين في قتالٍ وقع بينهم[7]، وبني جعدة وليلى الأخيلية[8] في هجائها لهم[9]،

---

(1) عبد الله بن مطيع بن الأسود، تابعي، من أشراف قريش، توفي عام 73هـ/692م. (أنظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج7، ص143، 148).

(2) ابن أنس، المصدر السابق، مج3، ص541-542.

(3) صهيب بن سنان الرومي، من السابقين الأولين في الإسلام، توفي عام 38هـ/658م. (أنظر: ابن عبد البر، المصدر السابق، مج2، ص726، 733).

(4) البخاري، الصحيح، ص496.

(5) عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص، أخ مروان بن الحكم، من شعراء الدولة الأموية، توفي عام70هـ/689م. (أنظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج34، ص311، 319).

(6) الأصفهاني، المصدر السابق، مج 13، ص188. هذا عدلٌ من الأمير لأن المدّعى عليه أخوه، ونلحَظُ أن الموالي تمتّعوا بكافة حقوقهم نقيض ما روّجت له بعض الكتابات أن الأمويين ظلموا هذه الفئة وهمّشوها.

(7) الغندجاني، الحسن بن أحمد (توفي بعد 430هـ/1038م)، فرحة الأديب، تحقيق محمد علي سلطاني، دار النبراس، دمشق، 1981، ص190، 196.

(8) ليلى بنت عبد الله الأخيلية، أشهر شاعرات العصر الأموي، توفيت عام 80هـ/700م. أنظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج70، ص60، 74.

(9) المرزباني، أشعار النساء، تحقيق سامي العاني وهلال ناجي، عالم الكتب، بيروت، 1995، ص28.

وبني فقيم وبني عبشمس وبني العنبر في خصومةٍ سببها بئر ماءٍ بينهم [1]، وبني نمير وبني غنيٍّ في رجل نميري قتله غنويٌّ خطأً [2]، وبني خفاجة وبني عوف بن عقيل في نزاعٍ سقط فيه قتلى[3].

3-2-1- الشرطة:

عيّن الأمير مروان القاضي مصعب بن عبد الرحمن على الشرطة [4]، وأعانه بمائتي رجل من خارج المدينة، فضبط بهم الأمور ضبطاً شديداً، وسجن كلّ من يخرج ليلاً[5].

نستنتج أن مصعب بن عبد الرحمن اتّبع سياسة صارمة في سبيل فرض الأمن والاستقرار بالمدينة وتقوية الحكم الأموي، وأنه استعان بشُرطٍ من الموالي حتى ينفّذوا أوامره وينشروا الأمن، بينما لو استعان بشُرطٍ من المدينة ربّما تكون مهمته مستحيلة[6].

---

(1) البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ/1094م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، 1951، ج4، ص1163-1164.

(2) الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق (ت340هـ/950م)، أمالي الزجاجي، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، دار الجيل، بيروت، 1987، ص182.

(3) الأصفهاني، المصدر السابق، مج11، ص145، 148. روى ابن عساكر عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: ((مروان بن الحكم كان عنده قضاء، وكان يتبع قضاء عمر))، واعتمد الإمام مالك على قضاء مروان وفتواه، وكان يقول: ((وهذا أحسن ما سمعت في ذلك، وأحبّه إليّ)) كرّرها عدّة مرّات في الموطأ. وهاتان شهادتان يعتزّ بهما مروان بن الحكم من إمامين جليلين. (أنظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج 57، ص239؛ ابن أنس، المصدر السابق، مج3، ص242).

(4) وكيع، المصدر السابق، ج1، ص118.

(5) ابن بكار، الزبير (ت 256هـ/870م)، جمهرة نسب قريش وأخبارها ، تحقيق عباس هاني الجراخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010، ج1، ص290.

(6) بن حسين، الدولة الأموية ومقوماتها الإيديولوجية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سوسة-تونس=

إسناد الأمير منصب القضاء والشرطة لمُصعب في آن واحد أمر طبيعي؛ لأن القضاء والشرطة يعملان على إرساء دعائم العدل والأمن، لذا نشأت بينهما صِلات وثيقة متعدّدة، ومتشابهة كالنّظر في الدّعاوى، وإحضار الخصوم[1].

3-2-2- الحرس:

يرى صالح أحمد العلي أن مهام حرس المدينة تنحصر في منع الصلاة على الجنائز في المسجد، وضبط الأمن فيه، نظراً لتوسّع المدينة وزيادة عدد سكانها، ووجود مسجد جامع واحد، فلا بُدّ أن يجرّ وراءه تعقيدات واحتمال ظهور مشاكل فيه[2].

يبدو لي أن مهام الحرس لا تقتصر على ذلك، بل تتعداه إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو منع مخالفة الكتاب والسُّنة، ودلّت على ذلك مجموعة من الشواهد:

* منعُ الحرس الصلاة على الجنائز في المسجد لأن الأمر الذي جرى العمل به منذ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم الصلاة على الجنائز خارج المسجد؛ لذا أنكر الناس على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها طلبها وضع جنازة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في المسجد لتصلّي عليه[3].

* منع الحرس أبا سعيد الخدري رضي الله عنه من صلاة ركعتين حين دخل المسجد يوم الجمعة والأمير مروان يخطب في الناس [4]، لأن النافلة لا تصلّ إذا صعد الإمام المنبر يوم الجمعة كما يقول الفقهاء.

= د. ت. ن، ص81-82.

(1) الحميداني، المرجع السابق، ص189، 194.

(2) المرجع السابق، ص307.

(3) مسلم، المصدر السابق، ص375.

(4) الترمذي، محمد بن عيسى (ت 279هـ/892م)، سنن الترمذي، تحقيق صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، 2005، ص171.

* حادثة صكوك الجار –التي سبق ذكرها–، وإرسال الأمير الحرس لمنع الناس من بيع هذه الصكوك، لأن ذلك من الرّبا كما أخبره زيد بن ثابت رضي الله عنه، دليل على منع الحرس لكل ما يُخالف الكتاب والسُّنة.

3-2-3- السجّان:

إسماعيل بن هبّار، وقد قتله أحد السجناء[1].

3-2-4- الأمن في المدينة:

أشارت الروايات إلى أن المدينة خلال ولاية سعيد بن العاص رضي الله عنه لم تكن آمنة؛ إذ انتشرت الفوضى والهرج والاقتتال بين الناس[2]، وكثُر اللصوص فيها إلى حدّ اتّخاذ أسماء بنت أبي بكر الصدّيق رضي الله عنها [3] خنجراً كانت تضعه تحت رأسها حين تنام خشية أن يدخلوا دارها، فتُدافع به عن نفسها[4].

استطاع الأمير مروان بن الحكم أن يفرض الأمن وأن يعيد السكينة والهدوء في المدينة، وأوّل عمل قام به تطبيق الحدود على السجناء، من قطع اليد والجَلد والضّرب[5]، ثم أسند

---

(1) ابن حبيب، المحبر، تحقيق إيلزه ليختن شتيتر، دار الأفاق الجديدة، بيروت، د. ت. ن، ص 227. إسماعيل بن هبار بن الأسود، من أبناء أشراف قريش، اُشتهر بالبأس والقوة. (أنظر: ابن بكار، المصدر السابق، ج 1، ص289-290).

(2) الزبيري، المصدر السابق، ج8، ص268.

(3) أسماء ذات النّطاقين، صحابية، من السابقين الأوّلين في الإسلام، والدة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، توفيت عام73هـ/692م. (أنظر: ابن عبد البر، المصدر السابق، مج4، ص1781، 1783).

(4) ابن سعد، المصدر السابق، ج 10، ص241. هذه شجاعة من أسماء رضي الله عنها ليست غريبة عنها، تُذكّرنا بموقفها الشّجاع حين وقفت بكلّ شُموخ في وجه الحجاج بن يوسف الثقفي بعد أن قتل ابنها ابن الزبير رضي الله عنه وصلبه، فقالت له كلاماً خشناً وأفحمته رغم كِبر سنّها وفقدان بصرها.

(5) ابن عساكر، المصدر السابق، ج57، ص243.

منصب القضاء والشرطة إلى مصعب بن عبد الرحمن، فحبس كلّ من يخرج ليلاً، ومنع الناس عن الاقتتال، وضربهم واشتد عليهم حتى شكوه إلى الأمير [1].

لقد استطاع الأمير بمساعدة هؤلاء أن يضبط المدينة ويحقق لها الأمن الذي تنشده، ومعاقبة كل منتهك لحرمتها أو مخالفا لحدّ من حدود الله[2].

(1) ابن بكار، المصدر السابق، ج1، ص290.

(2) الدهاس، المرجع السابق، ص54 . استطاع الأمير مروان بن الحكم فرض الأمن في الأقسام الإدارية التابعة للمدينة، بمطاردته اللصوص وقطاع الطرق، وتخليص الناس من شرورهم، أمثال: مالك بن الريب وأبي حردبة، وشِظاظ الضبي. (أنظر: الأصفهاني، المصدر السابق، مج22، ص201-202).

تميزت الحالة السياسية في المدينة خلال ولاية مروان بن الحكم بالاستقرار والهدوء؛ إذ كانت علاقته طيبة مع السكان وخاصة الصحابة، الذين استعان بهم في تسيير شؤون الولاية كما سبق ذكره.

لم تعرف المدينة في هذه الفترة عزلةً مطلقةً؛ إذ شارك سكانها في الفتوحات، وكان للصحابة كلمة مسموعة في البلاط الأموي بدمشق، وعبّروا عن رأيهم سلمياً في ولاية العهد ليزيد، برفضهم لها، مما اضطر الخليفة لإقناعهم بنفسه.

تمكّن الأمير مروان بن الحكم ومساعدوه من تسيير الشؤون الإدارية والمالية والأمنية بشكل جيّد، فتولّد جوّ من السكينة والطمأنينة بين السكان.

الفصل الثالث: الأحوال الاجتماعية والاقتصادية

ترجع نشأة مجتمع المدينة المسلم إلى قدوم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وارتسمت ملامحه بشكل جليّ في هذه الفترة، ثم تطور في عصر الخلفاء الراشدين مع اتساع حركة الفتوحات، ودخول أجناس جديدة فيه.

إن دراسة هذا المجتمع خلال ولاية مروان بن الحكم يُمكّننا من معرفة التغيرات التي طرأت عليه في العصر الأموي، والوقوف على آثار التغيرات السياسية فيه؛ لأن المجتمع مرآة عاكسة للحياة السياسية والاقتصادية والثقافية.

يرتبط الاقتصاد بالمجتمع ارتباطاً وثيقاً، يُؤثّران ويتأثّران ببعضهما البعض، ومعرفة الأحوال الاقتصادية تُعين على دراسة الأحوال الاجتماعية، ومن ناحية أخرى تأثيرها على الوضع السياسي؛ إذ غالباً ما يؤدي تردّي المستوى المعيشي إلى ثورات واضطرابات سياسية.

وتعتمد دراسة المجتمع على معرفة تركيبة عناصره البشرية عرقياً ودينياً، لفهم تفاعلاته وتغيّراته، ثمّ دور المرأة ومكانتها فيه؛ لأنها أساس الحياة الأسرية، وكثيراً ما تُمثّل الثقافة الاجتماعية السائدة في ذلك العصر، ثمّ التّطرق إلى عادات الأكل واللباس وغيرها. أما الاقتصاد يشمل دراسة نشاطات الإنسان من زراعة وصناعة وتجارة وما شابه ذلك، وربطها بالمستوى المعيشي للسكان.

1- تركيب مجتمع المدينة ومميزاته

1-1- تركيب مجتمع المدينة:

سيطر على مجتمع المدينة -عرقياً- العرب، خاصة بعد نفي اليهود عنها [1]. وينقسمون إلى المجموعات الآتية:

أ- الأنصار: وهم قبائل الأوس والخزرج، أصلهم من بلاد اليمن، هاجروا منها بسبب تدهور الأوضاع الاقتصادية، واستقروا في المدينة منذ زمن بعيد [2].

ب- المهاجرون: المسلمون المهاجرون من مكة إلى المدينة، أغلبهم من قبيلة قريش، وفي المدينة الفروع الأقوى منافسة في الإسلام من القرشيين، وهم: الأمويون، والهاشميون، والزّبيريون[3].

ج- القبائل العربية الأخرى: منهم مُزينة وسليم وجهينة وهذيل وغيرها من القبائل التي استقرّت في المدينة أو استقرّ بعض أفرادها[4].

أما العناصر غير العربية-الأعاجم- مثّلتها فئتان هما: الموالي والرقيق.

---

(1) نفا رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود بني قينقاع عام 2هـ/624م، ثم يهود بني النضير عام 4هـ/626م، ويهود بني قريظة عام 5هـ/627م، وأخيراً يهود خيبر عام 7هـ/629م. (أنظر: الواقدي، المغازي، تحقيق مارسدن جونس، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1984، ج1، ص176، 178). وفي عام20هـ/642م نفاهم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الشام. (أنظر: ابن أنس، المصدر السابق، مج 4، ص263، 266).

(2) ابن هشام، المصدر السابق، ج1، ص24، 35.

(3) شرّاب، أخبار العقيق، ص282. الزُّبيريون ذُرية الزبير بن العوام رضي الله عنه، برزوا في هذه الفترة -العصر الأموي-، وكان لهم دورٌ في الحياة السياسية خاصة ابن الزبير رضي الله عنه الذي بُويع بالخلافة عقب وفاة معاوية الثاني عام64هـ/683م، وعيّن أخاه مُصعب والياً على العراق.

(4) ابن شبه، المصدر السابق، ج1، ص260، 268.

أ- الموالي [1]: استكثر الصحابة من الموالي، فاستخدموهم في بيوتهم وأعمالهم، فإن كان الصحابي تاجراً كانوا أعوانه في التجارة، وإن كان عالماً كانوا تلاميذه وأعوانه في العلم، وإذا كان عندهم حُسن استعدادٍ نبغوا فيه بحكم مخالطتهم لسادتهم في السّر والعلن [2].

ب- الرقيق: يُمثّلون أسرى الفتوحات؛ إذ تدفّقوا بالآلاف على المدينة في العصر الأموي، ولعبوا دورا كبيرا في تنشيط الحياة الاقتصادية، خاصة الزراعة والتجارة [3]، وتطوير الحياة الاجتماعية؛ إذ أُستخدموا في الأعمال المنزلية، فنقلوا عاداتهم ومهاراتهم التي عُرفت بها مجتمعاتهم، فتطورت المأكولات والملابس والمباني وأواني الطعام [4].

إضافة إلى ما تقدّم ذكره، ضمّ مجتمع المدينة الأمراء، والشعراء، والعلماء، والفقهاء، والمحدّثين، والأثرياء، والفقراء، والأشراف، وفيهم الصحابي والتابعي [5].

---

(1) المَولَى هو التابع أو الحليف، وينقسم الموالي إلى عدة أقسام، وفي زمن الخلافة الأموية انتشر قسمان من الموالي هما: 1- ولاء العتق، وهو أن العبد إذا أعتقه سيده صار مولى له. 2- ولاء الإسلام، إذا أسلم الأعجمي - سواء أكان حرا أو عبدا- على يد رجل صار مولى له. وكان للموالي دور كبير في الخلافة الأموية؛ إذ تقلّدوا مناصب سامية كالقضاء والحجابة والكتابة والجيش والولاية، وبرز فيهم العلماء والفقهاء والشعراء والأدباء، وموضوع الموالي من أكبر المواضيع التي أُنتقدت فيها الخلافة الأموية، بحُجّة أنها مارست العنصرية ضد هذه الفئة من المجتمع، ولم تحظ بحقوقها، لكن الروايات التاريخية تُكذّب هذه الإداعاءات، وإن وُجدت حالات فردية فلا يُمكن القياس عليها وإصدار أحكام على أساسها. (أنظر: راضي رياض عبد الحسين، الواقع التاريخي للموالي في الدولة الأموية، مجلة لارك، العدد 05، كلية الآداب جامعة واسط، واسط-العراق، 2011، ص129، 173؛ الفاعوري أمجد ممدوح، نظرة القبائل العربية للموالي في العصر الأموي، مجلة آداب البصرة، العدد 55، كلية الآداب جامعة البصرة، البصرة-العراق، 2011، ص192، 212. (2) أمين أحمد، فجر الإسلام، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت، 1969، ص155).

(3) عباس عبد الجبار محسن، دور الرقيق في الحياة الاقتصادية في المدينة المنورة في القرن الأول الهجري، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد 4، العدد 13، كلية التربية جامعة تكريت، تكريت-العراق، 2012، ص306، 345.

(4) ابن خلدون، المصدر السابق، ص216.

(5) شرّاب، أخبار العقيق، ص284.

إن الهدوء والسكينة اللذين عرفتهما المدينة خلال ولاية مروان بن الحكم عمّقا التجانس بين سكانها رغم توزعهم إلى هاشميين وأمويين وأوس وخزرج، فصاروا أصحاب وجهات نظر متقاربة في جميع الأمور غير السايسة، حتى أن الفقهاء وضعوا فيما بعد مصطلحا خاصا بذلك هو "عمل أهل المدينة"؛ فهم عاشوا في العهد النبوي والراشدي، ونقلوا الكثير من الأحاديث النبوية، وإن فرّقتهم الأهواء السياسية حيناً من الدهر، لكن بعد عودة سنين الطمأنينة والسكينة سرعان ما اِلتأم الشمل وصارت الخلافات وجهات نظر لا تورث المشاحنة أو الصراع [1].

1-2- مميزات مجتمع المدينة[*]:

يُعدّ مجتمع المدينة في هذه الفترة امتداداً لمجتمع العهد الراشدي؛ لقُرب المدة بينهما، ووجود الصحابة والتابعين فيه، وبُطء التغير الاجتماعي، فتميز بـ:

---

(1) بدر، المرجع السابق، ج1، ص331.

(*) يرى الكثير من الباحثين – على رأسهم طه حسين وشوقي ضيف– أن مجتمع المدينة في العصر الأموي تميز بالترف والبذخ، وساده اللهو والغناء والاختلاط بين النساء والرجال(السفور)، وأن هذه الحالة الاجتماعية أفرزها انتقال عاصمة الدولة الإسلامية من المدينة إلى دمشق، وحُجتهم في ذلك كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ودواوين الشعراء، وغيرها من كتب الأدب والشعر. لكن مجموعة أخرى من الباحثين نفت هذا الطرح، ورأوا فيه مبالغة، وأكدّوا أن مجتمع المدينة في العصر الأموي لم تطرأ عليه تغيرات كبيرة مقارنة بالعهد الراشدي، واستدلوا على ذلك بـ:

– أبو الفرج الأصفهاني شيعي المذهب، مطعون في روايته، وسنده ضعيف لأن الرواة الذين نقل عنهم الأخبار من المجهولين، والكذّابين، والضعفاء.

– المعروف عن الشعراء عدم صدقهم في كلّ ما يقولونه من شعر، لذا لا يمكن الاعتماد عليهم كلياً.

– التغير الاجتماعي بطيء ونسبي، ويستغرق سنوات طويلة على النقيض من التغير السياسي.

– وجود روايات بأسانيد صحيحة تدلّ على سلامة المجتمع من الانحراف والرذائل. =

أ- سيادة العرب في المجتمع.

ب- الإسلام المتغلغل في النفوس، والأخلاق العربية الموروثة التي أقرّتها الشريعة الإسلامية، من خير الوسائل التي تحمي المجتمع وتدفع عنه الانحراف[1].

ج- التكافل بين أفراده؛ إذ كان الأغنياء يجودون على الفقراء ويواسونهم بأموالهم، حتى أن البعض يستدين من أجل معاونة الآخرين[2].

وضرب الصحابة أروع الأمثلة في الجود والكرم، ومنها أن الأمير مروان أرسل إلى أبي هريرة رضي الله عنه مائة دينار-وهو مبلغ كبير-، فلم يأت الغد حتى فرّقها على المساكين دون أن يأخذ منها شيئاً لنفسه[3].

وأرسل الخليفة معاوية رضي الله عنه أربعة آلاف درهم إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنه، وأعطاه رجل أربعة آلاف، وآخر ألفان، فما بات ليلته حتى فرّقها على المحتاجين[4].

= - عجّت المدينة بالصحابة والتابعين والعلماء، فلا يعقل أن يرضون بانتشار مثل هذه السلوكات.

- الشدّة التي عُرف بها ولاة المدينة خاصة مروان بن الحكم.

- كان الفساق قليلين أي حالة شاذة وليسوا ظاهرة عامة.

للمزيد من التفاصيل (أنظر: الخلف عبد الله بن سالم، مجتمع الحجاز في العصر الأموي بين الآثار الأدبية والمصادر التاريخية، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، المدينة المنورة، 2001. وهي دراسة شاملة ومفصّلة عن الموضوع من مختلف الجوانب).

(1) شرّاب، أخبار العقيق، ص289.

(2) الخلف، المرجع السابق، ص154.

(3) ابن سعد، المصدر السابق، ج5، ص246.

(4) ابن عساكر، المصدر السابق، ج31، ص140.

بعث الخليفة معاوية رضي الله عنه مائة ألف درهم إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فما غابت الشمس عن ذلك اليوم حتى فرّقتها، ولم تترك شيئا من المال لتشتري ما تفطر به، ونسيت أنها صائمة[1].

لم يكن عند أم المؤمنين رضي الله عنها شيء حين وصلها المال، ومع ذلك تصدّقت به كله، وقد ذكرت حاجات المساكين ونسيت حاجة بيتها، مما يدل على تخلقها بخلق الإيثار وتخلّيها عن الأنانية وحبّ النفس[2].

أما الحسن رضي الله عنه فقد قسم ماله مع الفقراء ثلاث مرات، حتى كان يُعطي نعلاً ويُمسك الأخرى[3]. وهذا مثال عزيز في الكرم؛ إذ تصدّق بنصف ماله واحتفظ بالنصف الآخر، وكان دقيقا في محاسبة نفسه؛ إذ يُعطي نعلاً ويمسك نعلاً مع أن أحدهما لا يُستفاد منه دون الآخر؛ فأراد أن يجعل نفسه قدوة للمسلمين في أعمال الخير والإحسان[4].

وكان عبد الله بن جعفر رضي الله عنه أُستاذاً في الجود والكرم، وله في ذلك قصص مشهورة، ومنها أن تاجراً من العراق جلب سُكّراً إلى المدينة، فلم يشتره منه أحد، فجاء إلى ابن جعفر رضي الله عنه، فاشتراه كُلّه، ثم ترك الناس يأخذونه دون مقابل[5].

الأمثلة عن جُود الصحابة وكرمهم لا تعدّ ولا تحصى، وهي تُعبّر عن أخلاقهم السامية، وهي مظهر للتكافل الاجتماعي الذي خفّف من معاناة الفقراء والمساكين في المدينة.

---

(1) الحاكم، المصدر السابق، ج4، ص15.

(2) الحميدي، عبد العزيز بن عبد الله، التاريخ الإسلامي مواقف وعبر– المواقف الأخلاق والعلمية ، دار الدعوة، الإسكندرية–مصر، 1998، ج17–18، ص136–137.

(3) ابن سعد، المصدر السابق، ج6، ص374.

(4) الحميدي، المرجع السابق، ج17–18، ص136–137.

(5) ابن عساكر، المصدر السابق، ج27، ص284.

د- خُلوّ المجتمع من مظاهر الفحشاء والفسق والمجون، وأوّلهم أمير المدينة مروان بن الحكم، فقد كان سلوكه الاجتماعي نظيفاً بعيداً عن الشبهات التي تقدح فيه، ولم يُروَ عنه انهماك في الملذات أو تقريبه للفاسقين من الشعراء، أو عقده لمجالس الغناء، بل نجده من رواة الحديث النبوي، وله اجتهادات في كتب الفقه[1].

كانت حالات المجون شاذّةً حاربها الأمير؛ فقد جلد مجموعة من أشراف قريش في الخمر[2]، حفظاً للمجتمع من هذه الآفة الهدّامة، وحرصاً منه على تطبيق الحدود دون تفرقة بين الشريف والوضيع.

ومما يُذكر في هذا الموضوع، أن أول عمل كان يقوم به مروان بن الحكم إذا جاء أميراً على المدينة تطبيق الحدود على المساجين من ضَربٍ وقَطعٍ وجَلدٍ، دون أن يغيّر ملابسه التي جاء بها، فإذا انتهى من عمله رجع إلى منزله [3]. أي حرصه الشديد على إقامة حدود الله، حتى لا يفسد المجتمع، ويتوقّف أهل المجون والخلاعة عن أفعالهم -وإن كانوا حالات شاذّة-، ويكونوا عبرةً لمن يريد الاقتداء بهم.

وشنّ حملة مطاردة للمُنحرفين أخلاقياً -وهم قلّةٌ في المدينة-؛ فخصّص مبلغ عشرة دنانير لمن يأتيه بواحد منهم، وسببها أن أحد هؤلاء استهزأ بالقرآن أمامه، فأمر بقتله والقبض على أمثاله[4]، تطهيراً لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الفئة، وحماية للمجتمع -خاصة فئة الشّباب- من فسادهم وشُرورهم.

---

(1) شرّاب، أخبار العقيق، ص286-287.

(2) ابن حبيب، المنمق في أخبار قريش، تحقيق خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، 1985، ص397.

(3) ابن عساكر، المصدر السابق، ج57، ص243.

(4) الأصفهاني، المصدر السابق، مج 3، ص23. الاستهزاء بالقرآن أو الأحاديث النبوية الصحيحة كُفرٌ صريحٌ كما هو معلوم من الدين بالضّرورة، ويُعدّ صاحبه مُرتدًّا عن الإسلام، والحدّ الشرعي للرّدّة هو: ضرب العُنق، لذلك أمر الأمير مروان بقتل ذلك المُنحرف الذي استهزأ بالقرآن الكريم.

نظراً لهذه الشدّة من الأمير، فقد هربت هذه الفئة القليلة من المُنحرفين أصحاب المجون والفسق من المدينة خلال إمرته[1]، وبعضهم غادرها نهائيا مثل طُوَيس المغنّي[2]، ولم يسلموا منه حتى وهو معزول عن الولاية؛ إذ كان يزجرهم ويتوعّدهم[3].

زيادة في الاحتراز من الفُسّاق، منع صاحب الشرطة مصعب بن عبد الرحمن التجوّل ليلاً، ومن يُقبض عليه يُسجن، فقال أحد الشعراء[4]:

حَالَ دُونَ الهَوَى وَدو نَ سُرى اللَّيلِ مُصعَبُ

وَسِياطٌ عَلى أَكُـــ فِّ رِجَـــالٍ تُقَلَّـــبُ

---

(1) الأصفهاني، المصدر السابق، مج 17، ص201. تذكر الرواية أن هذه الفئة تعود إلى نشاطها بالمدينة حين يكون سعيد بن العاص أميراً، وفي هذا نظرٌ، لأن سعيد بن العاص رضي الله عنه صحابي، وأحد من كلّفهم الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بكتابة المصحف، وذكروا أن عربية القرآن أُقيمت على لسان سعيد لأنه أشبه الناس لهجة بالنبي صلى الله عليه وسلم، فلا يُعقل أن يسمح بممارسة هؤلاء لأفعالهم القبيحة، وقبول هذه الرواية طعنٌ في سعيد رضي الله عنه ومن عاش في زمن ولايته من الصحابة، أي أنهم رضوا بهذه الأفعال وسكتوا عنها، وغضّوا الطرف عن فاعليها. وبلغ الأمر بأحد الباحثين أن قال: ((ولا بد أنهم – يقصد أنصار الغناء والمجون والفسق –كانوا يقيمون مجالس الغناء في دار سعيد)) دون أن يشير إلى المصدر الذي استقى منه هذه المعلومة أم أنها يا ترى من عصارة فكره !!! (أنظر: محمد رحيم حلو، مجالس الشعر والغناء عند الولاة والعمال العرب خلال العصر الأموي ، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، المجلد 8، العدد 15، كلية التربية الأساسية جامعة ميسان، ميسان–العراق، 2009، ص118). الموضوع يحتاج إلى المزيد من البحث والتمحيص، واقتصرت على هذا القدر لأن دراستي غير معنية بفترة ولاية سعيد بن العاص رضي الله عنه، وإنما أردت التنبيه على التشويه الذي تتعرض له شخصيات تاريخنا الإسلامي قديما وحديثا.

(2) المصدر نفسه، مج 3، ص24. طويس المغني عيسى بن عبد الله، توفي عام 92هـ/711م. (أنظر: الذهبي، سير الأعلام، ج4، ص364).

(3) المصدر نفسه، مج 17، ص201. قال الخليفة معاوية رضي الله عنه عن مروان: ((...وأما القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله ، الشديد في حدود الله...)). (أنظر: أبو زرعة، المصدر السابق، ص 300).

(4) ابن بكار، المصدر السابق، ج1، ص290.

من المتعارف عليه أن الليل أفضل الأوقات لنشاط المُجّان والفُسّاق؛ لذا قُطع عليهم الطريق لممارسة هواياتهم المفضّلة من شرب الخمر، والتعرّض للجواري في الطريق، والسّطو على المنازل؛ فصوّر الشاعر أساه وحزنه لفراق تلك المغامرات الليلية.

إن الذين يمثلون المجون في المدينة كانوا قلّةً، لنفور المجتمع من أخلاقهم السيئة، وتذمّر الناس منها للأمير، الذي طاردهم في أوكارهم، وأقام الحدّ الشرعي على من أُمسك متلبساً بما يخالف الشرع[1].

هـ- تنوّع ملابس سكان المدينة؛ إذ لم تختلف كثيرا -على الأقل في ولاية مروان بن الحكم- عن ملابس العهد الراشدي، وأشهر ملابس الرجال: الخزّ [2]، والعمامة والكتان [3] والجبّة والقميص والرداء[4]، والأكسية والكرابيس[5]، والعباءة والمروي[6] والقطيفة[7]. كما لبس الرجال الخاتم[8]، وخضّبوا لحاهم بالحنّاء[9]، اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم.

---

(1) شرّاب، أخبار العقيق، ص290.

(2) ابن سعد، المصدر السابق، ج5، ص249-250.

(3) الذهبي، سير الأعلام، ج2، ص628.

(4) أبو زرعة، المصدر السابق، ص313.

(5) الكَرَابيسُ: الملابس القُطنية. (أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج12، ص60).

(6) المَروِيُّ: ثياب مدينة " مرو" في بلاد فارس. (أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج13، ص89).

(7) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط2، دار الحديث، القاهرة، 2003، ج1، ص313.

(8) ابن سعد، المصدر السابق، ج6، ص378-379.

(9) المصدر نفسه، ص416.

أما عن ملابس النساء، فلم تختلف أيضاً عن ملابس العهد الراشدي؛ إذ نجد: المُعَصْفر[1]، والمِلْحَفة، والدِّرْع[2] والخِمار، والجِلباب، والذّهب[3].

و- بساطة طعام سكان المدينة، مثل: خبز الشعير والزبيب والزيت والملح [4]، والثريد بالزيت[5]، والحَيْسُ[6]، واللحم[7]، والعسل[8].

خلاصة القول أن مجتمع المدينة خلال ولاية مروان بن الحكم لم تطرأ عليه تغيرات جذرية مقارنة بعصر الخلفاء الراشدين، سواءً في أخلاقه أو لباسه أو طعامه، فظلّ محافظاً على أصالته.

---

(1) المُعَصْفَرُ: ثوب مصبوغ بنبات العُصفُر. (أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج9، ص242).

(2) ثوب المرأة في المنزل، يُلبس تحت الجلباب وغيره. (أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج4، ص331).

(3) ابن سعد، المصدر السابق، ج10، ص69، 71.

(4) ابن أنس، المصدر السابق، مج4، ص363-364.

(5) الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1985، ص111.

(6) النهرواني، المصدر السابق، ج 2، ص273. الحَيْسُ: طعام يُصنع من التمر واللبن والسمن. (أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج3، ص417).

(7) الحاكم، المصدر السابق، ج4، ص15.

(8) ابن سعد، المصدر السابق، ج6، ص396.

2- مكانة المرأة(*)

رفع الإسلام مكانة المرأة، وأعلى منزلتها، وحررها من القيود والعادات التي كانت شائعة في الجاهلية، ورد لها حقها المسلوب في الحياة، وقرر لها حقوقا لم تكن تعرفها من قبل، فجعل لها حقا مشروعا في الميراث، وحقق لها الاستقلال الاقتصادي فيما تملك من غير أن يكون للزوج دخل في ذلك، وجعل للزواج أحكاما، ووضع للطلاق وتعدد الزوجات قيودا، كما أعطاها حقها في طلب العلم، والجهاد في سبيل الله، وحرية التعبير عن رأيها[1].

2-1- مشاركة المرأة في الحياة السياسية:

شاركت المرأة في الحياة السياسية خلال ولاية مروان بن الحكم على المدينة، وبرزت مجموعة من النساء كانت لهن مواقف سياسية تجاه الأمير والخليفة معاوية رضي الله عنه.

أ- أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

تتمتّع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بمكانة اجتماعية وعلمية مرموقة في المجتمع الإسلامي، ما أكسبها الاحترام والتقدير، فقد بعثت برسالة إلى الخليفة معاوية رضي الله عنه توصيه بتقوى الله، والحرص على نيل رضاه [2]. هذا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة لوليّ أمر المسلمين، فلم يمنعها بُعد المسافة من أداء واجبها الشرعي، خدمة لمصالح المسلمين؛ إذ لم تطلب من الخليفة مصلحة دنيوية خاصّةً بها.

(*) إسهامات المرأة في الحياة الاجتماعية والثقافية أمر مفروغ منه؛ إذ نجد العالمة والفقيهة والمُحدّثة والشاعرة، والأم والأخت والزوجة والجارية، وعددهنّ كبير جداً، لذا اقتصرت على إبراز إسهامها في الحياة السياسية الذي قد يجهله الكثير من الناس.

(1) عبد الباسط محمد حسن، مكانة المرأة في التشريع الإسلامي، مجلة عالم الفكر، المجلد السابع، العدد 1، وزارة الإعلام، الكويت، 1976، ص39، 41.

(2) ابن عساكر، المصدر السابق، ج40، ص254.

زارها الخليفة معاوية رضي الله عنه في بيتها حين أراد أخذ البيعة ليزيد من سكان المدينة، وشكا لها المعارضين لها وعلى رأسهم أخوها عبد الرحمن، فوعظته، ثم تحاورا في أمرهم، ونصحته أن يرفق بهم، ويتريث حتى ينال ما يريده منهم، فوافقها الرأي[1].

استشارة الخليفة لأم المؤمنين في بيعة يزيد– أمر مهمٌّ جدًّا– يُعبّر عن مكانتها وحسن رأيها؛ إذ طلبت منه عدم التسرع في استعمال القوة في التعامل مع المعارضين، فربما مع مرور الوقت يغيرون رأيهم، وهذا يدلّ عن حكمة وبُعد نظرٍ؛ لأن مثل هذا الموقف المتصلّبة لا تُجدي معها القوة، فربما كان الردّ عنيفاً، وتنشأ ثورة مسلحّة نتيجة ذلك، فالأجدر التّريّث واستعمال سياسة اللين.

وفي حادثة أخرى، اقتتل بنو أمية وبنو عدي بن كعب لخِلافات شخصية، ودام القتال طوال النهار، فأرسلت إليهم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تطلب التوقف عن ذلك [2]. وهذا يُثبت أن أم المؤمنين لم تكن حبيسة البيت، معزولة عما يجري خارجه، بل نجدها مطّلعة على مستجدات الأحداث، مُبدية رأيها فيها، وليس كما يتصوّر البعض أنها عالمة وفقيهة، تروي الأحاديث النبوية وتفتي الناس في أمور دينهم ودنياهم فقط. كما نلمس وعيها السياسي لأن الاقتتال يورّث الشحناء والعداوة، ما يُضعف وحدة المسلمين وقوتهم.

ومما يذكر في هذا الموضوع، عدم رضاها عن سياسة الأمير مروان في توزيع أموال الغنيمة–الثمار والحبوب– على السكان، فمرّةً يُنقصها، ومرّةً لا يُعطيهم شيئاً، ومرّةً أخرى يُعطيها كاملةً[3]، فرغم أن نصيبها من هذه الغنيمة قطعة أرض تتقوت منها إلا أنها أحسّت بمعاناة الآخرين، وآثرت المصلحة العامة على مصلحتها الشخصية.

---

(1) ابن الأثير، المصدر السابق، مج3، ص353.

(2) ابن حبيب، المنمق، ص324–325.

(3) الواقدي، المغازي، ج2، ص720. المراد هنا بأموال الغنيمة أموال اليهود بخيبر، بعد أن أجلاهم الخليفة عمر رضي الله عنه، قسمها على المسلمين، فخيّرهم بين الثمار والحبوب، أو قطعة أرض.

يرى الأفغاني أن تدخّل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في شؤون السياسة كانت عواقبه وخيمة على المسلمين، منذ زمن الخليفة عثمان رضي الله عنه إلى عهد الخليفة علي رضي الله عنه، ولو لم تُشارك في أحداث الفتنة لما كان الثمن دماء عشرات الألوف، ولَتغيّر مجرى تاريخنا نحو رُقيٍّ مُباركٍ فيه الخير للأقطار الإسلامية[1].

يبدو أن الأفغاني تأثّر بالروايات المكذوبة والضعيفة المبثوثة في كُتب التاريخ، التي تزعم أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حرّضت على قتل الخليفة عثمان رضي الله عنه، وكانت تبعث برسائل إلى سكان الأمصار لتأليب المسلمين عليه [2]، وبعد أن قُتل خرجت إلى البصرة تُطالب بدمه، وحاربت الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبسببها أُزهقت أرواح الآلاف من الأبرياء[3].

إن الروايات الصحيحة الموثوقة تُكذّب تلك الإدّعاءات والاتهامات الموجّهة إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ فهي لم ترْضَ عن قتل عثمان رضي الله عنه، ولم تُشارك فيه ولو بكلمة واحدة، بل زوّر الخارجون عن طاعة الخليفة رسائل باسمها لتأجيج نار الفتنة وهي منها براء [4]، أما ما حدث في زمن الخليفة علي رضي الله عنه، فقد كانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتسعى لإصلاح ذات البين، وتقريب وُجهات النظر مع الخليفة في قضية القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه، فأشعل هؤلاء القتلة الحرب بينهما للهروب من العقاب والتّستّر عن جريمتهم الشّنعاء[5].

---

(1) الأفغاني، المرجع السابق، ص121، 130.

(2) ابن أعثم، المصدر السابق، ج2، ص421-422.

(3) الطبري، المصدر السابق، ج4، ص458، 477.

(4) أنظر: كبير علال، المرجع السابق، ص99، 103.

(5) أنظر: الصلابي، حقيقة الخلاف بين الصحابة في معركتي الجمل وصفين وقضية التحكيم، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2007، ص18، 53.

إن الدين الإسلامي يشمل جميع ميادين الحياة؛ فنجده في السياسة والمجتمع والاقتصاد والثقافة وغيرها، فلا يقتصر على المسجد وأداء العبادات، بل يدخل في جميع تفاصيل حياة المسلم، لذا لم يوجد هذا الانفصال الذي نشاهده اليوم بين السياسة والإسلام، فالسياسة اليوم تعني الكذب والتحايل والممارسات غير الأخلاقية أو "فن الكذب"، والإسلام يُحرّم مثل هذه الأمور، فرُبّما نظر الأفغاني للموضوع بمنظار العصر الحالي ليُصدر حُكمه، لكن كان دافع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دون أن تكون لها حسابات سياسية كما هو موجود حالياً، نظراً لتقواها وورعها وزُهدها في الدنيا.

ما يُؤيّد هذا الطرح، أن الأفغاني انتقد بشدة النساء اللاتي يُقمن حفلات ساهرة مخجلة، ويُشاركن في الاجتماعات والندوات، ويُسافرن لعقد المؤتمرات التي لا تجلب لهن نفعا، ويهجرن بيوتهن تاركين الأمور للخادمات، همّهن تقليد النساء الأوربيات، فينزعن عن أنفسهن الحياء والحشمة[1]، لكن هذا الواقع لا ينطبق على زمن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، لذا فمن المجازفة إسقاطه على ما حدث قبل عدّة قرون، لأن كُلّ حادثة تاريخية يجب أن تُدرس في سياقها التاريخي أي نعيش في ظروف ذلك العصر حتى نفهمها ونعرف أسبابها ونتائجها، وتكون أحكامنا موضوعية[*].

---

(1) المرجع السابق، ص 125-126. وهذه غيرة شديدة من الأفغاني على نساء المسلمين المُتشبّهات بالأوروبيات، تُحسب له، ويُشكر عليها، يكاد يفتقدها المسلمون في وقتنا الحالي.

(*) مما يُؤسف له أن عدداً لا يُستهان به من باحثينا ومؤرخينا يفسّرون أحداث التاريخ الإسلامي خاصة القرون الثلاثة الأولى بمفاهيم ومصطلحات العصر الحالي مثل: الديمقراطية، والديكتاتورية، واليمين، واليسار، والأرستقراطية، والأتوقراطية، والاشتراكية، والرأسمالية، والراديكالية والإيديولوجية وغيرها، رغم أنها وليدة بيئة غير بيئتنا الإسلامية، بل نشأت في سياق تاريخي بعيد كل البعد عن تاريخنا، ولكنهم يقتدون بالمستشرقين الذين يقومون بحشو هذه المفاهيم وإقحامها في دارسة أحداث تاريخنا، والعجب أن من يستخدم هذه المفاهيم والمصطلحات في البحث التاريخي يُعدّ بحثه رصيناً وأكاديمياً وتحليلياً، وينال الجوائز والأوسمة، فيغترّ بذلك من لا دراية له بمناهج البحث التاريخية، فيجعله مثله الأعلى الذي يُقتدى به.

ب- أم سنان بنت خيثمة المذحجية[1]:

لعبت الوفادات دورا كبيرا في إطْلاع الخلفاء الأمويين على أعمال ولاتهم وإدارتهم وعلاقتهم مع الناس، فقد مثلت الوفادات وسيلة اتصال مباشر بين الخليفة من جهة والرعية من جهة أخرى، وفي عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه نشطت الوفادات وشجعها للاستفسار عن وُلّاته وسماع آراء الرعية وشكاواهم، بُغية العمل على استرضائهم[2].

في هذا السياق، سجن الأمير مروان غلاماً بسبب ارتكابه جُرماً، فجاءت جدّته -أم سنان بنت خيثمة- تطلب من الأمير إطلاق سراحه، فأبى ذلك، فردّت عليه بكلام شديد اللّهجة، ثم وفدت على الخليفة معاوية رضي الله عنه بدمشق، وشكت له تصرّف الأمير معها، فاسترضاها وأمر بإطلاق سراح حفيدها، وأعطاها خمسة آلاف درهم لتُعين بها نفسها في سفرها إلى المدينة [3]. وانطلاقاً من هذه الحادثة يُمكن استخلاص مجموعة من الملاحظات عن المرأة في المدينة خلال ولاية مروان بن الحكم، منها:

* حرية المرأة في إبداء رأيها والتعبير عن مواقفها أمام ولاة الأمور -الأمير والخليفة- ومناقشتهم دون خوف، مثل ردّها الخشن على الأمير مروان، وهذه جرأة كبيرة من امرأة عجوز، فما أدراك بامرأة شابّة.

* كانت أبواب الأمراء والخلفاء مفتوحة أمام الرعية دون تمييز بينهم، لتقديم الشكاوى، أو طلب أمر ما، وهو ما يُوضّح الحرية السياسية التي تمتّعت بها المرأة حينها.

---

(1) لم أعثر على ترجمة لها في ما تيسر لي من مصادر.

(2) البدراني، المرجع السابق، ص82-83.

(3) طيفور، أحمد بن أبي طاهر (ت 280هـ/893م)، بلاغات النساء، تحقيق أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، 1908، ص67، 69.

* أم سنان من أنصار الخليفة علي رضي الله عنه، وكانت في صفّه زمن الفتنة الكبرى؛ لذا حاول الخليفة استرضاءها ولو على حساب أحد زعماء الأسرة الأموية –الأمير مروان بن الحكم–، وفي نفس الوقت توجيه رسالة إلى معارضيه ومنتقديه بأن أبوابه مفتوحة لهم، ورغبته في كسبهم إلى جانبه.

* دافعت أم سنان عن ولائها للخليفة علي رضي الله عنه حين سألها الخليفة عن ذلك، وهو ما يؤكد الوعي السياسي الذي بلغته المرأة آنذاك، بمشاركتها الفعّالة في الأحداث الهامة التي مرّت بها الأمة الإسلامية، وثبات موقفها رغم مرور السنين وتغيّر الأوضاع.

ج– بكّارة الهلالية[1]:

زار الخليفة معاوية رضي الله عنه المدينة، فأتته بكّارة الهلالية وقد كبرت وضعف بصرها، فذكّره جلساؤه بشِعرها الذي حرّضت فيه أخاها –كان مع الخليفة علي رضي الله عنه– على قتال أهل الشام، وهجائها بني أمية، فردّت عليهم رداً قاسياً، ولم تُنكر ما قالوه عنها، فضحك الخليفة من جرأتها رغم كبر سنها، وأحسن إليها[2].

هذا يدلّ على أن المرأة كان لها موقف سياسي إزاء الأحداث التي تقع في المجتمع، وقد تعبر عنه إما بالشعر المنظوم أو القول المنثور [3]، وتمسّكها بمواقفها المعادية للخليفة في حضرته، والدفاع عنها، وتقبّل هذا الأخير لآراء معارضيه وانتقاداتهم بصدرٍ رحبٍ، وحُسن معاملته وإكرامه لهم.

---

(1) لم أعثر على ترجمة لها في ما تيسر لي من مصادر.

(2) الضبي، العباس بن بكار(ت 222هـ/837م)، أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان ، تحقيق سينة الشهابي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983، ص71–72.

(3) النوافعة عبد الله موسى محمد، المدينة المنورة في العصر الأموي " دراسة اجتماعية اقتصادية ثقافية " ، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمّان، 2002، ص86.

2-2- أخلاق المرأة:

شاع بين الباحثين أن المدينة في العصر الأموي أصبحت عاصمة للغناء واللهو والمجون، وعاشت المرأة فيها بحرية كبيرة فاقت حرية نساء هذا العصر؛ من اختلاط بالرجال، والخروج معهم للتنزّه، وسماع الغناء وغير ذلك.

ويرى هؤلاء الباحثون أن العقيق كان متنزّها للرجال والنساء معاً، يستمتعون فيه بلذة الحياة، غناء وخمر ولهو، واختلاط، وغزل، ووصفٍ لمفاتن المرأة، ومواعيد ولقاءات [1]. ويجتمع الشباب والشابات في دُور الغناء، ويُطلقون العنان لمشاعر الحب والعشق، التي نظموا فيها قصائد شعرية [2]. ومن هنا كانت مكة والمدينة في هذا العصر أقرب إلى اللهو والمجون، وما يتبعه من لعب وشرب وغناء وغزل[3].

لكنّ أطرح مجموعة من التّساؤلات: هل كلّ ما رُوِيَ عن حرية المرأة آنذاك صحيح؟ وهل بالفعل انتشر الفساد والسفور والاختلاط في مجتمع المدينة؟ وهل تغيّر المجتمع في ظرف بضع سنوات على هذا النحو الخطير؟ وهل تخلّت المرأة المسلمة عن العفة والحياء وانغمست في حياة اللهو والمجون؟

تصدّى للإجابة عن هذه التساؤلات مجموعة من الباحثين [4]، بالنقد والتمحيص والتدقيق، فردّوا بالأدلة والبراهين على الشبهات التي أُثيرت عن أخلاق المرأة في المدينة زمن الخلافة الأموية، لذا سأقتصر في حديثي عن هذا الموضوع على فترة ولاية مروان بن الحكم، أما باقي العصر الأموي فقد كُفيت أمره.

---

(1) جبور جبرائيل سليمان، عمر بن أبي ربيعة ، منشورات كلية العلوم والآداب – الجامعة الأمريكية، بيروت، 1935، ج1، ص95-96. وسمّاه "عصر المدينة الذهبي" !!!

(2) ضيف، المرجع السابق، ص103-104.

(3) حسين، المرجع السابق، ص341.

(4) أنظر مثلا: الخلف، المرجع السابق، ص307، 437.

قبل الحديث عن أخلاق المرأة لا بدّ من معرفة البيئة الاجتماعية المحيطة بها، وأوّل ما نلاحظه أن المدينة في ولاية مروان بن الحكم ضمّت صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم المبشرون بالجنة كسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد رضي الله عنهما، ومنهم العلماء كابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وزيد بن ثابت رضوان الله عليهم، وفيهم أمهات المؤمنين كالسيدة عائشة، وأم سلمة رضي الله عنهما، هذا دون ذكر الآلاف من التابعين وأبناء الصحابة وأشراف الناس.

إذا علمنا ذلك، فكيف يسمحون بانتشار الفسق والمجون في المدينة؟ وكيف يرضون عن السفور والاختلاط بين الرجال والنساء؟ إذن، كان مجتمع المدينة تحت رقابة هؤلاء الأخيار، وكل من تسول له نفسه انتهاك ما حرم الله وقفوا له بالمرصاد.

ومن جهة ثانية، رأينا في الفصل الثاني إنكار الصحابة رضي الله عنهم على الأمير مروان أفعاله واجتهاداته التي تخالف السُّنة –رغم أنه لم يتعدّ حدود الله–، فلم يخافوا منه وهو أمير المدينة، فهل يسكتون عن الناس البسطاء إذا فعلوا ما يُغضب الله عز وجل؟ يُضاف إلى ذلك ما عُرف عن الأمير مروان من شدّة على أصحاب اللهو والمجون، وتتبعه لهم، والتضييق عليهم، فاضطرّوا إلى الفرار من المدينة –كما سبق ذكره–.

الشواهد التاريخية تُؤكد تشدد المجتمع في مسألة السفور والاختلاط؛ إذ أن بني أمية اجتمعوا عند الأمير مروان حين ادّعى الخليفة معاوية رضي الله عنه زياداً [*]، فجزعوا للأمر، ورفضوا أن يرى زيادٌ نسائهم، وطلبوا منه أن يكلّم الخليفة في الموضوع[1].

(*) ادّعى الخليفة معاوية رضي الله عنه أن زياداً أخوه من أبيه، وشهد نفر من الناس أن أبا سفيان زنى في الجاهلية بأم زياد وتسمى "سمية"، فولدت زياداً. (أنظر: ابن الأثير، المصدر السابق، مج 3، ص299، 302). زياد بن أبي سفيان، أحد القادة المشهورين بالدهاء، أمير العراق في خلافة معاوية رضي الله عنه، توفي عام53هـ/672م. (أنظر: ابن عبد البر، المصدر السابق، مج2، ص523، 530).

(1) ابن بكار، الأخبار الموفقيات، تحقيق سامي مكي العاني، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1996، ص155. في عام44هـ/664م.

كان الأمير مروان صارما في معاقبة مُنتهكي حرمات المسلمين، فقد اشتكت له امرأة أن أحدهم تحرّش بها وأراد الاعتداء عليها، فسجنه ولم يطلق سراحه إلا بعد أن أجبر والده على دفع ألف درهم –وهو مبلغ كبير– للمرأة تعويضاً لها عمّا لحقها من أذى نفسي[1].

علّق الإمام مالك[2] على الحادثة السابقة بأنها غلظةٌ من الأمير مروان في الحدود[3]، فالحديث عن انتشار السفور والاختلاط بالمدينة مستبعدٌ في هذه الحال؛ إذ بلغت شدّته حدًّا لا يوصف؛ فقد كان يقلع ثنية [*] من قبّل امرأة لا تحلّ له [4]، صوناً للمجتمع من الفساد، وإجلالاً لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الأفعال المشينة.

لم يتوان الأمير عن طرد الشاعر الفرزدق [5] من المدينة بسبب شعره الفاحش، وقد اجتمع عنده أشراف المدينة بخصوص ذلك، ورأوا أن مثل هذا الشعر لا يصلح قوله وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم يعشن بينهم، وطالبوا بإقامة الحدّ عليه [6]. نلاحظ موقف سكان المدينة المتشدّد من الشعر الفاحش، فما أدراك بالمجون والفسق والرذيلة.

---

(1) ابن رشد، محمد بن أحمد (ت 520هـ/1126م)، البيان والتحصيل والشرح والتعليل في مسائل المستخرجة، تحقيق أحمد الحبابي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ج16، ص277.

(2) الإمام مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، وأحد أكبر علماء الإسلام، يُنسب إليه المذهب المالكي. توفي عام179هـ/795م. (أنظر: الذهبي، سير الأعلام، ج8، ص48، 135).

(3) المصدر نفسه، ص278.

(*) الثَّنِيّةُ: السّنّ الأمامية في الفم. (أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج2، ص141).

(4) ابن أبي زيد، عبد الله بن عبد الرحمن (ت 386هـ/926م)، النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، مج14، ص263.

(5) همام بن غالب، أشهر شعراء العصر الأموي، توفي عام 114هـ/732م. (أنظر: الأصفهاني، المصدر السابق، مج21، ص193، 283).

(6) البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت1093هـ/1682م)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق =

إنْ وُجِدت حالات من المجون أو الفسق فهي شاذّة، لأن الناس ليسوا على درجة واحدة من الالتزام بالدين والنُّظم الاجتماعية، ومن هنا لا يمكن الحكم على المرأة والمجتمع من قصة أو حادثة فردية، ونُعمّمها بل نضعها في إطارها الصحيح[1].

إن حديث الشعراء عن مغامراتهم الليلية وما يكتنفها من أخطار وعقبات يؤكد نظرة المجتمع للعلاقة بين المرأة والرجال من غير محارمها، والرقابة المفروضة عليها [2]، فلا يجرأ الشاعر على الالتقاء بمحبوبته في وضح النهار خوفا من أن يلحقه أذى من الناس.

حتى هذه المغامرات الليلية منعها صاحب الشرطة مصعب بن عبد الرحمن، وسجن كل من يخرج ليلا، فقال الشاعر واصفا هذه الحال[3]:

حَالَ دُونَ الهَوَى وَدو نَ سُرى اللَّيلِ مُصعَبُ
وَسِياطٌ عَلى أَكُـــ فِّ رِجَـــالٍ تُقَلَّـــبُ

= عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997، ج6، ص348، 350.

(1) الخلف، المرجع السابق، ص313-314.

(2) المرجع نفسه، ص387.

(3) ابن بكار، جمهرة النسب، ج1، ص290.

3- الأحوال الاقتصادية

ترتبط الأحوال الاقتصادية ارتباطاً وثيقاً بالحالة السياسية والاجتماعية، فإذا علمنا أن المدينة في ولاية مروان بن الحكم شهدت استقرارا سياسيا واجتماعيا، فما هو أثر هذا الاستقرار على الوضع الاقتصادي؟

3-1- المستوى المعيشي:

عاش في مجتمع المدينة الأغنياء والفقراء، ولم يكن كل أفراده أو معظمهم أغنياء غارقين في الترف والنعيم، بل كان معظمهم من متوسطي الحال والفقراء [1]؛ فالمدينة ليست من المدن المعروفة بكثرة الأثرياء والمُترفين، وحتى الطبقة المترفة الغنية بها قليلة بالنسبة لغيرها من المدن الإسلامية كالكوفة والبصرة ودمشق وغيرها؛ إذ كانت تعتمد أحياناً على المدن الأخرى في إنعاش حياتها الاقتصادية[2].

تعرّضت المدينة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين لأزمات اقتصادية حادّة[3]، ولم تسلم منها في العصر الأموي، ففي عهد الأمير سعيد بن العاص رضي الله عنه – بين ولاية مروان الأولى والثانية– حلّ الجفاف حتى أنفق الأمير كل ما في بيت المال لإطعام الناس[4]، ولا بدّ أن هذه الأزمات تُؤثر في المستوى المعيشي للسكان على المدى القريب والبعيد.

---

(1) الخلف، المرجع السابق، ص154.

(2) الموسى سعد بن موسى، تاريخ الحياة العلمية في المدينة النبوية خلال القرن الثاني الهجري ، دار القاسم، الرياض، 2007، ص99.

(3) أنظر: آل الشيخ، المرجع السابق، ص164، 169.

(4) ابن عساكر، المصدر السابق، ج21، ص134.

كان فائض بيت المال في مصر –خاصة الحُبوب– يُرسل إلى المدينة عبر السُّفن في هذه الفترة[1]، وهو ما يُعبّر عن تدنّي المستوى المعيشي في بعض الأحيان، لذا كان الفقراء يقترضون المال حتى وصول المِنحة المالية لعبد الله بن جعفر رضي الله عنه المُقدّمة له من طرف الخليفة[2]، أي أن الحاجة تدفعهم للاقتراض لنفاد ما عندهم من المؤونة، ثم ينتظرون الأموال التي تُعطى لابن جعفر رضي الله عنه– وهو مشهور بالجود والكرم–، فيُكرمهم حتى يسدّدوا ديونهم وتتحسّن معيشتهم نسبياً[3].

3-2- العطاء:

أبرز ما تتميز به الأمصار الإسلامية في العهود الأولى هو أن معظم سكانها العرب كانوا يتسلمون من الدولة مقدارا مقررا من المال سنويا يسمى "العطاء" الذي كانت له أهمية رئيسة في الحياة الاقتصادية ومعيشة الناس[4].

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987، ص303–304. مرّ معنا سابقا في الفصل الثاني حادثة صكوك الجار، فهذه الحبوب القادمة من مصر تُرسل إلى ميناء الجار ومنها إلى المدينة.

(2) الأصفهاني، المصدر السابق، مج12، ص157.

(3) الخلف، المرجع السابق، ص 146. وكان قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه يُسدّد ديون الناس. (أنظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج49، ص418).

(4) العلي، المرجع السابق، ص 379. في العهد النبوي كانت أموال الغنائم والفيء والجزية والخراج تُوزّع من طرف النبي صلى الله عليه وسلم على المسلمين مباشرة، وفي العهد الراشدي توسّعت الفتوحات وزادت هذه الموارد المالية، مما تطلّب إنشاء "بيت المال" تُجمع فيه الأموال ثم تُدوّن في سجّل خاص (يسمّى الديوان وأوّل من استحدثه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه)، وبعد ذلك تُقسّم تلك الأموال على المسلمين المسجّلين في الديوان (ديوان العطاء). وللخليفة أن يجتهد في تحديد مقدار العطاء وكيفية صرفه على مستحقيه، فأبو بكر رضي الله عنه ساوى بين الناس في العطاء، أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسّمه حسب الأقدمية في الإسلام والجهاد في سبيل الله والقربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم. للمزيد من التفاصيل (أنظر مثلاً: الماوردي، المصدر السابق، ص 220، 223؛ علي جاسم صكبان، العطاء والرزق في صدر الإسلام ، مجلة كلية التربية للبنات، المجلد20، العدد03، كلية التربية للبنات جامعة بغداد، بغداد، 2009، ص568، 586).

ومما يذكر في هذا الموضوع، أن الخليفة بعث إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بمائة ألف درهم[1]، وأعطى الحسن والحسين رضي الله عنهما حين وفدا عليه بدمشق مائتي ألف درهم[2]، ومنح عبد الله بن الزبير رضي الله عنه مائة ألف درهم [3]، ومثلها لابن جعفر وابن عمر رضي الله عنهما[4].

أما عامة الناس فقد كانوا يأخذون من العطاء كغيرهم من سكان الأقاليم الأخرى، إلا في حالات قليلة عندما يجود بعض الخلفاء أو الولاة أو الأمراء عليهم ببعض المال [5]؛ فلمّا حجّ الخليفة معاوية رضي الله عنه فرّق على سكان المدينة أموالا كبيرة [6]، وكذا فعل ابنه يزيد حين ناب عنه في الحجّ[7].

كان العطاء يُدفع إلى العرفاء؛ إذ كان لكل قبيلة بالمدينة عريفٌ يأخذ أعطياتهم ويوزّعها عليهم[8]، وخُصص له ديوان يُسجّل فيه المستحقون للعطاء، وكان يُشرف على مراقبة عملية توزيع الأموال الأمير مروان نفسه[9]، لضبط الأمور، ولا تحدث تلاعبات أو اختلاسات.

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص443.

(2) ابن عساكر، المصدر السابق، ج59، ص193.

(3) المصدر نفسه، ص194.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص444-445.

(5) الخلف، المرجع السابق، ص133.

(6) ابن حمدون، المصدر السابق، مج3، ص396.

(7) ابن أعثم، المصدر السابق، ج4، ص329.

(8) الزبيري، المصدر السابق، ج5، ص154.

(9) الزجاجي، المصدر السابق، ص116.

3-3- سوق المدينة:

وُجد بالمدينة في الجاهلية مجموعة من الأسواق مثل سوق بني قينقاع، وسوق الصفاصف، وسوق زَبالة[1]، وحين قَدِم النبي صلى الله عليه وسلم خصّص للمسلمين سوقاً في الجهة الغربية للمدينة[2].

إن اختيار السوق في غرب المدينة فيه مميزات كثيرة للسكان وللتجار الذين يجلبون بضاعتهم إليه، فالموقع يمكّنهم من حطّ رحالهم، وتنزيل بضاعتهم بمجرد وصولهم دون الحاجة إلى السير بها بين شوارع المدينة، لأن الجهة الغربية أول ما يُقابل القادمين إليها، سواء من الشام أو من داخل الجزيرة العربية[3]، وفي نفس الوقت يحفظ البيوت من ضوضاء البيع والشراء، ومن الروائح المؤذية التي تُسبّبها مخلّفات السوق أحيانًا، ولا يُعرقل التُّجار ومواشيهم حركة السكان[4].

يبدو أن هذا السوق لم يكن واسع المساحة، فبإمكان الراكب أن يضع متاعه، ويتجوّل في السوق، ومتاعه بعينه يبصره لا يحجبه عنه شيء[5].

---

(1) ابن شبه، المصدر السابق، ج1، ص305-306.

(2) ابن زبالة، المصدر السابق، ص 239-240. من تسميات هذا السوق: بقيع الخيل، والمَنَاخَة. (أنظر: ابن شبه، المصدر السابق، ج1، ص306؛ الملحق رقم01 ص186).

(3) النوافعة، المرجع السابق، ص125.

(4) بدر، المرجع السابق، ج1، ص237.

(5) السمهودي، المصدر السابق، ج3، ص84.

(6) بدر، المرجع السابق، ج1، ص339.

تنوّعت سلع سوق المدينة في هذه الفترة، مثل: اللحم [1]، والفاكهة[2] والحِنطة[3]، والتّمر والملابس كالخزّ والأكسية والعباء [4]، والسكر [5]، والعطور [6]، والعبيد [7]، والإبل [8] والغنم [9]. يرجع هذا التنوّع إلى أن السوق لم يقتصر على السلع المحلية وإنما تعدّاه إلى سلع الشام والعراق ومصر والبحرين خاصة في موسم الحج والعمرة الذي يُساهم في تنشيط الحركة التجارية في المدينة.

3-4- الزراعة:

المدينة واحة تحيط بها الجبال والجُبيلات، وتتداخل معها الحَرّات [*]، وتتخللها وتدور حولها، وتنتهي إليها الوديان والمفيضات والسيول، وتتوزع في منطقتها مساحات مزروعة وأخرى قابلة للزراعة تبعاً لطبيعة التربة وكفاية المياه[10].

---

(1) الحاكم، المصدر السابق، ج4، ص15.

(2) ابن شبه، المصدر السابق، ج1، ص247-248.

(3) الأصفهاني، المصدر السابق، مج 13، ص 188. الحِنْطَةُ: القمح. (أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج3، ص360).

(4) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص313.

(5) الأصفهاني، المصدر السابق، مج12، ص157.

(6) البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص351-352.

(7) ابن شبه، المصدر السابق، ج1، ص305.

(8) الأصفهاني، المصدر السابق، مج9، ص151.

(9) المصدر نفسه، مج1، ص49.

(*) مُفردها حَرّةٌ :الأرض ذات الحجارة السوداء-مقذوفات البراكين-. (أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج 3، ص116-117).

(10) شرّاب، أخبار العقيق، ص307.

نظراً لوقوع المدينة في أرض بركانية خصبة التربة، قامت بها زراعة جيدة وفّرت للسكان المحاصيل الزراعية، وما ساعد على نجاح هذا النشاط الاقتصادي وجود مصادر كثيرة للمياه من آبار وعيون ووديان تفيض بمياه السيول[1].

في العصر الأموي أُتخذت خطوات هامة على طريق تنمية الزراعة في المدينة؛ فقد استصلحت أراضي جديدة، وأُقيمت السدود، وأُعيد حفر الأقنية، كل ذلك بواسطة العبيد، واتجه أشراف القبائل إلى امتلاك الأراضي، وتوسعوا في ذلك عن طريق الحصول على الإقطاعات من الخلفاء أو الأمراء، أو بالشراء وبإحياء الأرض الموات[2].

اهتم الخليفة معاوية رضي الله عنه بتطوير الزراعة في المدينة؛ فحفر عيون الماء وجدّدها، مما انعكس على الإنتاج الزراعي الذي كان وفيرا في زمنه، فبلغ محصول مزارعه وحدها مائة وخمسين ألف وَسْقٍ (*) من التمر ومائة ألف وَسْقٍ من الحنطة [3]. وعيّن وكيلاً يُشرف على مزارعه وبساتينه[4].

---

(1) آل الشيخ، المرجع السابق، ص 119. تجتمع سيول المدينة في "زَغَابَة" وهو موضع في الشمال الغربي للمدينة، يصب فيه وادي العقيق ووادي بطحان ووادي قناة. (أنظر: ابن زبالة، المصدر السابق، ص 229؛ الملحق رقم01 ص186).

(2) النوافعة، المرجع السابق، ص 114. الأرض المَواتُ هي الأرض التي ليست ملكاً لأحدٍ، وغير مستغلّة من طرف أي شخص. (أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج 13، ص219). ولهذا النوع من الأراضي أحكام خاصة في الفقه الإسلامي. (أنظر: ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت 224هـ/838م)، الأموال، تحقيق أبو أنس سيد بن رجب، دار الفضيلة، الرياض، 2007، مج1، ص401، 413).

(*) وَسْقٌ: مقدار يساوي 122.4 كلغ. أنظر: جمعة علي محمد، المكاييل والموازين الشرعية، ط2، القدس للنشر، القاهرة، 2001، ص41.

(3) السمهودي، المصدر السابق، ج3، ص402.

(4) المصدر نفسه، ج4، ص405. ويُسمّى هذا الوكيل: عبد الرحمن بن أبي أحمد بن جحش. من المزارع التي اشتراها الخليفة: " ثنية الشريد" فيها أشجار العنب والنخيل. (أنظر: ابن زبالة، المصدر السابق، ص 225).

لم يقتصر الاهتمام بهذا القطاع الاقتصادي على الخليفة وحده، بل تعدّاه إلى أفرادٍ من البيت الأموي وأشراف المدينة من الصحابة وأبنائهم والأثرياء؛ إذ امتلكوا بساتين النخيل والفاكهة، ومنهم:

- الأمير مروان بن الحكم: عرصة البقل[1].

- سعيد بن العاص رضي الله عنه: عرصة الماء[2].

- أبو هريرة رضي الله عنه: أرضه بمنطقة الشجرة في العقيق[3].

- سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: بستان أشجار العنب بالعقيق[4].

- سعيد بن زيد رضي الله عنه: أرضه بمنطقة الشجرة في العقيق[5].

- سعيد بن عثمان بن عفان[6]، وعبد الله بن الزبير[7]، امتلكا بساتين النخيل وأراضي الزرع، يعمل لهما فيها عبيدٌ من التّرك والزّنج.

---

(1) الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص256.

(2) نفسه. يوجد فيها قصره الشهير الذي يعدّ من أجمل قصور وادي العقيق وأفخمها، وقد اندثر ولم يبق منه في الوقت الحاضر إلا بعض الأطلال. (أنظر الملحق رقم06 ص191).

(3) المصدر نفسه، ص271-272.

(4) كبريت، محمد (ت 1070هـ/1660م)، الجواهر الثمينة في محاسن المدينة ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص146.

(5) السمهودي، المصدر السابق، ج4، ص45.

(6) ابن حبيب، أسماء المغتالين، ص134.

(7) البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص60-61.

تحسّنت أساليب الزراعة ومنتجاتها عن طريق الأعاجم الذين جاؤوا إلى المدينة –موالي أو عبيد أو أسرى–؛ فأدخلوا خبراتهم وأساليبهم الزراعية ونقلوا مهاراتهم[1]. ومن أمثلة ذلك أن سعيد بن عثمان بن عفان استخدم أسرى أتراك في الحرث ورعاية النخيل [2]، وحفر أعجمي يسمى "تُحنَّس" عيناً في المدينة للحسين بن علي رضي الله عنه [3]، وكان للخليفة معاوية رضي الله عنه عبيدٌ زنوجٌ يعملون في مزارعه[4].

تنوعت المحاصيل الزراعية في المدينة، وأهمها التمر الذي فاقت أنواعه المائة وثمانين نوعا، وأجود هذه الأنواع وأشهرها: البَرْنِي الذي يُغرس فيها بكثرة، والصَّيحاني، والعَجوَة –تمرٌ مباركٌ–، والبَردي وهو أغلاها ثمناً[5].

ونجد أيضاً: العنب [6]، والحنطة [7]، والبقول والخضراوات التي زرعها السكان تحت أشجار النخيل، واستفادوا بذلك من الأرض المزروعة نخيلاً بزراعة محاصيل أخرى[8].

---

(1) العلي، المرجع السابق، ص442.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص580. كان سعيد بن عثمان والياً على خراسان–كما سبق ذكره– فهزم الترك في إحدى المعارك وأسر منهم حوالي أربعين رجلاً، ولمّا عُزل من منصبه عاد إلى المدينة ومعه أولئك الأسرى الأتراك؛ فاشتغلوا له في الحرث والسقي، لكنهم قتلوه غدراً فيما بعد. (أنظر: ابن حبيب، أسماء المغتالين، ص128، 134).

(3) الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص296–297.

(4) البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص60–61.

(5) كبريت، المصدر السابق، ص181، 183. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ تَصَبّحَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ اليَوْمَ سُمٌّ وَلا سِحرٌ)). (أنظر: البخاري، الصحيح، كتاب الطب، باب: الدواء بالعجوة للسحر، رقم5769، ص1130).

(6) ابن زبالة، المصدر السابق، ص225.

(7) السمهودي، المصدر السابق، ج3، ص402.

(8) آل الشيخ، المرجع السابق، ص126.

تُمثّل الأغنام أهم ثروة حيوانية بالمدينة، فاهتمّ السكان بتربيتها والاعتناء بها [1]، والمتاجرة فيها[2]، وبالطبع انتفعوا بلحومها وألبانها وأصوافها.

3-5- التجارة:

تُعدّ التجارة النشاط الاقتصادي الثاني بعد الزراعة في المدينة؛ إذ أن موقع المدينة الوسط بين الشام واليمن جعلها محطة للقوافل التجارية ومكان استراحة وتزوّد بما تحتاجه، فازدهر سوقها وتنوّعت سلعه[3].

فقدت المدينة جزءاً من أهميتها التجارية في العصر الأموي؛ نتيجة انتقال عاصمة الدولة الإسلامية منها إلى دمشق؛ فانتعشت الطرق التجارية المتجهة إلى الشرق عن طريق العراق، بعد أن كانت المدينة مركزاً للثقل السياسي والتجاري لفترة تزيد عن ثلث قرن[4].

ساهم اهتمام الخلفاء الأمويين بالمدينة وسكانها، وحرصهم على دفع العطاء لهم، وعنايتهم ببذل االأموال والهدايا لأشرافها في ازدهار الحياة الاقتصادية [5]، وكان لمواسم الحج والعمرة دورٌ كبير في تنشيط الحركة التجارية فيها؛ إذ جمع الحجاج بين التعبّد والتجارة، فجلبوا معهم البضائع من مختلف الأمصار الإسلامية إلى سوقها[6].

---

(1) ابن أنس، المصدر السابق، مج4، ص363-364.

(2) الأصفهاني، المصدر السابق، مج1، ص49.

(3) عباس، المرجع السابق، ص319.

(4) زيود محمد، دراسة تحليلية لموقف الحجاز من خلافة يزيد الأول ، مجلة دراسات تاريخية، العددان 61 و62، لجنة كتابة تاريخ العرب جامعة دمشق، دمشق، 1997، ص114.

(5) العلي، المرجع السابق، ص203.

(6) بدر، المرجع السابق، ج1، ص460، 462.

انقسمت التجارة في المدينة إلى قسمين: تجارة داخلية، وتجارة خارجية. القسم الأول؛ جلب أعراب بادية الحجاز ونَجْد الإبل والماشية إلى سوق المدينة، باعوها واشتروا بثمنها التمر والحِنطة[1].

أما القسم الثاني، فقد وردت إلى سوق المدينة سلع متنوعة مثل الحبوب من مصر [2]، والعطور من البحرين [3]، والسكر من العراق [4]. وساهم ميناء " الجار" في تنشيط تجارة المدينة الخارجية؛ إذ ترسو فيه السفن القادمة من مصر والحبشة والبحرين إلى المدينة[5].

3-6- الحرف والصناعات:

المعلومات عن الحرف والصناعات بالمدينة في هذه الفترة شحيحة جدًّا، وأشارت الروايات إلى وجود حرفة البناء[6]، والحِناطَة[7]، والجِزارَة[8]، والصناعة الجلدية[9].

---

(1) الأصفهاني، المصدر السابق، مج9، ص151.

(2) ابن أنس، المصدر السابق، مج 3، ص402. كانت الحبوب ترِد من مصر، وتُخزّن في ميناء الجار قبل توزيعها على سكان المدينة لذا تسمى " طعام الجار". (أنظر: العلي، المرجع السابق، ص429-430).

(3) البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص351-352.

(4) ابن سعد، المصدر السابق، ج6، ص466.

(5) ابن أصبغ، عرام (ت 275هـ/888م)، أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة أمين عبد الرحمن، القاهرة، 1953، ص9.

(6) الأصفهاني، المصدر السابق، مج1، ص45.

(7) المصدر نفسه، مج 3، ص 188. الحِناطَة: بيع الحِنْطة ويسمى البائع "الحَنّاطُ". (أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج3، ص360).

(8) المصدر نفسه، مج21، ص189. صاحب هذه الحرفة " الجَزّارُ".

(9) الزبيري، المصدر السابق، ج5، ص178.

3-7- إجراءات اقتصادية:

اتخذ الأمير مروان بن الحكم بعض التدابير بغرض تحسين اقتصاد المدينة، وحمايته من المفسدين بالدرجة الأولى، ومنها:

* قطع يد مزوّر العملة النقدية [1]؛ إذ عدّه الأمير من أبواب الفساد في الأرض، وزجراً لكل من تسوّل له نفسه أن يغش النقود أو يُخلّ بسلامتها وجودتها[2].

* ضبط المكاييل والموازين؛ إذ قارن الأمير بين الصيعان [*] ثم أخذ أعدلها وسُمّي صاع مروان[3]؛ لأن المكاييل أصبحت متباينة في زمن خلافة معاوية رضي الله عنه، مما اضطر الأمير أن يقارن بينها ويأخذ أعدلها [4]؛ أي أنه توصّل إلى تحديد مقدار الصاع الشرعي، وهو مطابق لصاع الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن ناحية أخرى حتى لا يقع ضررٌ في البيع أو الشراء[5].

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص658. تعامل المسلمون بالدرهم الفضّي الفارسي، والدينار الذهبي البيزنطي حتى خلافة عبد الملك بن مروان الذي سكّ النقود الإسلامية.

(2) الدهاس، المرجع السابق، ص56.

(*) الصِّيعَانُ: مفردها "صَاعٌ " وهو مكيال يساوي 2.04 كلغ. (أنظر: جمعة، المرجع السابق، ص37).

(3) ابن سعد، المصدر السابق، ج7، ص47.

(4) العلي، المرجع السابق، ص428.

(5) الريس، المرجع السابق، ص86.

تميز مجتمع المدينة بتجانس العناصر المكوّنة له؛ من أنصار ومهاجرين وموالي وعبيد، عاشوا استقرارا اجتماعيا نتيجة الهدوء وتوفر الأمن. وقد خلا المجتمع من مظاهر المجون واللهو والترف؛ إذ كان على قدر كبير من الفضيلة.

وتمتّعت المرأة في المدينة بمنزلة محترمة؛ إذ شاركت في الأحداث السياسية برأيها الذي عبّرت عنه بكل حرية دون تدخّل من أي جهة أو مصادرة له، وفي نفس الوقت كانت سيمتها الحياء والحشمة والعفة، والبُعد عن الشبهات.

عاش السكان عيشة بسيطة، لا تختلف بشكل كبير عن العهد الراشدي، فلم توجد بينهم طبقة مترفة، بل أغلبهم متوسطو الحال، ومارسوا مجموعة من الأنشطة أهمها الزراعة خاصة زراعة النخيل، ويُضاف إلى ذلك التجارة على المستوى الداخلي والخارجي وبعض الحرف والصناعات.

الفصل الرابع: الأحوال الثقافية

إن الحالة الثقافية أهمّ مظهر للحضارة، وكثيرا ما تكون الصورة الواقعية عنها؛ إذ ترتبط الثقافة بالمجهود الفكري للإنسان في شتى المجالات، كما أنها تُعبّر عن خبرات الأجيال وتجاربها عبر السنين.

ترتبط الثقافة ارتباطاً وثيقاً بالأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية؛ إذ تعدّ هذه الأوضاع الوعاء الحاضن لها، والبيئة التي تشبّ فيها وتزدهر.

إذا أخذنا بعين الاعتبار أن المدينة في فترة ولاية مروان بن الحكم شهدت استقرارا سياسيا واجتماعيا، وحالة اقتصادية مُريحة –إلى حدّ ما–، عاش فيها السكان حياة بسيطة، نطرح التساؤلات الآتية:

- هل انعكست هذه الحالة المستقرة على الجانب الثقافي؟
- إلى أي مدى أثّر انتقال العاصمة من المدينة إلى دمشق على هذا الجانب؟
- كيف ساهمت المدينة في حقل الثقافة الإسلامية حينها؟ ومن هم أبرز علمائها؟

1- التعليم

إن التعليم أساس تطور وازدهار الأمم، وكلّما اهتمت الأمة بالتعليم وعملت على تحسينه إلا انعكس على رقيّها، وزاد من قوتها في مختلف المجالات، وخلّدها في سجل الحضارات الإنسانية.

بدأ التعليم بالمدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين على أصول ثابتة من الكتاب والسُّنة، ولقي الاهتمام والعناية من الصحابة؛ فتعلم الكثير منهم ومن أولادهم القراءة والكتابة، ونبغوا في الدين وفي كثير من العلوم والمعارف الإنسانية، ونشروا ذلك في جميع بلاد الإسلام التي أُفتتحت على أيديهم[1].

ظلت المدينة في عصر الدولة الأموية مركزاً مشعاً وهاما يقصده العلماء والمتعلمون من كل مكان، رغم انتقال عاصمة الخلافة إلى دمشق، وظل التعليم فيها ثابتاً وراسخاً ينشر نوره في جميع أنحاء العالم[2].

1-1- حلقات التدريس:

يُقصد بحلقات التدريس التفاف الطلاب حول معلمهم على شكل أنصاف دوائر، ويُلقي المعلم خلال تلك الحلقات درسه شفويا، أو من كتاب بين يديه، وقد يكون الكتاب من تأليفه، أو من تأليف غيره[3].

---

(1) الأنصاري، التعليم في المدينة المنورة، ص161.

(2) نفسه.

(3) النقبي عبد الرحيم عبد الله محمد، التعليم في العصر الأموي (41-132هـ/661-749م)، رسالة دكتوراه، جامعة الشارقة، الشارقة- الإمارات العربية المتحدة، 2010، ص80.

كثُرت الحلقات التدريسية بالمسجد النبوي في هذه الفترة، ومنها: حلقة أبي هريرة[1]، وزيد بن ثابت [2]، وعبد الله بن عباس [3]، والحسين بن علي [4] رضوان الله عليهم. فقد قاد الصحابة حركة التعليم في المدينة، وترأّسوا حلقات التدريس، فاجتمع إليهم الناس للتفقّه في الدين، وتعلّم ما ينفعهم من أمور دنياهم.

1-2- أماكن التعليم:

أ- المسجد النبوي:

يُعدّ المسجد أحد المؤسسات التعليمية ذات الدور المباشر في التأثير على حياة الفرد المسلم، وسلوكياته وتعامله مع أفراد المجتمع من حوله، فالمسجد يمثل الحياة الروحية، والفكرية، والاجتماعية، والسياسية، والقضائية، والتعليمية، والصحية، والثقافية، والعسكرية، ويكفيه أنه مدرسة أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية الرسول صلى الله عليه وسلم[5].

كانت حلقات التدريس تُعقد في المسجد النبوي، وعلّم فيها الصحابة الناس أمور دينهم ودنياهم، وظلت أبوابه مفتوحة طوال الوقت أمام طلاب العلم من مختلف الفئات، فقد اجتمع فيه ثُلّة من التابعين زمن خلافة معاوية رضي الله عنه في حلقة علم ليلاً لفترة طويلة [6]، هذه الميزة جعلت العلماء يُحبّذون التدريس فيه على أماكن التعليم الخاصة.

---

(1) ابن سعد، المصدر السابق، ج5، ص239.

(2) ابن عساكر، المصدر السابق، ج40، ص248-249.

(3) ابن سعد، المصدر السابق، ج2، ص327.

(4) ابن عساكر، المصدر السابق، ج14، ص179.

(5) الصيدلاني، المرجع السابق، ص47.

(6) ابن عساكر، المصدر السابق، ج40، ص248-249.

الملاحظ أن التعليم بالمسجد النبوي لم يكن مقيداً بوقت معين؛ فأبو هريرة رضي الله عنه كان يُدرّس يوم الخميس [1]، ويوم الجمعة قبل خطبة الإمام [2]، أما عبد الله بن عباس رضي الله عنه كان يدرس بالمسجد النبوي طيلة أيام الأسبوع علوماً متنوعة[3].

لم تتدخل السلطة الحاكمة في التعليم بالمسجد؛ لأن هذا العمل خارج دائرة سلطانها ما دام المعلم غير معين من طرفها أو يتقاضى أجراً على عمله، فتُرِك له أن يدرّس ما شاء وقت ما شاء[4].

ب- الكُتّاب:

الكُتّاب جمعه كتاتيب، وهو موضع تعليم القراءة والكتابة، وهو مؤسسة تعليمية هامة وُجدت في المجتمع الإسلامي لتثقيف الصغار، وتربيتهم التربية الإسلامية الجيدة[5].

كانت الكتاتيب تُلحق أحيانا بالمسجد وتبعد عنه أحيانا أخرى، وغالبا ما تكون على شكل دكاكين في الدروب وأطراف الأسواق، كما كان بعض المعلمين يفردون حجرة أو أكثر من بيوتهم لتعليم الصبيان القراءة والكتابة والقرآن[6].

---

(1) البغدادي، أحمد بن علي (ت 463هـ/1071م)، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السماع ، تحقيق محمد عجاج الخطيب، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996، مج2، ص64.

(2) الحاكم، المصدر السابق، ج3، ص586.

(3) ابن سعد، المصدر السابق، ج2، ص317-318.

(4) النوافعة، المرجع السابق، ص161.

(5) بن دهيش عبد اللطيف عبد الله، الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما ، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، 1986، ص11.

(6) النقبي، المرجع السابق، ص102.

تعود فكرة تعليم الصبيان إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم [1]، ثم تطوّرت في العهد الراشدي –خاصة زمن الخليفة عمر رضي الله عنه–؛ فانتشرت الكتاتيب في المدينة، وأصبح لها نظامٌ تعليمي يشمل المواد التعليمية، والعُطل، وسِنُّ الدخول إليها [2].

ظلّ الكُتّاب أهم مؤسسة تعليمية للصغار في العصر الأموي [*]؛ إذ أن صفوان بن سليم[3] كان معلم كُتّاب بالمدينة في خلافة معاوية رضي الله عنه [4]، وأعطاه السكان أُجرةً على عمله[5]، ونجد أيضاً قبيصة بن ذُؤيب[6].

إن المتأمّل في سيرة هذين المعلّمين يلحظ المستوى العلمي الرفيع الذي يمتلكانه، والكفاءة العالية التي يتمتّعان بها، بالخصوص قُبيصة بن ذُؤيب الذي تتلمذ على يد كبار الصحابة، وهذا سيكون له الأثر الكبير في تنشئة الصغار وتحسين مستوى تعليمهم.

---

(1) ابن سعد، المصدر السابق، ج 2، ص20. وأشار ابن سعد أن ذلك كان بعد غزوة بدر عام 2هـ/624م، فقد أُسِر سبعون مشركاً، وافتدتهم عائلاتهم بأربعة آلاف درهم عن كلّ أسير، واشترط النبي صلى الله عليه وسلم على من لم يمتلك هذا المبلغ أن يُعلّم عشرة من صبيان المسلمين الكتابة ويُطلق سراحه.

(2) أنظر: الكتاني محمد عبد الحي، التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية ، تحقيق عبد الله الخالدي، ط2، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، د. ت. ن، ج2، ص199، 201.

(*) تهتمّ الدراسة بالكتاتيب في فترة خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فقط.

(3) صفوان بن سليم، الإمام الثقة الحافظ، تابعي، كان زاهدا عابدا، توفي عام 124هـ/742م. (أنظر: المزّي، المصدر السابق، مج13، ص184، 191).

(4) ابن عساكر، المصدر السابق، ج24، ص126–127.

(5) سحنون، عبد السلام بن سعيد (ت 240هـ/854م)، المدونة الكبرى، تحقيق لجنة دار الكتب العلمية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994، ج3، ص431.

(6) ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1985، ج11، ص94. قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعي، الإمام الفقيه، =

ج- بيوت العلماء:

جرى التعليم الإسلامي في البيت منذ عهد الإسلام المبكّر وقبل نشأة المساجد، يوم اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه [1] مركزا يلتقي فيه بأصحابه ومن تبعه، ليعلمهم الدين الجديد. وبالإضافة إلى دار الأرقم كان الرسول صلى الله عليه وسلم يجلس بمنزله بمكة ويلتف حوله المسلمون ليعلمهم، ثم غدت بعض البيوت فيما بعد ملتقى للطلاب والمدرسين [2]. وساهمت بيوت العلماء في نشر العلم وتسهيل سُبل تعميمه، وكانت عوناً لأماكن التعليم العامة؛ فقد كان يعقد فيها كثير من حلقات الآداب والعلوم والفقه والحديث والحكمة[3].

تُعدّ بيوت أمهات المؤمنين في طليعة ذلك؛ إذ نجد الصحابة والتابعين يزورون أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في بيتها للأخذ من علمها الغزير [4]، وكذا بيت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها الذي تتلمذ فيه الكثير من التابعين[5]، وتخرّج على يديهما العديد من كبار علماء المدينة ومكة والعراق والشام ومصر.

= من كبار التابعين، تولّى ديوان الخاتم والبريد للخليفة عبد الملك بن مروان، توفي عام 86هـ/705م. (أنظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج49، ص250، 264).

(1) الأرقم بن أبي الأرقم، من السابقين الأولين في الإسلام، كانت داره أول مقر للدعوة الإسلامية، توفي عام55هـ/675م. (أنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، مج1، ص131-132).

(2) عبد الدائم عبد الله، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين ، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، ص149.

(3) طلس محمد أسعد، التربية والتعليم في الإسلام، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2014، ص46.

(4) الذهبي، سير الأعلام، ج2، ص136، 139. كانت تجلس في حجرتها وبينها وبين طلابها ستار أو حاجز، فتسمع أسئلتهم وتُجيبهم، دون أن يروها وجهاً لوجه. (أنظر: مسلم، المصدر السابق، ص 498).

(5) المصدر نفسه، ص202.

ازدحم الناس أمام بيت عبد الله بن عباس رضي الله عنه حتى سُدّت الطرقات لكثرتهم، فقسّمهم إلى مجموعات حسب ما يريدون تعلّمه، ثم أدخلهم مجموعة تلو الأخرى؛ مجموعة الفرائض، ومجموعة اللغة العربية والشعر، ومجموعة الفقه[1].

د- مجلس أمير المدينة:

عرف مجلس أمير المدينة مروان بن الحكم نشاطا علميا؛ إذ حضره الصحابة والتابعون، وتبادلوا أطراف الحديث في شتى المواضيع، ومنها:

* التاريخ: دخل حكيم بن حزام رضي الله عنه [2] على الأمير مروان، فأجلسه بجانبه، وطلب منه أن يُحدّثه عن غزوة بدر، فسرد له قصتها[3]. وطلب من أحد جلسائه ذات مرّة أن يقصّ عليه حادثة مقتل كعب بن الأشرف [4]. وحدّثه حويطب بن عبد العزى رضي الهص عنه[5] عن كيفية إسلامه، والغزوات التي شارك فيها مع النبي صلى الله عليه وسلم[6].

نُلاحِظ شغف الأمير بالسيرة النبوية، واستفادته من الصحابة في ذلك؛ فقد روى قصة صُلح الحُديبية بين المسلمين وقريش عام6هـ/628م، وروايته أشهر الروايات وأوثقها[7].

---

(1) الحاكم، المصدر السابق، ج3، ص619.

(2) حكيم بن حزام بن خويلد، من أشراف قريش في الجاهلية والإسلام، توفي عام 54هـ/674م. (أنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، مج1، ص362-363).

(3) ابن بكار، جمهرة النسب، ج1، ص231.

(4) الواقدي، المغازي ج1، ص192-193. كعب بن الأشرف شاعر يهودي كان يُؤذي النبي صلى الله عليه وسلم، فأمر بقتله عام3هـ/625م. (أنظر: ابن هشام، المصدر السابق، ج3، ص12، 19).

(5) حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس، من أشراف قريش، توفي عام 54هـ/674م. (أنظر: ابن حجر، الإصابة، ج2، ص124-125).

(6) ابن سعد، المصدر السابق، ج6، ص126-127.

(7) البخاري، المصدر السابق، ص793-794؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج4، ص255، 265.

* الحديث النبوي: سأل الأمير مروان أبا سعيد الخدري رضي الله عنه عن نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن النفخ في الشراب، فروى له حديثاً في ذلك [1]. واستدعى زيد بن ثابت رضي الله عنه يستفسره عن مجموعة من الأحاديث [2]، كما طلب من أبي هريرة رضي الله عنه أن يُحدّثه ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم[3].

* الفقه: طُرحت مجموعة من المواضيع الفقهية للنقاش في مجلس الأمير مروان، مثل: صيام الجُنب في رمضان [4]، وكيفية أداء صلاة الخوف [5]، و نواقض الوضوء[6]، والفيء[7]، وصلاة النافلة ما بين العصر والمغرب[8].

* التفسير: جلس أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عند الأمير مروان، فطلب منه أن يفسر له آيةً من سورة آل عمران[9]، وفي مجلس آخر فسّر له سورة الفتح[10].

---

(1) الحاكم، المصدر السابق، ج4، ص155.

(2) ابن حنبل، المسند، ج9، ص6-7.

(3) الحاكم، المصدر السابق، ج4، ص102.

(4) ابن أنس، المصدر السابق، مج2، ص315-316.

(5) ابن حنبل، المسند، ج4، ص286.

(6) ابن أنس، المصدر السابق، مج1، ص295، 297.

(7) ابن بكار، جمهرة النسب، ج 1، ص 230. الفيء: أموال يتحصّل عليها المسلمون من الكفار دون قتال كالجزية والخراج وغيرها. (أنظر: الماوردي: المصدر السابق، ص147، 151).

(8) ابن حنبل، المسند، ج11، ص42-43.

(9) ابن كثير، التفسير، ج2، ص182. الآية 188 كما سبق ذكره في الفصل الأول.

(10) ابن حنبل، المسند، ج5، ص57.

اهتمّ الأمير مروان بطلب العلم والتفقّه في الدين، خاصة مع وجود الصحابة حينها بالمدينة، فلم يُضيع فرصة الاستفادة من علمهم، ولا شك أن ما جرى بينهم من أحاديث ومحاورات تناقلها الرواة، ورووها لعظيم فائدتها، لذا نجدها مبثوثة في كتب الحديث والفقه والتفسير، أي أن مجلس الأمير كان له دور في إثراء التراث الإسلامي(*).

هـ- مجلس القلادة:

هو مجلس لقريش بالمدينة، يجتمع فيه أشرافها وأبناء المهاجرين وغيرهم، وسُمّي مجلس القلادة لأنه يُشبه القلادة المنظومة بالجواهر لحُسنه وجماله وشرف أهله، وكان للخليفة معاوية رضي الله عنه عنايةٌ بأخباره(1)، يُناقش في هذا المجلس الفقه وأصناف العلوم(2).

لم تطل أيام هذا المجلس؛ إذ وقع خلاف حادّ بين الحاضرين في موضوع معين، مما اضطر الأمير مروان إلى التدخلّ وبَعْثِ رسالة إلى الخليفة عمّا جرى، لكن الأمور تأزّمت، فتوقّفت الاجتماعات فيه نهائيا(3).

(*) يقول أحمد عباس صالح عن أحوال المدينة في زمن خلافة معاوية رضي الله عنه: ((...ويجلس الأمير في حاشية من صحبه وخدمه والمتزلفين إليه)). (أنظر: عباس صالح أحمد، اليمين واليسار في الإسلام ، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1973، ص152). وفي هذا نظرٌ؛ فقد كان مجلس الأمير مروان عامراً بالصحابة والتابعين، يتناقشون في قضايا علمية متنوعة مثلما ذكرت في الصفحات السابقة، والصحابة لم يُعرف عنهم التّزلّف إلى الأُمراء والخُلفاء ومُداهنتهم.

(1) ابن حبيب، المنمق، ص357.

(2) ابن عساكر، المصدر السابق، ج32، ص242.

(3) ابن حبيب، المنمق، ص358، 360.

1-3- موضوعات التعليم

أ- علوم القرآن الكريم:

* علم القراءات: تخصّص فيه زيد بن ثابت رضي الله عنه، وكان رائده بالمدينة حتى وفاته عام45هـ/665م[1].

* علم التفسير: تزعّمه عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وقد خصّص يوماً في الأسبوع لتدريس هذا العلم[2].

ب- علم الحديث:

روى الصحابة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، منهم المُكثر والمُقلّ، وأكثر من روى الحديث وكثُر تلاميذه: أبو هريرة وعبد الله بن عمر وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم [3]. واعتمد منهج تدريس الأحاديث النبوية على حضور الطالب المجالس التي كانت تُعقد بشكل نظامي، أو غير نظامي، وإما أن يرتبط مع شيخ ما، وقد استعمل الصحابة التحديث الشفهي والإملاء، وحتى القراءة من الكتب[4].

---

(1) ابن سعد، المصدر السابق، ج2، ص310. مما يُذكر في الموضوع أن الأمير مروان أرسل إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنه بُعيد وفاة أخته أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها عام 45هـ/665م ليُعطيه الصُّحُف التي كانت عندها، فمحاها الأمير حتى لا يقع الاختلاف في قراءة القرآن أو التشكيك فيه؛ لأن المصحف العثماني هو المعتمد والمجمع عليه من طرف الصحابة. (أنظر: ابن أبي داود، عبد الله بن سليمان (ت 316هـ/928م)، المصاحف، تحقيق محب الدين عبد السبحان واعظ، ط 2، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2002، مج1، ج1، ص211-212).

(2) ابن سعد، المصدر السابق، ج2، ص317-318.

(3) الكتاني، المرجع السابق، ج2، ص269-270.

(4) الأعظمي محمد مصطفى، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، المكتب الإسلامي، بيروت، 1980،=

ج- علم الفقه:

أُشتهر بالفتوى في المدينة زمن خلافة معاوية رضي الله عنه كل من: زيد بن ثابت [1]، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، ورافع بن خديج، وجابر بن عبد الله، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم[2].

د- علم الفرائض:

علم المواريث والتّرِكات، الأستاذ الأول في هذا العلم زيد بن ثابت رضي الله عنه [3]، وهناك أيضاً أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها[4].

هـ- علم المغازي والسير:

أجمع الباحثون على أنّ جمع أحاديث السيرة والمغازي وتبويبها بداية التأليف التاريخي في العصر الإسلامي، وأن تأليف السيرة والمغازي اختصّت به المدينة، وتخصّص فيه سكانها، وأنها موطن هذه الدراسة ومهدها، دون سواها من الأمصار؛ لذا يُمكن القول أن مؤسسي التاريخ العربي الإسلامي الأولين هم: سكان المدينة[5].

= ج2، ص335.

(1) ابن سعد، المصدر السابق، ج2، ص310.

(2) المصدر نفسه، ص 321، 323. جابر بن عبد الله بن عمرو، من علماء الصحابة، كانت له حلقة تدريس بالمسجد النبوي، من أكثر الصحابة رواية للأحاديث النبوية، توفي عام 78هـ/697م. (أنظر: ابن حجر، الإصابة، ج1، ص546-547).

(3) الحاكم، المصدر السابق، ج3، ص478.

(4) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص48-49.

(5) مدني أمين، التاريخ العربي ومصادره، ط2، دار القوافل، الرياض، 2008، ج2، ص185.

كانت المغازي موضوعاً محبّباً للحديث في مجتمع أشراف المدينة [1]؛ لذا حَرِصوا على تعليمها لصبيانهم كتعليمهم سور القرآن [2]، ولا غرابة في ذلك؛ لأن المدينة مقرّ المصطفى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الثلاثة من بعده، وموئل أغلب الأحداث الهامة في تاريخ الأمة المسلمة، وكان أبناء المدينة لهم مشاركة كبيرة في صنع هذه الأحداث، ولهذا أصبحت مقرّ علم السيرة والمغازي وكان أهلها أعلم الناس به[3].

أُشتهر مجموعة من الصحابة في هذه الفترة برواية السير والمغازي، أمثال: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وأم المؤمنين عائشة، وجابر بن عبد الله، وأبي هريرة رضي الله عنهم، ونقل عن هؤلاء الصحابة كبار مؤرخي السيرة الذين وصلتنا كُتبهم[4].

و- علم الأنساب:

علم الأنساب من العلوم الجليلة المهمة لكل أمة، وقد اهتم به المسلمون اهتماما كبيرا، والغرض منه تعلّم نسب النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يعلم المرء أن الخلافة لا تجوز إلا في قريش، وأن يعرف الإنسان أقاربه ومحارمه لأنه يتعلق بعلم المواريث والتّرِكات، وأُستخدم في العطاء وتوزيع الجند حسب القبائل[5].

---

(1) هوروفتس يوسف، المغازي الأولى ومؤلفوها، ترجمة حسين نصار، ط 2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001، ص24.

(2) البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي، مج2، ص288.

(3) الموسى، المرجع السابق، ص263.

(4) سلامة محمد يسري، مصادر السيرة النبوية ومقدمة في تدوين السيرة، دار الجبرتي، القاهرة، 2010، ص71-74. خصّص ابن عباس رضي الله عنه يوماً في الأسبوع لتدريس المغازي وأيام العرب. (أنظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج2، ص317-318).

(5) الموسى، المرجع السابق، ص280.

عاش في المدينة زمن ولاية مروان بن الحكم مجموعة من الصحابة النّسّابة، أمثال: حويطب بن عبد العزى، وحسان بن ثابت [1]، ومخرمة بن نوفل [2]، وأم المؤمنين عائشة، وحكيم بن حزام، وجبير بن مطعم [3]، وعقيل بن أبي طالب [4]، وأبو الجهم، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم[5].

ز- الشعر[*]:

درّس عبد الله بن عباس رضي الله عنه الشعر، وخصّص له يوماً في الأسبوع [6]، وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها موسوعةً شعريةً؛ تحفظ المئات من الأشعار [7]، وكثيراً ما ترويها لتلاميذها[8].

---

(1) حسان بن ثابت بن المنذر، شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام، توفي عام54هـ/674م. (أنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، مج1، ص341، 351).

(2) مخرمة بن نوفل بن أهيب، من أشراف قريش وعلمائها بالنسب، توفي عام 54هـ/674م. (أنظر: ابن حجر، الإصابة، ج6، ص41، 43).

(3) جبير بن مطعم بن عدي، من أشراف قريش وعلمائها بالنسب، توفي عام 59هـ/679م. (أنظر: الذهبي، سير الأعلام، ج3، ص95، 99).

(4) عقيل بن أبي طالب، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، من أشراف قريش، كان يدرّس الأنساب في المسجد النبوي، وهو من أعلم الناس بها، توفي في خلافة يزيد بن معاوية. (أنظر: ابن حجر، الإصابة، ج4، ص438-439).

(5) أبو زيد، طبقات النسابين، دار الرشد، الرياض، 1987، ص13، 17.

(*) سيأتي الحديث عن موضوع الشعر في المدينة بالتفصيل في هذا الفصل.

(6) ابن سعد، المصدر السابق، ج2، ص317-318.

(7) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص46.

(8) ابن عبد البر، الاستيعاب، مج4، ص1883.

ح- علم تفسير الأحلام:

برعت في علم تفسير الأحلام أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها؛ إذ تعلمّته من أبيها، وعنها أخذ التابعون هذا العلم[1].

ط- علم الطب:

كان لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها معرفة كبيرة بالأمراض وأدويتها، حتى أن تلميذها عروة بن الزبير [2] تعجّب من ذلك، فأخبرته أنها تعلّمت ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ تأتيه الوفود ويشكو الرجل منهم علّته، فيصف لهم دواءها[3].

ي- علم الفلك:

يُسمّى آنذاك علم النجوم[*]، درّسته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لتلاميذها[4].

---

(1) ابن سعد، المصدر السابق، ج7، ص124. ومن تلاميذها سيد التابعين: سعيد بن المسيب.

(2) عروة بن الزبير بن العوام، من كبار التابعين، أحد فقهاء المدينة، خالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأُستاذته، كان زاهدا عابدا، توفي عام94هـ/713م. (أنظر: الذهبي، سير الأعلام، ج4، ص421، 437).

(3) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص46-47.

(*) لهذا العلم أهمية كبيرة في تلك الفترة، لأنه يُستخدم في حساب الأشهر القمرية – بدايتها ونهايتها-؛ لأن العبادات في الإسلام مرتبطة بهذه الأشهر، مثل: صوم رمضان، وإخراج الزكاة، والحج، وعِدّة المرأة المطلّقة والمُتوفّى زوجها وغيرها.

(4) الأصفهاني، المصدر السابق، مج 11، ص131. في هذا السياق، ألّف الإمام مالك كتاباً في علم النجوم، ويُحتمل أنه أخذ هذا العلم عن مشايخ المدينة من التابعين والذين بدورهم أخذوه عن الصحابة. (أنظر: عياض، بن موسى (ت 544هـ/1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تحقيق عبد القادر الصحراوي، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1983، ج2، ص91).

1-4- تدوين العلوم:

أصّل الأمويون مبادئ بعض العلوم، وفتحوا طريق التأليف؛ إذ نشط التدوين والكتابة في عصرهم، وكثُرت المؤلفات ذات الصبغة العربية الإسلامية الخالصة، ولو أن الزمان أغار على جُلّها وأضاعها [1]. ويُعدّ مروان بن الحكم أول حاكم أموي أراد أن يحفظ معارف مشاهير الصحابة ويصونها من الضياع[2].

مما يُذكر في هذا الموضوع، أن الأمير مروان استدعى زيد بن ثابت رضي الله عنه ووجّه إليه مجموعة من الأسئلة الفقهية، فأجابه عنها، وكان الأمير قد كلّف من يكتب أجوبته وهم مُختبؤون وراء ستارٍ [3]، وكذا فعل مع أبي هريرة رضي الله عنه حين أراد أن يُدوّن الأحاديث النبوية عنه [4]. وهذه من مناقب الأمير، ودليل على حبّه للعلم وتقديره للصحابة ومعرفته منزلتهم وعلمهم.

---

(1) أمحزون محمد، الحركة العلمية في الحجاز في العهد الأموي ، مجلة البيان، العدد 66، المنتدى الإسلامي، الرياض، 1993، ص41-42.

(2) سزكين فؤاد، تاريخ التراث العربي، ترجمة محمود فهمي حجازي، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1991، مج1، ج1، ص128.

(3) ابن سعد، المصدر السابق، ج 2، ص 311. سبب اختباء الكُتّاب وراء الستار أن بعض الصحابة كانوا يكرهون تدوين العلم، لذا أراد الأمير مروان أن يكتب معارفهم خُفية عنهم. (أنظر: الأعظمي، المرجع السابق، ص71، 83).

(4) ابن أبي الدنيا، المصدر السابق، ص263.

2- العلماء

إن المدينة موطن الشرع، ومُهاجر النبي صلى الله عليه وسلم، ومبعث النور ومعقد الحكم الإسلامي الأول، وعاصمة دولة الإسلام في عهد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وظلّت المدينة في العصر الأموي موئل الشريعة، ومرجع العلماء[1].

تمتّع علماء المدينة بمنزلة خاصة في نفوس المسلمين، وقد أُطلق على مدينتهم "مدرسة المدينة"؛ لأنها كانت أغزر علماً، وأكثر شهرة من مدرسة مكة، قد تخرّج منها أكثر علماء ذلك العصر في التفسير والحديث والفقه والتاريخ[2].

أُشتهر في زمن ولاية مروان بن الحكم على المدينة مجموعة من الصحابة العلماء، الذين تعلّم على أيديهم الكثير من التابعين، وانتشر علمهم في جميع الآفاق، منهم:

أ- زيد بن ثابت رضي الله عنه:

كاتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم[3]، وكان يُترجم له الرسائل التي ترِد إليه باللغة السريانية والعبرية، وقد تعلّمهما في مدة سبعة عشر يوماً[4].

إمام المدينة في القراءات والقضاء والفتوى والفرائض منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى وفاته عام45هـ/665م[5].

---

(1) أبو زهرة محمد، مالك حياته وعصره – آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، القاهرة، 1947، ص30-31.

(2) النوافعة، المرجع السابق، ص162.

(3) ابن عبد البر، الاستيعاب، مج2، ص538.

(4) ابن عساكر، المصدر السابق، ج19، ص303، 305.

(5) ابن سعد، المصدر السابق، ج2، ص310.

أحد علماء الصحابة الستة، وأعلمهم بالقضاء [1]، كان إمام المسلمين في خلافة عثمان وعلي ومعاوية رضي الله عنه، وساهم في حفظ علم الفرائض بالتأليف فيه[2].

قال أبو هريرة رضي الله عنه حين بلغه خبر وفاته: ((مات اليوم حبر هذه الأمة)) [3]، وبكاه عبد الله بن عباس رضي الله عنه، فلما دُفن قال: ((هكذا يُدفن العلم))[4].

ب- أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

أفقه نساء أمة الإسلام على الإطلاق، روت عن النبي صلى الله عليه وسلم ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، ورواها عنها خلقٌ كثير [5].

كانت عالمة بالحلال والحرام، والحديث، والشعر، وأيام العرب، والأنساب، والقضاء، والطب، التفسير[6]. وكان كبار الصحابة يسألونها عن الفرائض[7] والسُّنن[8].

---

(1) أبو زرعة، المصدر السابق، ص 336-337. قلّده الخليفة عمر رضي الله عنه منصب القضاء، وجعل له مرتبا شهريا. (أنظر: المسعودي، المصدر السابق، ص254).

(2) الفسوي، يعقوب بن سفيان (ت 277هـ/891م)، المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، مكتبة الدار، المدينة المنورة، 1990، ج1، ص486.

(3) الحاكم، المصدر السابق، ج3، ص483.

(4) المصدر نفسه، ص484.

(5) الذهبي، سير الأعلام، ج2، ص135، 139.

(6) المصدر نفسه، ص183.

(7) الفسوي، المصدر السابق، ج1، ص489.

(8) ابن سعد، المصدر السابق، ج2، ص323.

اتّصفت بالزهد في الدنيا، تأتيها الأموال الكثيرة فتفرّقها على المساكين دون أن تُبقي لها شيئا منها رغم حاجتها للمال [1]، كانت كثيرة العبادة، بسيطة في عيشها؛ ترفض الثياب الجديدة، وتُرقّع ثيابها القديمة بيدها وتلبسها[2].

توفيت بالمدينة عام 57هـ/677م، وصلّى عليها أبو هريرة رضي الله عنه، بكاها الصحابة والتابعون، وحَزِنوا عليها حُزناً شديداً[3].

ج- أبو هريرة رضي الله عنه:

أحفظ الصحابة للحديث النبوي وأكثرهم رواية له [4]، إذ روى خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وستين حديثا [5]، وقد دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بالحفظ وقوة الذاكرة [6]، وبلغ عدد من روى عنه من التابعين أكثر من ثمانمائة شخص [7]؛ إذ كانت لأبي هريرة رضي الله عنه حلقة علم بالمسجد النبوي، يُدرّس فيها ويروي الأحاديث النبوية[8].

---

(1) الحاكم، المصدر السابق، ج4، ص15.

(2) ابن سعد، المصدر السابق، ج10، ص72.

(3) الحاكم، المصدر السابق، ج4، ص5.

(4) المصدر نفسه، ج3، ص582.

(5) الكتاني، المرجع السابق، ج2، ص269.

(6) البخاري، الصحيح، ص387.

(7) الذهبي، سير الأعلام، ج2، ص586.

(8) ابن سعد، المصدر السابق، ج5، ص239.

أفتى بالمدينة منذ خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى وفاته[1]، شهد له عبد الله بن عباس رضي الله عنه بالعلم؛ إذ جاءه رجل يبحث عن فتوى، فأشار عليه بأبي هريرة [2]. واعتمد علماء المذاهب الفقهية فتاواه، وعملوا بها[3]. توفي بالمدينة عام59هـ/679م[4].

د- عبد الله بن عباس رضي الله عنه:

يُسمّى البحر لكثرة علمه ، ربّانيّ الأمة وحبرها [5]، وتُرجمان القرآن [6]، دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بالفقه ومعرفة التفسير[7]. روى ألفاً وستمائة وستون حديثا نبويا[8].

تبحّر في شتى العلوم، فدرّس التفسير، والفقه، والفرائض، واللغة العربية، والشعر [9]، والمغازي وأيام العرب، والأنساب[10]، وازدحم طُلّاب العلم أمام باب بيته حتى سُدّت الطُّرقات والشوارع من كثرتهم[11].

---

(1) ابن سعد، المصدر السابق، ج2، ص321.

(2) ابن أنس، المصدر السابق، مج3، ص270.

(3) الذهبي، سير الأعلام، ج2، ص619، 621.

(4) الحاكم، المصدر السابق، ج3، ص581.

(5) المصدر نفسه، ص616.

(6) الفسوي، المصدر السابق، ج1، ص496.

(7) الحاكم، المصدر السابق، ج3، ص615.

(8) الذهبي، سير الأعلام، ج3، ص359.

(9) الحاكم، المصدر السابق، ج3، ص619.

(10) ابن سعد، المصدر السابق، ج6، ص334.

(11) الحاكم، المصدر السابق، ج3، ص619.

جاءت امرأة إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنه تطلب فتوى، فدلّها على عبد الله بن عباس رضي الله عنه لعلمه الكبير [1]، حتى أن الصحابة إذا أشكل عليهم أمرٌ سألوه، وأخذوا بقوله فيه[2]، ورُوِي أن الخليفة معاوية رضي الله عنه خرج حاجًّا ومعه ابن عباس رضي الله عنه، فكان للخليفة موكبٌ، ولابن عباس موكبٌ من طلبة العلم [3]. توفي بالطائف عام68هـ/687م[4].

هـ- عبد الله بن عمر رضي الله عنه:

العالم الزاهد العابد، من أكثر الصحابة رواية للحديث النبوي؛ إذ روى ألفين وستمائة وثلاثين حديثا[5]. كان أورع الناس[6] وأزهدهم في الدنيا[7]، اُشتهر بتمسّكه الشديد بسنّة النبي صلى الله عليه وسلم[8]، وتتبّعه آثاره في كل مكان[9].

---

(1) أبو زرعة، المصدر السابق، ص314.

(2) ابن سعد، المصدر السابق، ج6، ص332.

(3) ابن عبد البر، الاستيعاب، مج3، ص935.

(4) الحاكم، المصدر السابق، ج3، ص627.

(5) الذهبي، سير الأعلام، ج3، ص238.

(6) الفسوي، المصدر السابق، ج1، ص491.

(7) الحاكم، المصدر السابق، ج3، ص646.

(8) المصدر نفسه، ص644.

(9) ابن سعد، المصدر السابق، ج 4، ص135. كان يُصلّي في المكان الذي صلّى فيه النبي صلى الله عليه وسلم، ويسقي الشجرة التي جلس فيها، ويسير على الطريق الذي سار عليه عسى أن يضع قدمه في موضع قدمه الشريفة، حتى أنه صار يبدو كالمجنون من شدّة اقتفائه الآثار النبوية. (أنظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج31، ص120، 122).

أفتى النّاس في موسم الحجّ وغير ذلك مدة ستين سنة [1]، وصار إمام المسلمين بعد وفاة زيد بن ثابت رضي الله عنه[2]. قال عنه جابر بن عبد الله رضي الله عنه: ((ما أدركنا أحداً وما رأينا أحداً إلا قد مالت به الدنيا، ومال بها إلا عبد الله بن عمر)) [3]. توفي بمكة عام74هـ/693م[4].

أسّس هؤلاء الصحابة مدرسة المدينة في مختلف فروع العلم؛ إذ تربّوا على أيدي نبي هذه الأمة، وكان لهم دور هام في نشر العلوم، وفي تدريسها لطلاب العلم من الأمصار الإسلامية، حتى أصبحت المدينة في العصر الأموي منارةً للعلم وطلاّبه[5].

ختامًا لموضوع علماء المدينة، أودّ الإشارة إلى مكانة الأمير مروان بن الحكم العلمية[*]؛ إذ يُعدّ في الطبقة الثانية التي تلي الصحابة من أصحاب الفتوى بالمدينة[6].

---

(1) الفسوي، المصدر السابق، ج1، ص491.

(2) أبو زرعة، المصدر السابق، ص376.

(3) الفسوي، المصدر السابق، ج1، ص490.

(4) الحاكم، المصدر السابق، ج3، ص642.

(5) النوافعة، المرجع السابق، ص169.

(*) ممّا يُؤسف له أن مؤرخاً كبيرا، وعلماً من أعلام الحضارة الإسلامية "تقي الدين المقريزي" يتحامل على مروان بن الحكم تحاملاً شديداً، لدرجة تجاهل الحقائق التاريخية وأقوال أئمة المسلمين سلفاً وخلفاً؛ إذ أنكر رواية مروان للحديث النبوي، وتفقّهه في الدين، وولايته على المدينة وغيرها، فقال عنه: ((... وكان رجلا لا فقه له، ولا يعرف بالزهد، ولا برواية الآثار، ولا بصحبة، ولا ببعد همة، وإنما ولي رستاقا من رساتيق داربجرد لابن عامر، ثم ولي البحرين لمعاوية)). (أنظر: المقريزي، أحمد بن علي (ت 845هـ/1441م)، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1988، ص47). وقد رجّح بعض الباحثين أن هذا الكتاب ليس من تأليف المقريزي بل نُسب إليه. (أنظر: الصلابي، الدولة الأموية، ج1، ص23).

(6) ابن حزم، أصحاب الفتيا من الصحابة والتابعين ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا ، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ص143.

روى الحديث النبوي عن عمر، وعثمان، وعلي، وزيد، وأبي هريرة، وبُسرة بنت صفوان[1] رضي الله عنهم، وروى عنه زين العابدين علي بن الحسين، وسعيد بن المسيب[2]، وعروة بن الزبير، وسهل بن سعد رضي الله عنه [3]-أكبر منه سنًّا وقدراً لأنه صحابي-، وآخرون[4]، وأخرج أهل الصِّحاح عدّة أحاديث عن مروان[5].

كان من الفقهاء[*]، ومن أقرأ الناس للقرآن [6]، سُئِل الخليفة معاوية رضي الله عنه عمّن يخلفه في الحُكم، فقال: ((... وأما القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، الشديد في حدود الله مروان بن الحكم...))[7].

---

(1) بُسرة بنت صفوان بن نوفل، صحابية لها سابقة في الإسلام وهجرة، كانت من المبايعات للرسول صلى الله عليه وسلم. (أنظر: ابن حجر، الإصابة، ج8، ص51).

(2) سعيد بن المسيب بن حزن، سيّد التابعين، كان فقيها زاهدا عابدا، توفي عام 94هـ/713م. (أنظر: الذهبي، سير الأعلام، ج4، ص217، 246).

(3) سهل بن سعد بن مالك، آخر من مات من الصحابة بالمدينة، توفي عام 91هـ/710م. (أنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، مج2، ص664-665).

(4) ابن حجر، الإصابة، ج6، ص203. نُلاحظ أن مروان روى الحديث النبوي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وروى عنه-أي مروان- علي بن الحسين زين العابدين، وهو ما يُؤكّد العلاقة الطيبة التي جمعت مروان بن الحكم وأهل البيت.

(5) ابن تيمية، منهاج السنة، ج6، ص245.

(*) وشهد له بذلك كبار أئمة المسلمين، ومنهم: الإمام مالك الذي اعتمد على فتاوى مروان وقضائه، ويُعقّب عليها بقوله: ((وهذا أحبُّ ما سمعت إليَّ في ذلك)). (أنظر: ابن أنس، المصدر السابق، مج 3، ص 237، 242).

(6) البلاذري، أنساب الأشراف، ج6، ص256.

(7) أبو زرعة، المصدر السابق، ص300.

من فتاوى الأمير مروان: نذرت امرأة نحر ابنها، فأتت إلى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما تستفتيهما، فأمرها الأول بالوفاء بالنذر، وأما الآخر فطلب منها نحر مائة من الإبل كفّارة عن نذرها، وحين سمع الأمير مروان بذلك، أفتاها أن لا نذر في معصية الله، وأمرها بالاستغفار والتوبة إلى الله، ففرح الناس بفتواه وأخذوا بها[1].

جاء أناسٌ من أهل البحر إليه يسألونه عن حكم أكل الحيوانات البحرية الميتة التي يُلقيها البحر على الشاطئ، فأفتاهم أنه يجوز أكلها، ثم أمرهم بالذهاب إلى أبي هريرة وزيد بن ثابت رضي الله عنهما ويسألانهما عن ذلك، فأفتوهم بجواز أكلها [2]. كما نجده وعبد الله بن عباس رضي الله عنه يُجيزان بيع المصاحف [3]، وأفتى أيضاً مع عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أحد الحجاج في أمر يخصّ الإحرام بنفس الفتوى[4].

ختامًا للموضوع، فإن ((مروان رجل عدل من كبار الأمة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين. أما الصحابة فإن سهل بن سعد الساعدي روى عنه. وأما التابعون فأصحابه في السن، وإن [كان] جازهم باسم الصحبة في أحد القولين وأما فقهاء الأمصار فكلهم على تعظيمه، واعتبار [خلافه]، والتلفت إلى فتواه، والانقياد إلى روايته. وأما السفهاء من المؤرخين والأدباء فيقولون على أقدارهم))[5].

---

(1) ابن عساكر، المصدر السابق، ج57، ص240.

(2) ابن أنس، المصدر السابق، مج3، ص129.

(3) سحنون، المصدر السابق، ج3، ص430.

(4) ابن أنس، المصدر السابق، مج2، ص482-483.

(5) ابن العربي، المصدر السابق، ص90-91.

3- الشعراء

الشعر لون من ألوان الأدب العربي، بل هو أعلى مراتب هذا الأدب، وقد برع فيه العرب منذ أقدم الأزمنة التاريخية، واختصوا به دون سائر العلوم الأخرى، وهو رافدٌ من روافد الحركة الفكرية عند العرب قبل الإسلام، وحظي الشاعر بمنزلة عظيمة في قبيلته[1].

حفلت المدينة بكثير من الشعراء في العصر الجاهلي، وعندما جاء الإسلام حثّ الشعراء على قرض الشعر بما يتّفق وتعاليمه، وكان له مكانة كبيرة؛ لأنه الوسيلة الإعلامية في ذلك الوقت، وقد بلغت المدينة شأواً كبيرا في إجادته [2]؛ إذ كان كل بيت من بيوت الأنصار يقول الشعر[3]، لذا فإن المدينة أشعر القرى العربية[4].

يغلب على شعر المدينة الطابع الغزلي، مع شيء يسير من الهجاء والمديح [5]، يُضاف إلى ذلك الشعر السياسي؛ إذ كانت المدينة مقر الشعراء الذين لا يُبالون بسطوة حاكم ولا يرهبون من قوة ظالم، وبالنقّاد الذين ينقدون فيُحسنون، ومن هنا كانت عيناً ثرّةً بالشعر، ومنبعا فيّاضاً بالأدب، لا يغيض ماؤه، ولا يحيل رَواؤُه[6].

---

(1) محمد، المرجع السابق، ص104.

(2) الموسى، المرجع السابق، ص205.

(3) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج6، ص134.

(4) ابن سلّام، محمد (ت 231هـ/845م)، طبقات الشعراء، تحقيق جوزف هل، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ص87. أشار ابن سلام أن القرى العربية هي: المدينة ومكة والطائف واليمامة والبحرين.

(5) ضيف، تاريخ الأدب العربي، ط20، دار المعارف، القاهرة، 2002، ج2، ص144.

(6) خفاجي محمد عبد المنعم، الحياة الأدبية عصر بنى أمية ، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1987، ص39-40.

يعود سبب توجّه سكان المدينة إلى الشعر الغزلي للحياة الجادّة التي كان يحياها معظم أفراد المجتمع، وقوة تمسّكهم بدينهم، واتجاه الكثير منهم إلى العلم، وانشغالهم به تعلّماً وتعليماً، كان له أثر كبير في اتجاه الشعراء إلى الغزل وكثرته في شعرهم[1].

أما الهجاء والفخر نجدهما بقوة في بيئة العراق، لوجود الصراع والتنافس القبلي أو المذهبي، وغياب ذلك عن بيئة المدينة؛ فأدّى ذلك إلى عزوف الشعراء عن هذين اللونين من الشعر لضعف الدوافع إليهما[2].

حفلت المدينة زمن ولاية مروان بن الحكم بوجود مجموعة من مشاهير فحول الشعراء سواء كانوا من سكانها أصلاً، أو عاشوا فيها لمدة من الزمن، أو مرّوا بها لحجٍّ أو تجارة وغيرها، وأذكر منهم[*]:

أ- الفرزدق:

عاش الفرزدق في العراق، لكن طرده الوالي زياد بن أبي سفيان، فهرب إلى المدينة مستجيراً بأميرها سعيد بن العاص رضي الله عنه [3]، ولمّا تولّى مروان بن الحكم المدينة، أخرج الفرزدق منها بعد أن أمهله ثلاثة أيام بسبب شعره الفاحش[4]، رغم أنه حذّره قبل قدومه إليها من هجاء الناس وإذايتهم بشعره[5].

---

(1) الخلف، المرجع السابق، ص249.

(2) المرجع نفسه، ص255.

(*) سأقتصر في على ذكر الشعراء الذين كانت لديهم قصةٌ أو جرت لهم حادثةٌ مع الأمير مروان بن الحكم.

(3) الطبري، المصدر السابق، ج5، ص241، 250.

(4) الأصفهاني، المصدر السابق، مج21، ص225-226.

(5) البكري، المصدر السابق، ج1، ص11.

ب- ليلى الأخيلية[1]:

هجت ليلى الأخيلية الشاعر النابغة الجعدي رضي الله عنه[2]، وهجت قومه بني جعدة، فشكوها إلى الأمير مروان، فجُلبت إلى المدينة، ووقفت أمام باب الأمير تمدحه بأبيات شعر وتشرح له ما جرى لها مع بني جعدة[3].

ج- جميل بن معمر[4]:

أحبّ بُثينة وقال فيها شعراً، فمنعه قومها عنه وأرادوا به سوءاً، فهجاهم، حينئذٍ شكوه إلى الأمير مروان؛ فنذر قطع لسانه إن أمسكه، فهرب جميل إلى اليمن[5].

د- عبد الرحمن بن حسان[6] وعبد الرحمن بن الحكم:

اُشتهرا بالمهاجاة التي كانت بينهما، ودامت لفترة طويلة أفحشا فيها القول، ووصل صداها إلى الخلافة بدمشق، فتدخّل الأمير مروان بأمرٍ من الخليفة معاوية رضي الله عنه وجلد كل واحد منهما مائة جلدة[7].

---

(1) أنظر ترجمتها: الصمد واضح، ديوان ليلى الأخيلية، ط2، دار صادر، بيروت، 2003، ص9، 15.

(2) قيس بن عبد الله، صحابي، شاعر من المخضرمين، توفي عام 50هـ/670م. أنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، مج4، ص1514، 1522.

(3) المرزباني، أشعار النساء، ص25، 32.

(4) أنظر ترجمته: نصار حسين، ديوان جميل شعر الحب العذري، مكتبة مصر، القاهرة، 1979، ص5، 10.

(5) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص425-426.

(6) أنظر ترجمته: العاني سامي مكي، شعر عبد الرحمن بن حسان الأنصاري، مطبعة المعارف، بغداد، 1971، ص5، 11.

(7) ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص213، 224.

كان عبد الرحمن بن الحكم ماجناً، كثيراً ما يهجو أخاه مروان؛ فلمّا أصبح هذا الأخير والياً على المدينة هجاه بأبيات شعرٍ [1]، وكذا فعل حين اقتصّ منه لشكوى بائع الحِنطة من ضرب عبد الرحمن له[2].

هـ- قيس بن ذريح[3]:

أحبّ لبنى الكعبية، فتزوّجها ثم طلّقها بأمر من والديه، لكنه ندم على ذلك ندما شديدا، وصار يتعرّض لها محادثتها، فشكاه أهلها إلى الخليفة معاوية رضي الله عنه [4]، فطلب من الأمير مروان أن يُهدر دم قيس إن تعرّض لها مُجدّدا، فأرسل الأمير إلى عامله على بني كعب بذلك[5].

و- قيس بن الملوح[6]:

أحبّ ليلى العامرية، وقال فيها شعراً مما أغضب أهلها، فشكوه إلى الأمير مروان، الذي أمر عامله على بني عامر بالقبض عليه، ومنعه من مقابلة ليلى[7].

---

(1) الأصفهاني، المصدر السابق، مج13، ص188.

(2) ابن عبد البر، الاستيعاب، مج3، ص1388.

(3) أنظر ترجمته: المصطاوي عبد الرحمن، ديوان قيس بن ذريح، ط2، دار المعرفة، بيروت، 2004، ص10، 49.

(4) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج2، ص613.

(5) الأصفهاني، المصدر السابق، مج9، ص147.

(6) أنظر ترجمته: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج2، ص549، 559.

(7) ابن المبرد، يوسف بن حسن، (ت 909هـ/1503م)، نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر ، تحقيق محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت، 1994، ص36-37.

ز- عبيد الله بن قيس الرقيات[1]:

اشتدّ مصعب بن عبد الرحمن صاحب شرطة الأمير مروان على سكان المدينة، وحبس كلّ من يخرج ليلاً، فقال عبيد الله بن قيس الرقيات[2]:

حَالَ دُونَ الهَوَى وَدو نَ سُرى اللَّيلِ مُصعَبُ

وَسِياطٌ عَلى أَكُفِّ رِجَالٍ تُقَلَّبُ

ح- الكِرَّوس بن زيد[3]:

اختصم مع ابن عمّ له، ورُفع أمرهما إلى الأمير مروان، فحبس الكِرَّوس، فأنشد شعراً ينتقد فيه قضاء الأمير، ويُعبّر عن عدم رضاه بحكمه[4].

ط- القتّال الكلابي[5]:

كان لصًّا فاتكاً يقطع الطريق ويعتدي على المسافرين مع مجموعة من رفاقه الأشرار، فقتلوا ذات مرّة أحد التُّجار القرشيين كان في طريقه إلى الشام وأخذوا ماله، فأمسك بهم

---

(1) أنظر ترجمته: بابتي عزيزة فوال، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، دار الجيل، بيروت، 1995، ص7، 33.

(2) ابن بكار، جمهرة النسب، ج1، ص290. تحسّر ابن قيس الرقيات على فُقدان المغامرات الليلية كالتحرّش بالجواري ومُغازلتهنّ، ورُبّما شُرب الخمر وسماع الغناء مع أمثاله من الشعراء في إحدى البيوت.

(3) أنظر ترجمته: الآمدي، الحسن بن بشر (ت 370هـ/980م)، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، تحقيق ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، 1991، ص225.

(4) التبريزي، يحي بن علي (ت 502هـ/1108م)، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، تحقيق غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ج1، ص234.

(5) أنظر ترجمته: عباس إحسان، ديوان القتال الكلابي، دار الثقافة، بيروت، 1989، ص12، 27.

الأمير مروان وحبسهم بالمدينة، ثم استجوبهم ليتعرّف على القاتل منهم [1]، فهرب القتّال الكلابي بعد أن قتل حارس السجن واختفى في البادية، فخصّص الأمير جائزة مالية كبيرة لمن يُمسك به أو يأتيه بخبر عنه[2].

ي- هُدبة بن الخشرم[3]:

قتل رجلاً من قومه، فحبسه أمير المدينة سعيد بن العاص رضي الله عنه [4]، وحين تولّى مروان بن الحكم شؤون المدينة، أخرجه من السجن وسلّمه إلى ابن الرجل المقتول-بعد أن كَبِر- ليقتصّ منه[5].

ك- مالك بن الريب[6]:

أشهر قاطع طريق في زمنه، تأذّى الناس من شرّه وعصابته، فطلب الأمير مروان من عامله على بني عمرو بن حنظلة القبض عليهم، فهربوا إلى بلاد فارس [7]، ولم يكتف بذلك بل نجده يهجو الأمير بأبيات شعرٍ[8].

---

(1) الأصفهاني، المصدر السابق، مج24، ص95-96.

(2) ابن حبيب، المحبّر، ص227، 229.

(3) أنظر ترجمته: الجبوري يحي، شعر هدبة بن الخشرم العذري، ط2، دار القلم، الكويت، 1986، ص7، 23.

(4) أنظر تفاصيل القصة: ابن حبيب، أسماء المغتالين، ص262، 267.

(5) الأصفهاني، المصدر السابق، مج21، ص187، 189.

(6) أنظر ترجمته: القيسي نوري حمودي، ديوان مالك بن الريب- حياته وشعره، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد15، الجزء الأول، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1969، ص53، 61.

(7) الأصفهاني، المصدر السابق، مج22، ص201-202.

(8) ابن عبد البر، الاستيعاب، مج3، ص1388.

ل- عبد الرحمن بن سيحان[1]:

مدح ابن سيحان الأمير مروان، فكافأه بمبلغٍ من المال [2]، لكن ذلك لم يمنعه من جلده ثمانين جلدةً في شربه الخمر[3].

م- جوّاس بن قطبة[4]:

تخاصم مع الشاعر جميل بن معمر، فتوعّده الأمير مروان بالعقاب إن هجا جميلاً مرّة أخرى، وصادف أن رافق جوّاس الأمير في رحلة الحجّ، فأنشده شعراً يذكر فيه وعيده له، وأن الأرض فسيحة يستطيع الهرب منه، فأخبره الأمير أن ذلك لا ينفعه إذا وجب عليه حقّ[5].

ن- زياد الأعجم[6]:

دخل على الأمير مروان في مجلسه، فطلب منه هذا الأخير أن يُنشده شعراً، فقَبِل زياد لكنه اشترط ألف دينار لذلك، فمدحه بأبيات شعرٍ أعجبت الأمير الذي أجزل له العطاء؛ فمنحه ألفي دينار عوض ألف[7].

---

(1) أنظر ترجمته: ابن عساكر، المصدر السابق، ج34، ص178، 183.

(2) الأصفهاني، المصدر السابق، مج2، ص162.

(3) ابن حبيب، المنمّق، ص252.

(4) أنظر ترجمته: الأصفهاني، المصدر السابق، مج22، ص106، 109.

(5) المصدر نفسه، ص107.

(6) أنظر ترجمته: بكار يوسف حسين، شعر زياد الأعجم، دار المسيرة، بيروت، 1983، ص13، 28.

(7) البلاذري، أنساب الأشراف، ج6، ص263.

إن المتمعّن في سِيَر هؤلاء الشعراء تستوقفه مجموعة من الملاحظات أهمها:

* أغلب هؤلاء الشعراء من خارج المدينة، سواء من الكوفة أو البصرة أو الشام أو بادية الحجاز، ويرجع ذلك إلى الاستقرار والأمن الذي عرفته المدينة في هذه الفترة، والهدوء الذي سادها، مما اجتذب الشعراء وأصحاب الأدب إليها.

* أصبحت المدينة ملاذاً آمناً للشعراء المعارضين للسلطة أو المنتقدين للولاة والأمراء، رُبما ما يُفسّر هذا الأمر أن المدينة آنذاك عاش فيها الصحابة وأمهات المؤمنين الذين يرعى الخليفة والأمير حُرمتهم، وأيضا وردت مجموعة من الأحاديث النبوية الصحيحة تُحذّر من إلحاق الأذى بالمدينة وسكانها(*)، فعدّها الشعراء بعيدة عن بطش الخلافة بدمشق.

* توتّر العلاقة –عموماً– بين الأمير مروان والشعراء؛ إذ طغى عليها التهديد والوعيد، وحتى السجن والجَلد. للوهلة الأولى، يتّجه التفكير إلى كراهية الأمير للشعر والشعراء عامة، خاصة إذا علمنا أنه كان يدعو الهن عز وجل حين طوافه بالكعبة أن يُذهب عنه الشعر[1].

لكن هذا الافتراض تُفنّده عدة معطيات، أهمها التعامل الحسن للأمير مع بعض الشعراء أمثال يزيد بن المفرغ [2] الذي أكرمه وأحسن إليه حين وفد على الخليفة معاوية رضي الله عنه بدمشق، فمدحه يزيد بأبيات شعر[3]، ونجده يُجير الشاعر عبد الله بن الزبير الأسدي[4]

(*) قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((المَدِينَةُ حَرَمٌ مِنْ كَذَا إِلَى كَذَا لَا يُقْطَعُ شَجَرُهَا وَلَا يُحْدَثُ فِيهَا حَدثٌ مَنْ أَحْدَثَ حَدثًا فَعَلَيْه لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)). (أنظر: البخاري، الصحيح، كتاب فضائل المدين، باب: حرم المدينة، رقم 1867، ص356). وقال أيضا: ((مَن أَرَادَ أَهلَ هَذهِ البَلْدَة بسُوءٍ (يَعنِي المَدِينَةَ) أَذَابَهُ اللهُ كَمَا يَذُوبُ المِلْحُ فِي المَاءِ)). (أنظر: مسلم، المصدر السابق، كتاب الحج، باب: من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله، رقم1386، ص543).

(1) الأصفهاني، المصدر السابق، مج15، ص79.

(2) أنظر ترجمته: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص348، 352.

(3) الأصفهاني، المصدر السابق، مج18، ص212.

(4) أنظر ترجمته: الجبوري، يحي، شعر عبد الله بن الزبير الأسدي، دار الحرية، بغداد، 1974، ص5، 25.

من بطش والي الكوفة[1]، وإجزاله العطاء للشاعر زياد الأعجم – كما سبق ذكره –، وكذا مع الشاعر أرطأة بن سُهية [2] الذي مدحه بالخلافة فكساه وأعطاه ثلاثين ناقة مُحمّلة بالقمح والشعير والزبيب[3]. ومن جهة أخرى، كان الأمير مروان يقول الشعر ويتمثّل به[4].

يبدو أن سوء العلاقة بين الطرفين سببه تصرفات الشعراء المخالفة للشرع والآداب العامة مثل شرب الخمر والشعر الفاحش والهجاء المقذع، فاصطدمت بشدّة الأمير مروان وحزمه، فكانت العلاقة بين شدٍّ وجذبٍ.

---

(1) الأصفهاني، المصدر السابق، مج14، ص153.

(2) أنظر ترجمته: علاونة شريف، شعر أرطأة بن سهية المري، دار المناهج، عمّان، 2006، ص19، 31.

(3) الأصفهاني، المصدر السابق، مج13، ص22.

(4) ابن عساكر، المصدر السابق، ج 57، ص274–275. وجاء في رواية ابن عساكر السابقة أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مدحت مروان بقولها: ((... إن له في الشعر إرثا...)).

حافظت المدينة في العصر الأموي على مكانتها العلمية رغم انتقال الخلافة إلى دمشق؛ إذ غصّت بالعلماء وطلبة العلم من مختلف الأمصار، وازدهرت فيها العلوم مثل: علم التاريخ، والفقه، والتفسير، والحديث.

قاد الحركة التعليمية في المدينة الصحابة رضي الله عنهم؛ إذ جلسوا للتدريس في المساجد والكتاتيب والبيوت، فانتشر علمهم وذاع صيتهم، فقصدهم الناس للنهل من معارفهم، أمثال عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وأبو هريرة وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم.

ازدهرت الحياة الأدبية في هذه الفترة؛ إذ وفد الشعراء على المدينة من العراق والشام، وقد اختلفت مشاربهم وتوجهاتهم وأغراضهم الشعرية من غزل ومدح وهجاء وفخر، لكن الغزل طغى على غيره من الأغراض.

الفصل الخامس: المنشآت العمرانية

خلّدت المنشآت العمرانية الأمم البائدة وحضاراتها، وكشفت عن مدى التطور والرقي الذي بلغه الإنسان في تلك العصور.

لا تنحصر هذه المنشآت في أنها هياكل ومباني ضخمة من الحجارة وغيرها، وإنما تُعبّر عن المستوى الثقافي الذي بلغته تلك الأمة من خلال الزخارف وطريقة البناء، وعن المستوى العلمي عبر المواد المستخدمة في البناء والهندسة المعمارية، وعن المستوى الاقتصادي لأن إنجازها يتطلب أموالا ويداً عاملة.

إذن، هدف الدراسة تسليط الضوء على المنجزات العمرانية للسلطة الأموية في المدينة، وأثرها على حياة السكان في مختلف النواحي المعيشية، أي:

– هل ما أنجزه الأمويين من منشآت بالمدينة استفاد منها السكان أم مجرد هياكل عمرانية للمترفين؟ أو كما يقول ابن خلدون أن المنشآت العمرانية من لوازم الحضارة التي يدعو إليها الترف والدّعة.

1- العين الزرقاء

كانت أرض المدينة غنية بالمياه الجوفية، وتجري في أراضيها الجداول، وتتفجر منها العيون؛ فالمدينة تقع عند ملتقى ثلاثة أودية كبيرة: بُطحان، والعقيق، وقناة، يأتي إليها الماء من مسافات بعيدة، ويتسرب قدر كبير من مائها إلى باطن الأرض، وكانت مواسم الأمطار الغزيرة تُبقِي الآبار والعيون مملوءةً بالمياه[1].

اعتمد سكان المدينة في شربهم على الآبار حتى عصر الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه؛ إذ أن مشروع العين الزرقاء يُعدّ فاتحة عصر جديد في حياة السكان، فقد نقلتهم من طور الاستقاء من الآبار وما يلزم هذا الاستقاء من دلاءٍ وبَكَرات ورفعٍ وخفضٍ إلى طور الاستقاء من مناهلها الفيّاضة مباشرة وبدون نزحٍ ولا كلفةٍ [2]، فأصبح الماء يمرّ بالقرب من منازلهم عبر قناة أرضية، فينتفعون به دون مشقّة أو تعبٍ.

1-1- التسمية:

اتّفقت المصادر[3] على اسم "العين الزرقاء"، وأن أصل التسمية "عين الأزرق"، فتحوّرت على ألسن الناس إلى العين الزرقاء، أما سبب تسميتها بذلك هو زُرقة عيون الأمير مروان بن الحكم الذي أنشأها وأجرى ماءها.

---

(1) شرّاب، المدينة النبوية، مج1، ص40. (أنظر الملحق رقم01 ص186).

(2) الأنصاري عبد القدوس، آثار المدينة المنورة، ط3، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، 1973، ص262.

(3) أنظر مثلاً: السمهودي، المصدر السابق، ج 3، ص397، 402؛ الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص 295؛ المطري، محمد بن أحمد (ت 741هـ/1341م)، التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، تحقيق سليمان الرحيلي، دارة عبد الملك عبد العزيز، الرياض، 2005، ص162؛ المرجاني، المصدر السابق، مج 1، ص322-323؛ كبريت، المصدر السابق، ص105.

لكن بعض الباحثين المعاصرين يرون أن سبب التسمية ليس زُرقة عيون الأمير مروان، بل سببٌ آخر، وانقسموا إلى ثلاثة اتجاهات، الاتجاه الأول يُرجع السبب إلى زُرقة عيون والدة الخليفة معاوية رضي الله عنه صاحب المشروع [1]، والاتجاه الثاني يربط السبب بمصدر العين وهو بئر الأزرق [2]، أما الاتجاه الثالث يرى أن السبب هو زُرقة مياه العين التي تُشبه زرقة مياه النيل الأزرق[3].

احتجّ أصحاب الرأي الأول بقصة وفود أروى بنت الحارث [4] على الخليفة معاوية رضي الله عنه ووصفها له بابن الزرقاء، وهذا خلطٌ لأن أروى وصفت مروان بن الحكم بذلك وليس الخليفة وفق الرواية المذكورة في كتاب العقد الفريد الذي نقل منه أصحاب هذا الرأي القصة واستدلّوا بها[5].

---

(1) البرادعي أحمد بن محمد صالح، المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي ، د. د. ن، المدينة المنورة، 1972، ص41.

(2) الزمزمي سلطان محمد صالح محمد، عمارة العين الزرقاء في المدينة المنورة منذ صدر الإسلام وحتى نهاية العصر العثماني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2004، ص44.

(3) المرجع نفسه، ص 43. نسَب الزمزمي هذا الرأي إلى محمد كبريت الحسيني في كتابه "الجواهر الثمينة في محاسن المدينة"، وحين عُدت إلى هذا المصدر لم أجد ذلك، بل على النقيض منه؛ إذ يرى محمد كبريت أن سبب التسمية هو زرقة عيون الأمير مروان بن الحكم، واعتمدت على طبعات مختلفة للكتاب منها: طبعة دار الكتب العلمية، وطبعة مكتبة الثقافة الدينية، وطبعة بتحقيق أحمد سعيد بن سلم. يبدو لي أن الزمزمي وقع في خلطٍ، رُبما هذا الرأي الذي ذكره يخصّ مُحقق طبعة الكتاب التي اعتمد عليها (طبعة الرياض تحقيق عائض الردّادي وللأسف لم أتمكن من الحصول على نسخة منها أو الاطّلاع على ما جاء فيها)، فظنّه رأي محمد كبريت. (أنظر: كبريت، المصدر السابق، ص105).

(4) أروى بنت الحارث بن عبد المطلب، صحابية، ابنة عمّ النبي صلى الله عليه وسلم. (أنظر: ابن حجر، الإصابة، ج8، ص7).

(5) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج 1، ص357–358. يُحتمل أن سبب هذا الخلط في القصة أن البرادعي رواها من ذاكرته دون الرجوع إلى الكتاب المذكور، فاختلطت عليه مجرياتها.

يُضاف إلى ذلك، أن جدّة مروان بن الحكم مارية بنت موهب الكِنديّة كانت تُلقّب بالزرقاء، فكان بنو مروان يُعيَّرون بها [1]، أما والدة الخليفة معاوية رضي الله عنه هند بنت عتبة رضي الله عنها [2] لم تذكر كُتب التاريخ والتراجم والسير أنها زرقاء العينين [3]. وعليه فإن القول أن سبب تسمية العين الزرقاء هو زرقة عيون والدة الخليفة معاوية رضي الله عنه ضعيفٌ بناءً على ما تقدّم ذكره.

أما أصحاب الرأي الثاني الذي اعتمده الزمزمي فاحتجّ بأن المصادر التي ترجمت لمروان بن الحكم لم تذكر أنه أزرق العينين، بل أوردت أسماءً أخرى أُشتهرت بزرقة العين ليس من بينها مروان[4].

لم يطّلع الزمزمي– فيما يبدو لي– على أغلب المصادر التي تحدّثت عن مروان بن الحكم، لذا أصدر حكمه بأنها لم تصفه بزرقة العيون، لكن يوجد ما يخالف ذلك:

* وصف المسعودي مروان بن الحكم بقوله: ((...وكان طوالا أصهب أزرق...))[5].

* روى البلاذري بسنده عن شاهد عيان:((دخلتُ على مروان فإذا رجل أحمر أزرق...))[6].

---

(1) أنظر مثلاً: ابن عساكر، المصدر السابق، ج 57، ص 233؛ ابن بكار، جمهرة النسب، ج 2، ص 86؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج6، ص257.

(2) هند بنت عتبة بن ربيعة، صحابية، من شريفات قريش، توفيت عام 14هـ/635م. (أنظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج70، ص166، 186).

(3) أنظر مثلاً: ابن سعد، المصدر السابق، ج 10، ص 223، 226؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، مج 4، ص1922–1923؛ الصفدي، المصدر السابق، ج 27، ص 230–231؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 9، ص646–647؛ ابن حجر، الإصابة، ج8، ص346–347.

(4) المرجع السابق، ص42.

(5) المسعودي، المصدر السابق، ص269.

(6) أنساب الأشراف، ج6، ص262.

* لمّا تهاجى عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن الحكم –أخو مروان– عيّر ابن حسان ابن الحكم بأن نسل أبيه زُرق العيون[1].

* وصفت أروى بنت الحارث مروان بن الحكم بزرقة عينيه[2].

* عثمان بن الحكم أخو مروان كان أزرق العينين[3]، وعبد الملك بن مروان كان سواد عينيه فيه زُرقة [4]، فلا يُستبعد أن يكون مروان أزرق العينين وراثةً نظراً لوجود هذه الصفة في أخيه وأكبر أولاده.

أما استدلال الزمزمي بأن ابن رسته ذكر مجموعة من الرجال اُشتهروا بزُرقة عيونهم وليس من بينهم مروان فليس بحجة، لأن ابن رسته ذكر أربعة رجال [5]، وهل يُعقل أن يكون هؤلاء فقط هم الزُّرق من أمة الإسلام؟ بل نجد آخرين لم يذكرهم أمثال عثمان بن الحكم أخو مروان –كما سبق ذكره–، والإمام مالك بن أنس [6]، ومروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية[7]، لذا فلا حجة لإنكار زُرقة عيون مروان لأن ابن رسته لم يذكره.

---

(1) ابن بكار، الموفقيات، ص216–217. عُرف العرب بسواد عيونهم، لذا نجد ابن حسان يُعيّر ابن الحكم بزُرقة عيونه، لأنه أمر شاذٌ آنذاك.

(2) طيفور، المصدر السابق، ص33. أُشكّك في صحة هذه الرواية لما تضمّنه متنها من كلام قبيح وغير محترمٍ لا يصدر عن أولئك الأفاضل، ويضاف إلى ذلك ضُعف سندها، وذكرتها –على ضعفها– للاستشهاد بها.

(3) البلاذري، أنساب الأشراف، ج6، ص301.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص378.

(5) ابن رسته، أحمد بن عمر (توفي في القرن 4هـ/ق10م)، الأعلاق النفيسة، تحقيق دي غويا، مطبعة بريل، ليدن، 1892، ص223.

(6) عياض، المصدر السابق، ج1، ص121.

(7) الجاحظ، المصدر السابق، ص320.

أما قوله أن التسمية أُخذت من مصدر العين وهو بئر الأزرق، لم أجد من ذكر ذلك من المؤرخين والجغرافيين القدماء والمحدثين [1]، بل ذكروا أن مصدر العين هو بئر الأزرق، ولم ينسبوا التسمية إليه، بل قالوا أنها سُمّيت عين الأزرق لأن مروان كان يُلقّب بالأزرق [2].

مما سبق ذكره، فإن رأي الزمزمي في سبب تسمية العين الزرقاء اجتهاد شخصي، لم تُثبِت صحّته الروايات التارخية، والرحلات الجغرافية. إضافةً إلى ذلك، فمن عادات العرب أن تنسب العيون والآبار إلى من حفرها وأجرى ماءها.

أما أصحاب الرأي الثالث، فالقول أن زرقة ماء العين هو سبب التسمية رأي شخصي يحتمل الصواب والخطأ، وقد يكون نوعا من أنواع المدح، إضافة إلى أن أحدا لم يأخذ به ممن كتب عن تاريخ المدينة، لعدم القناعة به [3].

لم تذكر كتب الجغرافيين الذين شاهدوا العين ووصفوا مجراها ومنبعها وعذوبة مائها وغير ذلك وصفاً دقيقاً أن مائها أزرق كالنيل الأزرق، لأن هذا الأمر إن وُجد لا يُمكن إغفاله لوضوحه بشكل جليّ.

---

(1) أشار الزمزمي في هامش بحثه إلى مجموعة من الباحثين المعاصرين الذين أخذوا بهذا القول، لكني حين عُدت إلى كُتبهم لم أجد شيئا من ذلك، وإنما ذكروا أن مصدر العين هو بئر الأزرق وتسمية العين مأخوذة من زرقة عيون الأمير مروان، فرُبما اختلط عليه الأمر، أو لم يفهم المقصود من كلامهم جيّداً. (أنظر: رفعت باشا إبراهيم، مرآة الحرمين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1925، ج1، ص433؛ حافظ، فصول، ص298؛ هيكل محمد حسين، في منزل الوحي، ط8، دار المعارف، القاهرة، 1986، ص492).

(2) أنظر مثلاً: المطري، المصدر السابق، ص 162؛ المرجاني، المصدر السابق، مج 1، ص 322-323؛ السمهودي، المصدر السابق، ج 3، ص397، 402؛ كبريت، المصدر السابق، ص 105، العياشي، عبد الله بن محمد (ت1090هـ/1679م)، الرحلة العياشية، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي، أبو ظبي، 2006، مج1، ص409-410.

(3) الزمزمي، المرجع السابق، ص44.

1-2- صاحب المشروع:

اتّفقت المصادر [1] على أن الخليفة معاوية رضي الله عنه صاحب مشروع العين الزرقاء، وأنه كلّف أمير المدينة مروان بن الحكم بتنفيذه، لذا نُسبت العين إلى الأمير المُشرف على إنجازها.

1-3- تاريخ إنجاز المشروع:

لم تُشر المصادر إلى سنة إنشاء العين الزرقاء، لكن الأنصاري والخياري حدّدا سنة51هـ/671م[2]، وتَبِعهما في ذلك مجموعة من الباحثين المعاصرين[3].

استدلّ الأنصاري على رأيه بأن ولاية مروان بن الحكم على المدينة كانت في أوائل النصف الثاني من القرن الأول الهجري أي بعد عام 50هـ/670م[4]. لكنّه – رحمه الله– نسي أن مروان تولّى قبل ذلك في الفترة ما بين عامي 41-49هـ/661-669م[5]، لذا فاستدلاله ضعيف وغير مقبول.

---

(1) أنظر: السمهودي، المصدر السابق، ج 3، ص 397، 402؛ الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص 295؛ المطري، المصدر السابق، ص 162؛ المرجاني، المصدر السابق، مج 1، ص 322-323؛ كبريت، المصدر السابق، ص105؛ العياشي، المصدر السابق، مج1، ص409-410.

(2) الأنصاري، آثار المدينة، ص263؛ الخياري أحمد ياسين أحمد، التحفة الشماء في تاريخ العين الزرقاء، ط2، دار العلم، جدة-المملكة العربية السعودية، 1992، ص25.

(3) أنظر مثلا: حافظ، فصول، ص298؛ البليهشي، المدينة اليوم – المدينة المنورة في بداية القرن الخامس عشر1401هـ-، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، المدينة المنورة، 1982، ص201.

(4) آثار المدينة، المرجع السابق، ص263.

(5) ابن خياط، المصدر السابق، ص124، 127.

أُرجّح أن تاريخ إنجاز المشروع كان في ولاية مروان الأولى، لجُملة من الأسباب، هي:

* فترة ولاية مروان الثانية التي اعتمدها الأنصاري وغيره تميزت بحدثين هامين هما: وفاة الحسن رضي الله عنه، وبيعة يزيد بولاية العهد، لذا فإن الخليفة كان مشغولا بهما حينها – خاصة البيعة– فلا يتيسر له الاهتمام بالمشروع أو التفكير فيه.

* ذكر الأنصاري أن الخليفة معاوية رضي الله عنه أراد بإنجازه هذا المشروع أن يستميل سكان المدينة إليهم، ويُحبّبهم في السلطة بدمشق[1]، هذا الطرح مقبول، لكن نتساءل: هل يتقرّب الخليفة من سكان المدينة بعد عشر سنوات من بداية حكمه –إذا أخذنا بتاريخ51هـ/671م لإنجاز المشروع–؟

إذن، أُرجّح أن الخليفة اتخذ مثل هذه المبادرة في السنوات الأولى من حكمه الموافقة للولاية الأولى لمروان بن الحكم على المدينة.

* رجّح الزمزمي إنجاز المشروع في ولاية مروان الثانية، واحتجّ بأن الفترة الأولى فترة تأسيس الخلافة الأموية، والقضاء على الفتن والوصول إلى الاستقرار [2]، لكن المدينة في السنوات الأولى لحكم معاوية رضي الله عنه لم تشهد اضطرابات –على النقيض من العراق[3]–، بل عرفت هدوءاً واستقراراً كبيراً، وزارها الخليفة في رحلة الحجّ عام 44هـ/665م وفرّق الأموال على أشرافها –كما سبق ذكره–، فلا يُستبعد أن يُجسّد المشروع في تلك الفترة، بعد اطّلاعه على معاناة السكان في جلب المياه من الآبار البعيدة.

---

(1) آثار المدينة، ص262–263.

(2) المرجع السابق، ص39.

(3) عقب تولّي معاوية رضي الله عنه الخلافة ظهرت حركات الخوارج في العراق مثل حركة المستورد بن علّفة، وابن أبي الحوساء، وحوثرة بن ذراع، وسهم والخطيم، وفروة بن نوفل وغيرهم. (أنظر: ابن خياط، المصدر السابق، ص123–124؛ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص165، 175).

1-4- إنجاز المشروع(*):

أمر الخليفة معاوية رضي الله عنه الأمير مروان بإنجاز المشروع، فامتثل لأمره وأرسل رجاله لانتقاء المورد المناسب للعين [1]؛ فوقع الاختيار على بئر كبيرة غرب مسجد قباء في حديقة نخل، وهي بئر واسعة، عذبة الماء[2].

إن اختيار منطقة قباء كمصدر للعين يدل على دراسة جغرافية شاملة للمدينة، وتحديد الموقع كان وفق معايير معينة؛ لأن قباء كثيرة الآبار والبساتين، إضافة إلى أن بعض أودية المدينة تنحدر منها نحو الشمال[3].

حفر العمال نفقاً أرضياً بعمق 4 إلى 6 أمتار[4]، وسارت القناة حتى المُصلّى [5]، أين جعلوا لها بيتاً يُنزل إليه بالدَّرج، يتزوّد منه الناس بالماء [6]. بما أن القناة عميقة ومغطّاة، وفيها أماكن مخصصة للاستقاء، كان ماء العين نظيفاً وبعيداً عن التلوث، وهو ما قلّل من الأوبئة في المدينة، نقيض مكة وغيرها من المُدن التي لم يُعتنَ بالماء فيها[7].

(*) أنظر الملحق رقم03 ص188.

(1) بدر، المرجع السابق، ج1، ص327.

(2) الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص 295-296. قُباء: قرية صغيرة تبعد عن المدينة حوالي 07 كلم. (أنظر: الحموي، المصدر السابق، مج4، ص301، 303).

(3) الزمزمي، المرجع السابق، ص110.

(4) المرجع نفسه، ص39.

(5) المطري، المصدر السابق، ص162. المصلّى: ويسمّى أيضًا مصلّى الأعياد، مكان في غرب المسجد النبوي كان يُصلّي فيه النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العيدين. (أنظر: ابن زبالة، المصدر السابق، ص 136-137).

(6) الحربي، إبراهيم بن إسحاق (ت 285هـ/898م)، المناسك وأماكن طرق الحج معالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، 1969، ص409.

(7) البتنوني محمد لبيب، الرحلة الحجازية، ط2، مطبعة الجمالية، القاهرة، 1911، ص258.

بعد وصول العين إلى المصلّى تسير نحو الشمال وصولا إلى البركة [1]، وهي مفيض ماء العين بالقرب من جبل أحد، وهناك تسقي البساتين والمزارع[2].

للعين عدة مناهل، وهي مواضع تحت سطح الأرض، ينزل إليها الناس بدرج للاستقاء من ماء العين[3]، مثل منهل المصلّى، ومنهل ثنية الوداع[4].

أُضيف لمصدر العين مجموعة من الآبار– في عصور لاحقة– تتّصل بالقناة الرئيسية، بغرض زيادة كمية المياه المتدفّقة، نظراً لتطوّر عدد السكان وتوّسع العمران، كما زاد عدد مناهلها، وتشعّبت قنواتها عبر شوارع المدينة، واستمرّت حتى العهد السعودي[5].

كان مشروع العين الزرقاء مشروعا عظيما؛ إذ ليس من السهل آنذاك نقل الماء عبر قناة تحت الأرض لمسافة طويلة –من المنبع إلى المفيض حوالي ستّ كيلومترات–، مما يدل على الإمكانيات البشرية والمادية الضخمة المسخّرة في إنجاز المشروع، وأهميته الكبيرة في حياة السكان؛ إذ استمر مصدر شربهم ومدار معيشتهم لأكثر من ألف وثلاثمائة عام.

---

(1) المطري، المصدر السابق، ص162–163.

(2) رفعت باشا، المرجع السابق، ج1، ص432.

(3) الزمزمي، المرجع السابق، ص126.

(4) الحربي، المصدر السابق، ص 409. ثنية الوداع: مكان في شمال غرب المدينة بالقرب من جبل سلع. (أنظر: السمهودي، المصدر السابق، ج4، ص195، 201).

(5) أنظر التفاصيل: الزمزمي، المرجع السابق، ص45، 100.

2- البَلاط والمقصورة

أولا: البَلاط

2-1- تعريف البَلاط:

لغةً: البَلَاطُ هو الأرض المفروشة بالحجارة والآجر[1].

اصطلاحاً: البَلَاطُ هو الممرات المبلّطة بالحجارة التي تُحيط بالمسجد النبوي من جهاته الأربع[2]، ثم صار اسم علمٍ عند الجغرافيين؛ إذ هو موضع مُبلّط بالحجارة بالمدينة بين المسجد النبوي والسوق[3].

2-2- أسباب إنشاء البلاط:

تُرجع الروايات سبب إنشاء البلاط إلى أن والد الأمير مروان وهو الحكم بن أبي العاص رضي الله عنه[4] تقدّم في السّنّ، وصار يجرّ رجليه حين ذهابه إلى المسجد، فتمتلئان تراباً، حينئذٍ بلّط الأمير ممرّ والده إلى المسجد، ولمّا سمع الخليفة معاوية رضي الله عنه بذلك أمره أن يُبلّط باقي الممرّات[5].

---

(1) ابن منظور، المصدر السابق، ج1، ص484.

(2) ابن شبه، المصدر السابق، ج1، ص16.

(3) البكري، المصدر السابق، ج1، ص271.

(4) الحكم بن أبي العاص بن أمية، صحابي، عمّ الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، توفي عام32هـ/652م. (أنظر: ابن حجر، الإصابة، ج2، ص91-92).

(5) ابن زبالة، المصدر السابق، ص126.

الرواية السابقة فيها نظرٌ؛ لأن الكُتب التي ترجمت للحكم بن أبي العاص رضي الله عنه أرّخت وفاته في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه [1]، لكني لم أعثر –حسب اطّلاعي– على من قال أنه أدرك خلافة معاوية رضي الله عنه[2].

يُرجّح أن سبب إنشاء البلاط هو منع تدفّق المياه إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة حين سقوط المطر، بالإضافة إلى الجانب العمراني الذي ازدهر في المدينة زمن الأمويين[3]؛ لأن المسجد النبوي من الأماكن المقدّسة التي يقصدها المسلمون من كل الأمصار، فالأجدر أن يكون في أحسن مظهرٍ.

---

(1) أنظر مثلاً: ابن قتيبة، المعارف، ص353؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج6، ص136؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، مج1، ص359؛ ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994، ج2، ص49؛ الذهبي، سير الأعلام، ج2، ص108؛ الصفدي، المصدر السابق، ج13، ص70؛ ابن حجر، الإصابة، ج2، ص92.

(2) روى ابن كثير أن خالد بن يزيد بن معاوية دخل على الخليفة عبد الملك بن مروان في مجلسه بحضرة الحكم بن أبي العاص. (أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص373–374). وهذا خلطٌ في قصة الحادثة، قد يكون من ابن كثير رحمه الله أو من النّاسخ–وما أكثر ذلك منهم–؛ لأن هذه الحادثة مشهورة في كُتب الأدب والتاريخ والتراجم؛ رواها البلاذري والأصفهاني والمبرّد وابن عساكر والحموي والصفدي وغيرهم؛ وذكروا أن الوليد بن عبد الملك هو من كان حاضراً وليس الحكم بن أبي العاص، لأن أصل القصة أن الوليد كان يعبث بعبد الله بن يزيد بن معاوية أخ خالد ويحتقره، فدخل هذا الأخير على الخليفة عبد الملك بن مروان في مجلسه ليشكو له تصرفات ابنه مع أخيه عبد الله، فتكلّما ثمّ عيّر خالد الخليفة عبد الملك بجدّه الحكم بن أبي العاص وأن الرسول صلى الله عليه وسلم طرده من المدينة إلى الطائف، فقال ابن كثير في روايته أن الوليد والخليفة عبد الملك سكتا ولم يجدا جواباً، فلو كان الحكم حاضراً لأجاب أو دافع عن نفسه وردّ التهمة عنه. (أنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص387–388؛ الأصفهاني، المصدر السابق، مج17، ص250؛ المبرّد، محمد بن يزيد (ت285هـ/898م)، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق عبد الحميد هنداوي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، 1998، مج1، ص391–392؛ ابن عساكر، المصدر السابق، ج33، ص388–389؛ الحموي، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ج3، ص1239–1240؛ الصفدي، المصدر السابق، ج13، ص164–165).

(3) النوافعة، المرجع السابق، ص44.

2-3- أهمية البلاط:

تبرز أهمية البلاط في صدّ سيول الأمطار عن المسجد النبوي، وحمايته له من الغبار الذي كان يملأ آفاق المدينة، وعلاوة على ذلك مظهرٌ من مظاهر التّمدّن [1]. يُضاف إلى ذلك رفع المشقّة عن المصلين حين نزول المطر؛ إذ تمتلىء الطريق ببِرَك المياه والوحل، فيُسهّل عليهم الذهاب إلى الصلاة، وفي نفس الوقت الحفاظ على نظافة المسجد؛ لأنه إذا كانت الطريق ترابية سيلتصق الطين بنِعَال المصلين، وقد تتلطّخ أرضية المسجد به.

2-4- إنجاز المشروع[*]:

أمر الخليفة معاوية رضي الله عنه أمير المدينة مروان بتبليط ممرات المسجد النبوي، فكلّف هذا الأخير ابنه عبد الملك بإنجاز المشروع [2]. تكليف عبد الملك بالإشراف على العمل زيادة في الاهتمام به[3]؛ إذ كان باستطاعة الأمير إسناد العمل إلى شخص آخر، لكنه آثر ابنه الأكبر نظراً لأهمية المشروع، وإرضاءً للخليفة المُشرف عليه.

بلّط الأمير مروان الجهات الأربعة للمسجد، دار المغيرة بن شعبة رضي الله عنه[4] حدّه الشرقي، ودار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه[5] حدّه الغربي، ودار عثمان بن عفان

(*) أنظر الملحق رقم04 ص189.

(1) الأنصاري، آثار المدينة، ص145.

(2) ابن شبه، المصدر السابق، ج1، ص16.

(3) بدر، المرجع السابق، ج1، ص326.

(4) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر، صحابي، من دهاة العرب في الجاهلية والإسلام، توفي عام 50هـ/670م. (أنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، مج4، ص1445، 1447).

(5) العباس بن عبد المطلب بن عبد مناف، عمّ النبي صلى الله عليه وسلم، من أشراف قريش، توفي عام32هـ/653م. (أنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، مج2، ص810، 817).

رضي الله عنه في موضع الجنائز حدّه الجنوبي، وحُشّ أبي طلحة رضي الله عنه [1] حدّه الشمالي[2]. بذلك فإن البلاط يشمل الشوارع الرئيسية للمدينة، بالخصوص الشارع الرابط بين السوق والمسجد الذي تكثُر فيه الحركة؛ فالتُّجّار الذين يأتون من خارج المدينة يغتنمون الفرصة للصلاة في المسجد النبوي الذي تُعادل الصلاة فيه ألف صلاة –كما سبق ذكره–.

البلاط الشرقي ذو شعبتين: جنوبية وشمالية، تمتد الجنوبية من طرف المسجد النبوي داخلة في زقاق الحبشة، وتنتهي عند العطفة الكائنة بعد القسم الشرقي من دار عثمان كبرى، وتمتد الشعبة الشمالية من باب النساء حتى زقاق البقيع منتهية عند عطفة دار عثمان الصغرى[3].

البلاط الشمالي يمتد من باب الرحمة إلى زاوية المسجد الشمالية عند أُطم [*] حسان بن ثابت رضي الله عنه، وجزء يمتد من زاوية المسجد الشمالية إلى جهة باب النساء[4].

البلاط الغربي يمتد من باب الرحمة إلى حدّ سوق المدينة عند دار العباس بن عبد المطلب، وفيه جزء من باب السلام حتى يصل إلى مصلى الأعياد[5].

---

(1) أبو طلحة زيد بن سهل، صحابي، من فرسان المسلمين، توفي عام 51هـ/671م. (أنظر: ابن حجر، الإصابة، ج2، ص502، 504). المُراد بالحُشّ: البستان أي بُستان أبي طلحة. (أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج3، ص189).

(2) ابن شبه، المصدر السابق، ج1، ص16.

(3) الأنصاري، آثار المدينة، ص147.

(4) المرجع نفسه، ص149–150.

(*) أُطُم: حصنٌ مبني بالحجارة، أو كلّ بيت مربع مسطّح، وكانت منتشرة بكثرة في المدينة. (أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج1، ص160–161).

(5) السمهودي، المصدر السابق، ج3، ص69.

لم يُغفل المهندسون قنوات مياه الأمطار؛ إذ توجد ثلاث منها: الأولى بالقرب من مصلى الأعياد، والثانية عند دار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بالسوق، والثالثة بالقرب من حُشّ أبي طلحة رضي الله عنه[1].

إن إنشاء هذه القنوات يُرجِّح أن سبب إنشاء البلاط حماية المسجد النبوي من سيول الأمطار، وفي نفس الوقت تتّضح لنا براعة الهندسة المعمارية آنذاك والمستوى الذي بلغته؛ إذ ظل هذا البلاط معلماً بارزاً من معالم المدينة لعدة قرون أسبغ عليها مظاهر الحضارة المدنية لتُضاهي المُدن الكبيرة[*].

ثانيا: المقصورة

2-1- تعريف المقصورة:

تدلّ المقصورة في المصطلح المعماري على غرفة أو حجرة أو سياج أو حاجز من الخشب ونحوه، يُحاط به المكان الذي كان يُخصّص في المسجد لصلاة الأمير أو الوالي[2].

---

(1) ابن شبه، المصدر السابق، ج 1، ص16. أنس بن مالك، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي عام93هـ/712م. (أنظر: ابن حجر، الإصابة، ج1، ص275، 278).

(*) ذكر البخاري والإمام أحمد وغيرهما (أنظر: البخاري، الصحيح، كتاب المظالم، باب: من عقل بعيره على البلاط أو باب المسجد، رقم 2470، ص467؛ ابن حنبل، المسند، ج1، ص186-187؛ السمهودي، المصدر السابق، ج3، ص67)، أن البَلاط كان موجودا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين، لكن لم يذكروا تاريخ إنشائه أو من قام بذلك، وأشار السمهودي إلى أن هذا البلاط كان في شرق المسجد النبوي من ناحية مصلّى الجنائز، ولعل ذلك يقودنا إلى القول بأن البلاط القديم تآكل وانطمس في الأرض، فجدّده الأمير مروان، وجعله في الجهات الأربعة للمسجد بعد أن كان في شرقه فقط، ومن جهة أخرى يُمكن إضافة هذا السبب إلى أسباب إنشاء الأمير للبلاط، وهو تجديده بعد أن أثّرت فيه عوامل الزمن.

(2) رزق عاصم محمد، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000، ص297.

كانت المقاصير الأولى مجرد حواجز خشبية لجزء صغير من المسجد عند جدار القبلة، ويدخل إليها إما من باب خاص في الجدار الملاصق لجدار القبلة أو من باب في بيت الصلاة نفسه، ثم تطورت حتى أصبحت غرفاً قائمة بذاتها[1].

مما سبق ذكره، فإن المقصورة تضمّ المنطقة الأهم في المسجد الإسلامي والمخصّصة للإمام الذي كان في العصر الإسلامي الأول هو الخليفة نفسه أو الأمير[2].

يرى ابن خلدون أن المقصورة من شارات المُلك الإسلامي، وصارت مع مرور الزمن سُنّة في تمييز السلطان عن الناس في الصلاة، واستحداثها من التّرف ومظهر من مظاهر الأُبّهة في الدول الإسلامية شرقاً وغرباً[3]

2-2- سبب بناء الأمير مروان للمقصورة:

يُرجّح أن سبب اتخاذ الأمير مروان للمقصورة سببٌ أمني؛ إذ تعرّض لمحاولة اغتيال في المسجد النبوي من طرف رجل من تهامة [*]، الذي ظلمه وأخذ ماله المُشرف على شؤون تلك المنطقة والمُعيّن من طرف الأمير، فاعتقد هذا الرجل أن السبب الرئيسي للظلم هو الأمير مروان، فعزم على قتله، وبعد محاولة الاغتيال الفاشلة بُنِيت المقصورة[4].

---

(1) مؤنس، حسين، المساجد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981، ص129.

(2) علي محمد نجاة، المقصورة في المسجد الإسلامي، مجلة الآداب، المجلد 2، العدد102، كلية الآداب جامعة بغداد، بغداد، 2012، ص220.

(3) المصدر السابق، ص332.

(*) تِهَامَة: إقليم من أقاليم شبه الجزيرة العربية، وهو الشريط الساحلي الممتد من اليمن حتى الأردن، يقع الحجاز في شرقه، وهو إقليم جبلي. (أنظر: البلادي، المرجع السابق، ج2، ص285).

(4) ابن شبه، المصدر السابق، ج1، ص6.

2-3- تاريخ بناء المقصورة:

أنشأ الأمير مروان المقصورة في المسجد النبوي عام 44هـ/664م[1]، لكن أُختلف في أوّل من فعل ذلك على ثلاثة أقوال: الأول يرى أن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه اتّخذ المقصورة عقب مقتل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه خوفاً من حدوث محاولة اغتيال مُشابهة[2]، والثاني يُرجع الأمر إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه الذي تعرّض لمحاولة اغتيال في دمشق عام 40هـ/660م[3]، أما الثالث ينسب العمل إلى الأمير مروان بن الحكم[4].

أُرجّح أن مقصورة الخليفة عثمان رضي الله عنه هي الأولى، لأنه جعل لها عاملاً يهتمّ بها مقابل مبلغ مالي شهرياً [5]، وقد ترجمت المصادر لهذه الشخصية ولقّبتها بـ "صاحب المقصورة"[6] فلا يُعقل أن تتفق المصادر على ترجمة شخصية وهمية خاصة وأنه مذكور في عِداد الصحابة رضوان الله عليهم.

---

(1) الطبري، المصدر السابق، ج5، ص215.

(2) ابن زبالة، المصدر السابق، ص116.

(3) الطبري، المصدر السابق، ج5، ص149. مدبّرو العملية هم الخوارج.

(4) العسكري، المصدر السابق، ص240.

(5) ابن شبه، المصدر السابق، ج 1، ص7. واسمه السائب بن خبّاب أبو مسلم المدني، وكان يتقاضى دينارين شهريا على عمله.

(6) أنظر مثلاً: ابن منده، محمد بن إسحاق(ت 395هـ/1005م)، معرفة الصحابة، تحقيق عامر حسن صبري، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، العين-الإمارات العربية المتحدة، 2005، ص749-750؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، مج2، ص 570-571؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج2، ص 390؛ المزي، المصدر السابق، مج10، ص184-186؛ الفاسي، المصدر السابق، ج 4، ص498-499؛ ابن حجر، الإصابة، ج3، ص16-17.

يُضاف إلى ما سبق ذكره، أنّ مقصورة الخليفة عثمان رضي الله عنه كانت من الطين[1]، لذا يمكن الجمع بين الأقوال المختلفة في الموضوع بأنّ الخليفة عثمان رضي الله عنه أوّل من بناها من الطين والأمير مروان أوّل من بناها من الحجارة [2] والخليفة معاوية رضي الله عنه أوّل من بناها في بلاد الشام[3].

2-4- صفة مقصورة الأمير مروان بن الحكم:

كانت مقصورة الأمير مروان من الحجارة المنقوشة، وفيها فتحات صغيرة لينظر إليه الناس في السجود والركوع[4]. ورُوي عن الإمام مالك أن هذه المقصورة مصنوعة من طين، ذات فتحات يُنظر منها للإمام[5].

يُجمع بين الروايتين السابقتين بأنّ الأمير في أوّل الأمر جدّد مقصورة الخليفة عثمان رضي الله عنه المبنية من الطين، وبعد تعرضه لمحاولة اغتيال رأى أن المقصورة الطّينية سهلة الاختراق ولا توفر الحماية الكافية، فاستبدلها بمقصورة من الحجارة المنقوشة لصلابتها وما توفّره من حماية أفضل.

بقيت مقصورة الأمير مروان حتى خلافة الوليد بن عبد الملك الذي أمر بتوسعة المسجد النبوي عام88هـ/707م، فأُستبدلت المقصورة الحجرية بأخرى من الخشب[6].

---

(1) ابن زبالة، المصدر السابق، ص116.

(2) البرزنجي جعفر بن إسماعيل(ت 1317هـ/1899م)، نزهة الناظرين فى مسجد سيد الأولين والآخرين ، المطبعة الجمالية، القاهرة، 1914، ص49.

(3) الدهاس، المرجع السابق، ص59.

(4) العسكري، المصدر السابق، ص240.

(5) ابن رشد، المصدر السابق، ج1، ص291-292.

(6) ابن زبالة، المصدر السابق، ص116.

مما يُذكر في موضوع إصلاحات الأمير مروان في المسجد النبوي، زيادته درجات المنبر؛ إذ كانت ثلاث درجات منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فأضاف إليه ست درجات ليُصبح المجموع تسع درجات[1].

سبب هذه الزيادة كثرة عدد المصلين [2]، فكُلما زاد ارتفاع المنبر كان الصوت مسموعا أكثر، والسبب الآخر حماية المنبر من التلف على يد الأَرَضَة [3]؛ لأنه من بقايا آثار النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(1) ابن زبالة، المصدر السابق، ص89. رُويت عن زيادة المنبر أمور لا تصح، ومُخالفة للشرع مثل: أن الخليفة معاوية رضي الله عنه حين أراد نقل المنبر إلى الشام، أظلمت السماء وكسفت الشمس، فزاد فيه الأمير مروان ست درجات وتركه، وأن سبب نقله هو قتل الأنصار للخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فرأى الخليفة معاوية رضي الله عنه أنه لا ينبغي أن يبقى المنبر عندهم، وغيرها من الروايات الضعيفة التي فنّدها الباحثون.
(أنظر مثلا: الصلابي، الدولة الأموية، مج1، ص331، 333؛ أبو شبيكة، المرجع السابق، ص156-157).

(2) نفسه.

(3) الطبري، المصدر السابق، ج 5، ص238. الأَرَضَةُ: دودة بيضاء تُشبه النملة تأكل الخشب. (أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج1، ص118-119).

3- منشآت عمرانية أخرى(*)

ساهم أمير المدينة مروان بن الحكم في إنجاز عدّة مشاريع عمرانية في المدينة، كان لها الأثر الكبير في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ليس فقط في العصر الأموي بل حتى العصر العباسي.

3-1- دار مروان بن الحكم (دار الإمارة):

تقع دار مروان في الجنوب الغربي للمسجد النبوي، وهي مُلاصقة لجدار القبلة، ولها باب نحو المسجد يُسمى باب مروان(1). أي أنها في وسط المدينة وقلبها.

إن هذا الموقع الممتاز- التصاقُها بالمسجد النبوي- أهّلها أن تُصبح دار الإمارة؛ لأن من عادة المسلمين في تخطيط مُدنهم أن يبنوا دار الإمارة بالقرب من المسجد الجامع حتى يتسنّى للأمير إمامة الناس في الصلوات الخمس والجمعة وغيرها، وعقد الاجتماعات مع الرعيّة لتبليغهم أوامر الخلافة.

كان في موضعها سابقاً دار العباس عبد المطلب ودار نعيم بن عبد الله النّحام رضي الله عنهما، فاشتراهما مروان وبنى داره مكانهما(2).

(*) أنظر الملحق رقم 05 ص190. وقد جمعت فيه هذه المنشآت دفعة واحدة حتى لا يصير عدد الملاحق كبيرا إذا خصّصت لكل منشأة ملحقاً.

(1) المطري، المصدر السابق، ص108. أشارت بعض المصادر أمثال الفيروزآبادي والحموي إلى أن دار مروان هي دار القضاء التي تقع في الجهة الغربية مُقابِلةً للمسجد النبوي، وفيها دار الإمارة. بيّن السمهودي أن ذلك التباس وقع فيه هؤلاء؛ لأن دار مروان أجمعت المصادر القديمة على أنها تُلاصق المسجد النبوي من جنوبه الغربي، أما دار القضاء فقيل اشتراها مروان فنُسبت إليه لذلك ظنّوا أن دار الإمارة فيها. (أنظر: الحموي، معجم البلدان، مج2، ص422؛ الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص 138؛ السمهودي، المصدر السابق، ج 3، ص24-25).

(2) ابن زبالة، المصدر السابق، ص133. نعيم بن عبد الله النَّحَّام، صحابي، من أشراف قريش، توفي =

أمّا عن المميزات العمرانية لدار مروان، فلم تُقدّم المصادر وصفاً شاملاً دقيقاً لها رغم أهميتها السياسية الكبيرة، باستثناء بعض الإشارات التي لا تفِ بالغرض المنشود.

* الوصف الخارجي: تُعدّ دار مروان من أفخم دور المدينة وأشرفها، ولذلك ضربت بها العرب المثل، وفيها يقول الشاعر[1]:

مَا بِالمَدِينَة دَارٌ غَيرُ وَاحِدَةٍ دَارُ الخَلِيفَةِ إلَّا دَارُ مَرْوَانَ

يُعبّر هذا البيت من الشعر عن فخامة هذه الدّار وحُسن بنائها، وكِبَر حجمها، حتى أنها تُضاهي دار الخليفة نفسه، وهو ما دفع أبا هريرة رضي الله عنه أن يضرب بها مثلاً في وصيته لأحد التابعين[2].

للدّار بابان، باب صغيرٌ في جدار قِبلة المسجد النبوي يدخل منه الأمير إلى المقصورة مباشرة[3]، والباب الثاني يُلاصق باب السلام–أحد أبواب المسجد المشهورة في جنوبه الغربي–[4]. وكان في أعلى الدّار قُبّةٌ[5].

= عام15هـ/636م. (أنظر: ابن حجر، الإصابة، ج6، ص361–362).

(1) ابن عبد البر، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، دار الوعي، حلب–القاهرة، 1993، مج26، ص336.

(2) ابن أنس، المصدر السابق، مج 4، ص363–364. قال أبو هريرة رضي الله عنه: ((...والَّذِي نَفْسِي بِيَدِه؛ لَيُوشِكُ أَن يَأْتِيَ عَلى النَّاس زَمَانٌ تَكُونُ الثُّلَّةُ مِنَ الغَنَمِ أَحَبَّ إِلَى صَاحِبِهَا مِن دَارِ مَرْوَانَ)). وفي هذه الوصية دليل على أن المدن تكثُر فيها الفتن، والتقاتل على الدنيا حتى تفسد وتهلك، ويكون الفرار منها إلى القفار والشّعاب، بقطائع الغنم. (أنظر: ابن عبد البر، الاستذكار، مج26، ص336).

(3) المطري، المصدر السابق، ص108.

(4) ابن زبالة، المصدر السابق، ص110.

(5) ابن شبه، المصدر السابق، ج1، ص247.

* الوصف الداخلي: زُيّنت الدّار من الداخل بنقوش وزخارف حيوانية، فاستنكر ذلك أبو هريرة رضي الله عنه حين شاهدها على الجدران[1]. توجد على يسار الداخل إلى الدّار حُجرةٌ وفي أعلاها القُبّة المذكورة سابقاً[2].

تميزت هذه الدار بشساعة مساحتها، وكِبر حجمها؛ إذ استوعبت ألف شخص من بني أمية حين اعتصموا فيها بعد أن حاصرهم سكان المدينة عام 63هـ/682م[3]، وبغضِّ النظر عن العدد – إن كان صحيحاً أو مبالغاً فيه على عادة الروايات التاريخية– إلا أنه يُقدّم لنا إشارة هامة عن اتساع الدار وقدرة استيعابها الكبيرة.

أمّا عن تاريخ بنائها، لم تذكر المصادر سنةً بحدّ ذاتها، واكتفت بالإشارة إلى الفترة التي أُنجزت فيها؛ أنها بُنِيَت عقب توسعة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه للمسجد النبوي عام29هـ/649م[4].

---

(1) مسلم، المصدر السابق، ص 876. واستنكار أبي هريرة رضي الله عنه سببه أن النبي صلى الله عليه وسلم حرّم تصوير ذوات الروح –الإنسان أو الحيوانات– وتوعّد فاعل ذلك بالعذاب الشديد. (أنظر: البخاري، الصحيح، كتاب اللباس، باب: عذاب المصورين يوم القيامة، رقم5950 و5951، ص1155).

(2) السمهودي، المصدر السابق، ج3، ص48.

(3) الطبري، المصدر السابق، ج 5، ص482. يرى الشيباني أن بني أمية اعتصموا في دار مروان بن الحكم التي تقع بالقرب من الحرّة في عرصة البقل –غرب وادي العقيق –، لكن تلك الدار تُسميها المصادر التاريخية والجغرافية " قصر مروان بن الحكم"، أما دار مروان فالمقصود بها عندهم دار الإمارة الملاصقة للمسجد النبوي، وسمّت المكان الذي اعتصم فيه بنو أمية بـ " دار مروان" ولم تذكر – حسب اطلاعي– أنهم اعتصموا في قصر مروان، يُضاف إلى ذلك أن الشيباني لم يستند في رأيه إلى مصدر يؤيده ويُوثّق معلومته، فربما كان اجتهاداً منه. (أنظر: الشيباني، المرجع السابق، ص505).

(4) أنظر مثلاً: ابن زبالة، المصدر السابق، ص133–134؛ ابن النجار، محمد بن محمود(ت643هـ/1245م)، الدرة الثمينة في أخبار المدينة، تحقيق عبد الرزاق المهدي، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة–المملكة العربية السعودية، 2003، ص217؛ السمهودي، المصدر السابق،ج2، ص258.

يرى عبد الباسط بدر أن دار الإمارة بناها الأمير مروان في بداية ولايته الأولى على المدينة[1]، أي ما بين 41-44هـ/661-664م تقريباً.

يبدو لي أن عبد الباسط بدر ظنّ أن الأمير مروان بنى داراً للإمارة ثم صارت تسمى دار مروان، لكن المصادر التاريخية أكدت أن دار مروان كانت موجودة قبل ولايته على المدينة؛ أي ملكية شخصية له [2]، وحين صار أميراً أصبحت تُسمّى دار الإمارة لأنها مقر الأمير ومسكنه، ثم صارت في أملاك بيت مال المسلمين [3]، وظلّت هذه الدار الفخمة بعده مقرّ أمراء المدينة لمدة طويلة من الزمن[4].

إن تردّد اسم دار مروان بكثرة في الكتب التي أرّخت للمدينة قديما وحديثا يُبيّن الأهمية الكبيرة التي حظيت بها، وفي نفس الوقت هندستها المعمارية الجميلة، لكن للأسف لم تصفها هذه الكتب وصفا دقيقا يفيها حقها، ويُضيف إلينا معلومات قيّمة عن العمارة الإسلامية وتطوّرها في ذلك العصر.

---

(1) المرجع السابق، ج1، ص326.

(2) ابن زبالة، المصدر السابق، ص133-134؛ ابن النجار، المصدر السابق، ص217.

(3) ابن شبه، المصدر السابق، ج1، ص256.

(4) الأنصاري، آثار المدينة، ص43.

3-2- عين الشهداء:

أنجز هذا المشروع أمير المدينة مروان بأمرٍ من الخليفة عام 43هـ/663م[1]، وهي قناة مائية في باطن الأرض تمتد من المناطق الجنوبية للمدينة إلى شمالها عند جبل أُحد [2]، إذ تمرّ على قبور شهدائه لذلك سُمّيت عين الشهداء [3]، كما لها تسميات أخرى مثل: قناة معاوية[4]، والكِظامة[5].

للعين منهلان، الأول بالقُرب من قبر حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه [6] عند جبل أُحد، والآخر في طريق الحُجّاج على مسافة أربعة أميال من المدينة شمالاً [7]، وبذلك يستفيد هؤلاء من ماء العين، ويكون النفع أعظم.

---

(1) ابن شبه، المصدر السابق، ج1، ص133.

(2) السمهودي، المصدر السابق، ج3، ص400-401.

(3) ابن شبه، المصدر السابق، ج1، ص133. ظهر خلال إنجاز العين دليلٌ من دلائل النبوة؛ إذ تمّ نقل شهداء أُحد من قبورهم لأن قناة العين تمرّ عليهم، فوُجدوا على حالتهم التي ماتوا عليها ولم يتغيروا منذ أربعين سنة، حتى أن آلة الحفر أصابت قدم أحد الشهداء فانفجر منها الدم، وهو دليلٌ على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم؛ وما أُوحِي إليه: ﴿وَلاَ تَحْسِبَنَّ ٱلذِينَ قُتِلُواْ فِے سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتاًۢ بَلَ اَحْيَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ سورة آل عمران الآية 169. (أنظر: البيهقي، أحمد بن الحسين (ت 458هـ/1066م)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988، ج3، ص291، 294).

(4) الحربي، المصدر السابق، ص421.

(5) الواقدي، المغازي، المصدر السابق، ج 1، ص 267. الكِظامة: الآبار المتناسقة والمتباعدة عن بعضها البعض، وتمرّ عليهم قناة تجمع مائهم الجاري ثم تصبّ في مفيضها على سطح الأرض. (أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج12، ص106).

(6) حمزة بن عبد المطلب، عمّ النبي صلى الله عليه وسلم، سيد الشهداء، أسد الله ورسوله، اُستشهد في غزوة أحد عام3هـ/625م. (أنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، مج1، ص369، 375).

(7) الحربي، المصدر السابق، ص422.

ساهمت عين الشهداء في توفير المياه للمناطق البعيدة في المدينة–جبل أحد– [1]، وأُستغلت مياهها في سقي البساتين لأن مفيضها عبارة عن بركة تتوسط مجموعة من بساتين النخيل قُرب ضريح حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه[2].

3-3- قصر خُلّ:

قصر خُلّ حصنٌ في شمال غرب المدينة، أمر الخليفة معاوية رضي الله عنه أمير المدينة مروان ببنائه، فكلّف هذا الأخير النعمان بن بشير رضي الله عنه بإنجاز العمل [3]. وسُمّي قصر خُلّ لأنه بُنِيَ على طريق في الرمل[4].

ذكرت الروايات أن هذا الحصن أصبح سجناً في فترة لاحقة[5]، وقد أُدخل فيه خمسمائة سجين دفعة واحدة عام 65هـ/684م[6]. مما يدلّ على كِبَر حجمه، وإتقان بنائه، وارتفاع أسواره، وسماكة جدرانه.

---

(1) بدر، المرجع السابق، ج1، ص327.

(2) الأنصاري، آثار المدينة، ص261.

(3) ابن شبه، المصدر السابق، ج 1، ص 271–272. النعمان بن بشير، صحابي، أول مولود للأنصار بعد الهجرة، والي الكوفة ثم حمص زمن خلافة معاوية رضي الله عنه، توفي عام 65هـ/685م. (أنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، مج4، ص1496، 1500).

(4) ابن منظور، المصدر السابق، ج4، ص200.

(5) ابن زبالة، المصدر السابق، ص 238. الحصن بعيدٌ عن التجمعات السكانية، لذا يصلح أن يُصبح سجناً؛ كما في الوقت الحالي؛ إذ تُشيّد السجون خارج المدينة.

(6) ابن عساكر، المصدر السابق، ج 12، ص90. عقب مبايعة مروان بن الحكم بالخلافة في الجابية، وسيطرته على الشام ومصر، أرسل جيشاً بقياد حُبَيْش بن دَلَجَة إلى المدينة لانتزاعها من ابن الزبير رضي الله عنه، فأرسل هذا الأخير جيشاً بقيادة الحِنْتف بن السَّجف، فهُزم جيش الشام، وأُسر منهم خمسمائة، فسُجنوا في قصر خُل.

أرجعت بعض الروايات سبب بناء هذا الحصن إلى أن الخليفة كان يُحدَّثُ أن بني أمية ليسوا في مأمنٍ من سكان المدينة؛ فأمر ببنائه ليكون حصنًا لهم إذا ما داهمهم خطرٌ [1]. لكن هذه الرواية ضعيفة نظراً لعدة أمور:

* روى ابن شبه أن قصر خُلّ بناه الخليفة ليكون حصنًا لأهل المدينة [2]؛ أي ليس خاصا ببني أمية فقط.

* تذكر الرواية السابقة أن الخليفة كانت تُروى له تكهّنات وتوقعات عن مصير بني أمية في المدينة وما سيُصيبهم من خطر، لذا شيّد لهم حصنًا، وهذا أمرٌ مخالف للشرع لأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، ولا يمكن أن يرضى الخليفة – وهو صحابي– بقبول مثل هذه التكهنات وتصديقها، والعمل بها.

* إذا كان قصر خُلّ حصنًا لبني أمية عند حدوث خطر، فلماذا لم يتحصّنوا فيه حين حاصرهم سكان المدينة زمن خلافة يزيد بن معاوية؟ بل نجدهم يتحصّنون في دار الأمير مروان بن الحكم – كما سبق ذكره–.

يرى "عبد الباسط بدر" أن سبب بنائه هو مراقبة مداخل المدينة [3]، وأُرجّحُ هذا الرأي؛ لأنه سبق وأن ذكرت أن المدينة استفحل فيها اللصوص في ولاية سعيد بن العاص رضي الله عنه، فلمّا جاء الأمير مروان ضبط الأمور ضبطًا شديدا على يد صاحب شرطته، لذا لا يُستبعد أن يكون بناء هذا الحصن ضمن الإجراءات الأمنية المتّخذة لحماية السكان من خطر اللصوص وقطاع الطرق، وتسهيل مراقبة تحركاتهم نحو المدينة وخارجها.

---

(1) ابن زبالة، المصدر السابق، ص238.

(2) المصدر السابق، ج1، ص271.

(3) المرجع السابق، ج1، ص327.

3-4- قصر بني جُديْلة(*):

قصر بني جُديْلة هو الحصن الثاني الذي أمر الخليفة معاوية رضي الله عنه ببنائه في المدينة بعد قصر خُلّ، يقع في الجهة الشمالية من المسجد النبوي في منطقة بني جُديْلة [1]. للحصن بابان شمالي وجنوبي، الأول يُشرف على بني جُديلة والثاني في الزاوية الشرقية الجنوبية المُشرفة على المسجد النبوي[2].

كان في موضع هذا الحصن بُستان أبي طلحة رضي الله عنه المسمّى" بَيْرُحَاء" وفيه بئر ماء مشهورة بالمدينة[3]، اشتراه الخليفة من حسان بن ثابت رضي الله عنه[4].

أما عن سبب بنائه، فقد ذكر ابن زبالة أن الخليفة معاوية رضي الله عنه حين شيّد قصر خُلّ، أشاروا عليه أنه بعيد المسافة عن المدينة، فإذا داهم الخطر بني أمية فلن يصلوا إليه إلا بشِقِّ الأنفس، وقد يُقضى عليهم قبل بلوغه، فاشترى " بَيْرُحاء" وشيّد فيها قصر بني جُديْلة لحماية بني أمية[5].

(*) ويُسمّى أيضًا " قصر بني حُديلة ". (أنظر: السمهودي، المصدر السابق، ج3، ص367).

(1) ابن شبه، المصدر السابق، ج 1، ص272. بنو حُديْلة هم بنو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجّار، و"حُديْلة" اسم أمّ معاوية. (أنظر: ابن حزم، الجمهرة، ص327-328).

(2) نفسه.

(3) السمهودي، المصدر السابق، ج 3، ص366، 369. كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل هذا البستان ويشرب من تلك البئر الطّيب مائها. (أنظر: مسلم، المصدر السابق، ص387).

(4) البخاري، الصحيح، ص532. تصدّق أبو طلحة رضي الله عنه بالبستان على أقاربه ومن بينهم حسان بن ثابت رضي الله عنه الذي باع حصّته للخليفة.

(5) المصدر السابق، ص238.

قد ناقشت سابقا أسباب بناء قصر خُلّ وهي نفس أسباب بناء هذا الحصن، وأُضيف إلى ذلك أنه إذا كان قصر بني جُديْلة قريبا من المسجد النبوي- في وسط المدينة تقريباً-، فإن بني أمية لم يتحصّنوا فيه حين حُوصروا عام 63هـ/682م كما سبق ذكره، وعليه فإن السبب المذكور آنفاً فيه نظرٌ.

3-5- توسعة مقبرة المدينة (البقيع):

تُعدّ مقبرة البقيع (*) أشهر مقبرة عند المسلمين؛ لأنها تضمّ قبور خِيار أمة الإسلام من الصحابة والتابعين وأُمهات المؤمنين رضوان الله عليهم، اتّخذها النبي صلى الله عليه وسلم مقبرة للمسلمين بالمدينة، وأوّل من دفنه فيها عثمان بن مظعون رضي الله عنه، ووضع على قبره حجراً، وبعدها بدأ الناس يدفنون موتاهم حوله[1].

ظلّت هذه المقبرة دون توسعة حتى زمن خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي اشترى بُستانًا (**) ملاصقا لها من الجهة الشرقية لتوسعتها، لكن الناس تحاشوا الدفن فيه، وكان الخليفة عثمان رضي الله عنه أول من دُفن هناك[2]، ولمّا أصبح مروان بن الحكم أميراً على المدينة ألحق ذلك البُستان بالبقيع؛ فصار جزءاً منها ومن ثمّ دفن الناس فيه موتاهم[3].

(*) وتُسمّى بقيع الغَرْقَد لأنه كان في موضعها أشجار الغرقد وهو" العوسج"، فقُطعت وأصبحت مقبرة سكان المدينة. (أنظر: الحموي، معجم البلدان، مج1، ص473).

(1) ابن سعد، المصدر السابق، ج 3، ص368. عثمان بن مظعون، صحابي، أول من مات من المهاجرين في المدينة عام2هـ/624م. (أنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، مج3، ص1053، 1056).

(**) يُسمّى "حُشُّ كَوْكَبْ"، الحُشُّ: البستان، كَوْكَب: اسم صاحب هذا البستان. (أنظر: البكري، المصدر السابق، ج2، ص450-451).

(2) البلاذري، أنساب الأشراف، ج6، ص218.

(3) ابن النجار، المصدر السابق، ص310. في سياق الحديث عن المقبرة، قدّم الأمير مروان خدمة جليلة =

3-6- دكاكين السوق (دار النُّقصان ودار القطران):

كلّف الخليفة معاوية رضي الله عنه أمير المدينة مروان ببناء دار النُّقصان ودار القطران في سوق المدينة [1]؛ وهي عمارة تجارية كبيرة، أجّر الخليفة دكاكينها للتجّار [2]. يُحتمل أن سبب بناء هذه الدكاكين هو ازدهار الحركة التجارية في المدينة آنذاك [3]، فأراد الخليفة استثمار أمواله فيها، وتنظيم سوقها على طريقة سوق العاصمة دمشق.

= للسكان في نقل الموتى؛ إذ كانوا ينقلون موتاهم على سرير واحد منذ زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فمنع أن يُحمل فيه إلا الرجل الشريف، وفرّق في المدينة سُرراً جديدة لحمل الموتى. (أنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص69).

(1) ابن شبه، المصدر السابق، ج1، ص270.

(2) بدر، المرجع السابق، ج1، ص339.

(3) نفسه.

تنوّعت المنشآت العمرانية التي أنجزها أمير المدينة مروان بن الحكم، من منشآت دينية، واجتماعية، واقتصادية، وعسكرية.

كان لهذه المنشآت أثرٌ كبيرٌ في حياة السكان امتدّ إلى عصور لاحقة –مثل العين الزرقاء التي ظلّت تُمدّ السكان بالماء حتى العهد العثماني–، يُضاف إلى ذلك أنها أضفت مسحة جمالية على عمران المدينة، ومثّلت مظهراً من مظاهر التمدّن فيها.

أختم بعبارة "عبد القدوس الأنصاري": ((لِمروان بن الحكم أمير المدينة في أوائل النصف الثاني من القرن الأول الهجري صفحةٌ ناصعةٌ في عُمْرانِ المدينة...)) [1]؛ فقد أجرى عيون الماء –العين الزرقاء وعين الشهداء–، وبلّط ممرات المسجد النبوي، ووسّع مقبرة المدينة، وبنى المقصورة في المسجد، وداره التي أصبحت دار الإمارة ظلّت مقرّ الأمراء من بعده لزمن طويل.

---

(1) المرجع السابق، ص43.

الخـــاتمـــــة

نستخلص مما تقدّم مجموعة من النتائج، التي يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

– إن الدور الكبير الذي قام به مروان بن الحكم في صدر الإسلام يعود أساساً إلى المنجزات التي حقّقها خلال تقلّده لمناصب عليا في الدولة الإسلامية خلال العهدين الراشدي والأموي (الكاتب والوالي والخليفة) هذا من جهة، وحُسن استغلاله لقدراته الشخصية كالشجاعة والدهاء والحِنكة وسرعة حسم الأمور، وتوظيفها في المحطّات التاريخية التي عرفتها الخلافة الأموية من جهة ثانية، ومكانته الاجتماعية؛ فهو قرشي أموي من أشراف العرب من جهة ثالثة.

– ربطت أمير المدينة مروان بن الحكم والصحابة رضوان الله عليهم علاقة حسنة، أساسها الاحترام والتقدير، والعمل بما جاء في الكتاب والسنة، وتجلّت مظاهرها في استعانة الأمير بهم في شؤون الولاية سواء في القضاء أو جمع الزكاة أو نيابته حين غيابه، وإكرامه لهم بالأُعطيات والهدايا، وسُؤالهم فيما أشكل عليه من الأمور والمسائل سواء الدينية أو السياسية أو القضائية، وطلب مشورتهم.

– شارك سكان المدينة في الأحداث السياسية التي عرفتها تلك الفترة، وعلى رأسها الجهاد في سبيل الله، كما وفدوا على الخليفة معاوية رضي الله عنه بدمشق، فأحسن استقبالهم واستمع إلى آرائهم، وتقلّدوا مناصب سامية في الدولة كالولاية وقيادة جيوش الفتوحات، لكن الحدث الأبرز هو بيعة يزيد بولاية العهد؛ إذ تصدّروا الساحة السياسية حينها برفضهم لها سلميًا، مُعبّرين عن رأيهم بكل حرية، مما يبين أنهم لم يكونوا يعيشون في عُزلةٍ سياسية، بل كانوا محلّ اهتمام كبير من الخلافة.

– استعان الأمير بمجموعة من الرجال– أغلبهم من الصحابة– لتسيير الولاية في مختلف المجالات؛ السياسية والاجتماعية والاقتصادية والقضائية، وقد نجح في توفير جوّ من السكينة والطمأنينة لدى السكان، نظير نجاحه في فرض الأمن بواسطة صاحب الشرطة والقضاء، وصرامته في تنفيذ الحدود، وشدّته في العقوبات، وحُسن اختياره لأعوانه، فعرفت المدينة في فترة ولايته استقرارا سياسيا وأمنيا، كان له أثرٌ في الحياة العامة للسكان.

– لم تختلف الحياة الاجتماعية في المدينة بشكل كبير عن سابقتها زمن الخلفاء الراشدين؛ إذ تميزت بتجانس العناصر البشرية فيها من مهاجرين وأنصار وموالي وعبيد، وخُلوّ المجتمع من مظاهر اللهو والمجون من غناء وخمر كما أُشيع عنه، بل غلب عليه الوازع الديني والأخلاقي، الذي كان جداراً منيعاً أمام تلك المظاهر المنحرفة.

– تمتعت المرأة بمنزلة محترمة لدى سكان المدينة، وشاركت في الحياة السياسية من خلال الوفادات على الخليفة معاوية رضي الله عنه، وتقديم النصيحة والمشورة له، وإبداء رأيها فيما يجري من أحداث نثراً و شعراً، مما يدلّ على وعيها السياسي الكبير، وأنها لم تكن حبيسة البيت، معتزلةً الناس.

– عاشت المرأة حياتها في حياء وحشمة، سيمتها العفّة والفضيلة، بعيدة عن الشبهات، مُلتزمة بأوامر الدين وبالآداب العامة، نقيض ما أُشيع عن سفورها وحريتها التي كسرت قيود الشرع والأخلاق.

– تميّزت معيشة السكان بالبساطة والتواضع في الأكل واللباس، لا تختلف كثيرا عن زمن الخلفاء الراشدين، وساد في المجتمع التكافل بين أفراده؛ إذ كان الأثرياء يجودون على الفقراء، لذا انعدمت طبقة مُترفة بينهم.

– تُعدّ الزراعة النشاط الاقتصادي الرئيسي للسكان، خاصة زراعة النخيل، نظرا لطبيعة المناخ السائد في المنطقة، وتوفّر المياه من الآبار والعيون والوديان، وخصوبة التربة، فاهتمّ السكان بها خاصة الأشراف والأثرياء والخليفة نفسه بامتلاكهم المزارع والبساتين، ونجد أيضا زراعة الحبوب مثل الحنطة والشعير، فمثّلت هذه المحاصيل– التمور والحبوب– الغذاء الأساسي للسكان، أي كانت الزراعة في المدينة زراعة معيشية للاستهلاك المحلي.

– إن وقوع المدينة في ملتقى الطرق التجارية بين الشام واليمن، أهّلها أن تكون محطة تجارية للقوافل المارة عبر هذا الطريق، فازدهرت سوقها، وتنوعت سلعها مثل العطور، والثياب، والرقيق، والحلي، التي تُجلب من بلاد الشام والعراق وغيرها، كما ساهم ميناء الجار في تنشيط الحركة التجارية؛ إذ رست فيه السفن القادمة من مصر والحبشة والبحرين.

– ازدهرت الحركة التعليمية بالمدينة في هذه الفترة، وشملت تعليم الصغار في الكتاتيب التي أشرف عليها معلمون أكفاء، وتعليم الكبار في المسجد النبوي على يد الصحابة الذين كانت لهم فيه حلقات تدريس مختلف العلوم من فقه، وحديث، وتفسير، وفرائض، وشعر، ومغازي، وقد أثمرت هذه الجهود المبذولة في الثلث الأخير من القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي ببروز فقهاء المدينة السبعة مثل سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير.

– لم ينحصر التعليم في المسجد والكتاتيب بل تعدّاه إلى بيوت الصحابة وأمهات المؤمنين، ومجلس أمير المدينة، ومجلس أشراف قريش، لتعمّ الفائدة دون تمييز على أساس الجنس أو العمر.

– واكب ازدهار حركة التعليم بالمدينة حركة التدوين التي اتخذت طابعاً رسمياً – إلى حدّ ما– حين أشرف عليها الأمير بتدوينه الحديث والفقه عن الصحابة كأبي هريرة وزيد بن ثابت رضي الله عنهما، يُضاف إلى ذلك المبادرات الفردية في علم السير والمغازي الذي يُعدّ سكان المدينة رُوّاده؛ إذ كان لهم اهتمام كبير بهذا العلم، فبرعوا فيه وألّفوا في موضوعاته.

– اشتهرت المدينة بالعلم والعلماء، فقصدها الطلاب من بقاع العالم الإسلامي، نظراً لأن اجتماع كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها، فتزاحموا على أبواب بيوتهم وحلقاتهم التدريسية، ودوّنوا علمهم ثم نشروه في الأمصار الإسلامية، وعلى رأس هؤلاء العلماء أبو هريرة وزيد بن ثابت وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعائشة أم المؤمنين رضوان الله عليهم.

– عرفت الحركة الأدبية نشاطاً كبيرا، وحظي الشعر فيها بحصّة الأسد؛ فقد عاش في المدينة مجموعة من كبار شعراء العصر الأموي كالفرزدق وابن قيس الرقيات وغيرهم، وزارها شعراء من العراق والشام وبادية الحجاز مثل جميل بن معمر، وقيس بن ذريح.

– غلب الطابع الغزلي على شعر سكان المدينة؛ إذ لم يهتموا كثيرا بالمدح والهجاء لأنه لم توجد بينهم تلك التيارات السياسية المتنافسة كما هو الحال في العراق، وكان غزلهم عفيفاً مُتماشيا مع الشرع والآداب العامة.

– ربطت الأمير وهؤلاء الشعراء علاقة متوتّرة –عموماً–، مردّها تصرفاتهم المنحرفة من شرب الخمر والشعر الفاحش، مما اضطره إلى استخدام القوة معهم بنفيهم من المدينة أو تطبيق حدود الله عليهم.

– عرفت المدينة في هذه الفترة عدّة منجزات عمرانية كان لها الأثر الكبير في حياة سكانها، مثل العين الزرقاء التي وفّرت عليهم عناء جلب المياه من الآبار البعيدة عن منازلهم، فصار الماء يمر عليهم في قناة أرضية، واستمر هذا الإنجاز الكبير حتى العهد العثماني؛ مما يدل على أهميته.

– تنوّعت المنشآت العمرانية المنجزة؛ إذ شملت منشآت دينية كالمقصورة في المسجد، واقتصادية كعيون الماء ودكاكين السوق، واجتماعية كتوسعة المقبرة، وعسكرية كالحصون، مما مهّد لعصر جديد في عمران المدينة جعلها أكثر تمدّناً.

– أكّدت هذه الدراسة أن الفتنة الكبرى ما هي إلا اختلاف في وُجهات نظرٍ واجتهادات شخصية لتحقيق المصلحة العامة للمسلمين، دون أي حسابات سياسية ضيّقة، ولم ترتق إلى درجة البغض والحقد والكراهية، وشلال الدماء الذي صوّرته لنا بعض الروايات التاريخية؛ إذ سرعان ما عادت الأمور إلى مجاريها مع تولّي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه الخلافة، فكانت فترة حكمه فترة استقرار وأمن وطمأنينة، في غياب مظاهر التّكفير والتعصّب التي برزت في عصور لاحقة مع نشوء المذاهب والفرق الإسلامية.

– إن هذه الدراسة مُساهمة في تاريخ المدينة الطويل والحافل بالأحداث، تُسلّط الضوء على إحدى فتراته وهي ولاية مروان بن الحكم، وفي نفس الوقت لَبِنةٌ تحتاج إلى لَبِناتٍ أخرى لإتمام هذا الصرح العظيم في تاريخ أُمّتنا الإسلامية.

الملاحـــــــــــــق

الملحق رقم01: خريطة أثرية للمدينة في العصر الأموي.

الملحق رقم02: الأقسام الإدارية التابعة للمدينة خلال ولاية مروان بن الحكم.

الملحق رقم03: رسم تقريبي لمجرى العين الزرقاء ومناهلها.

الملحق رقم04: رسم تقريبي للبلاط حول المسجد النبوي.

الملحق رقم05: رسم تقريبي للمنشآت العمرانية المُنجزة خلال ولاية مروان بن الحكم.

الملحق رقم06: أطلال قصر سعيد بن العاص رضي الله عنه في منطقة العقيق.

الملحق رقم07: خطبة الأمير مروان بن الحكم في أهل المدينة لمبايعة يزيد بن معاوية بولاية العهد.

الملحق رقم01: خريطة أثرية للمدينة في العصر الأموي.

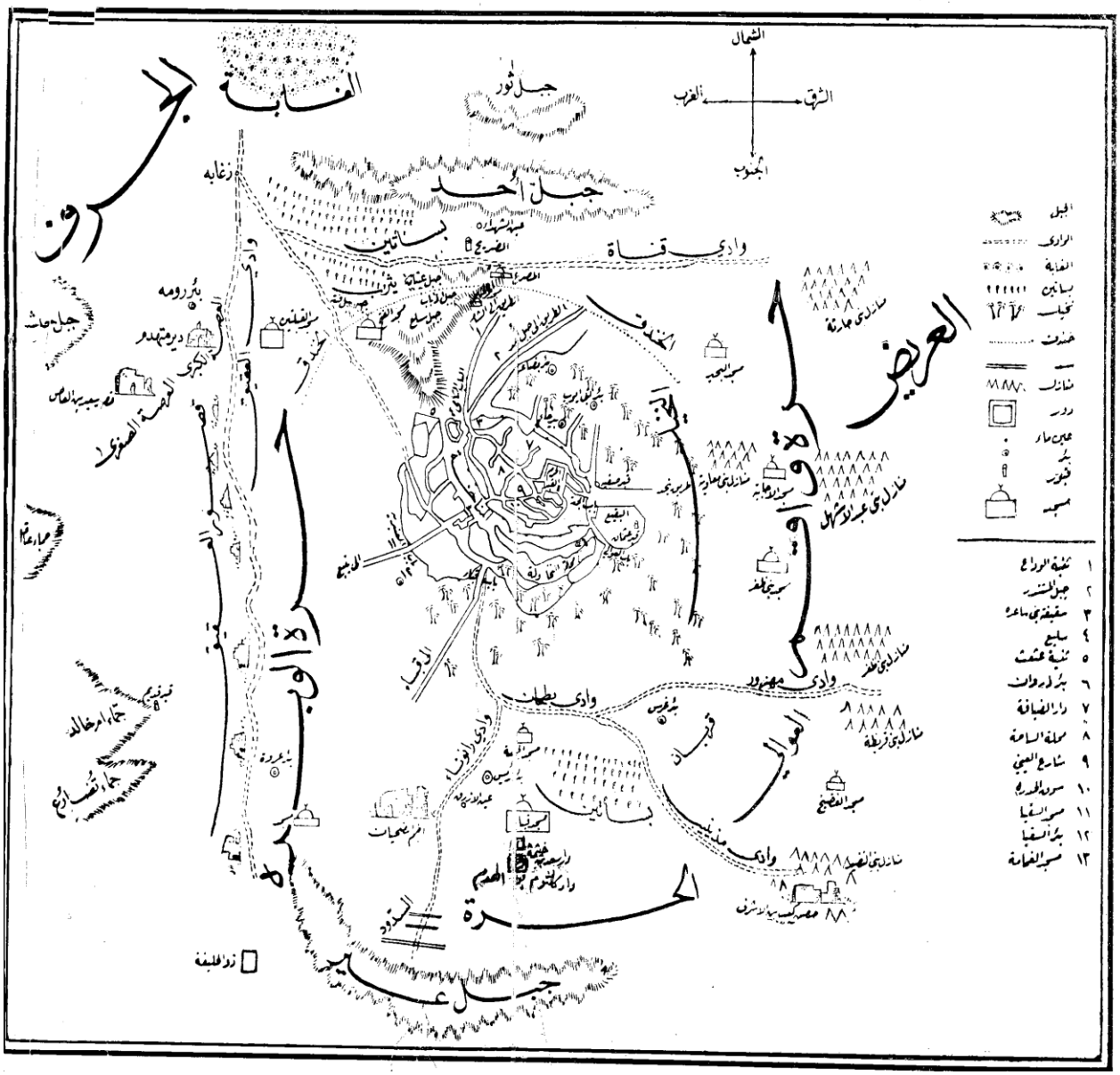

الأنصاري، آثار المدينة، ص272.

الملحق رقم02: الأقسام الإدارية التابعة للمدينة خلال ولاية مروان بن الحكم.

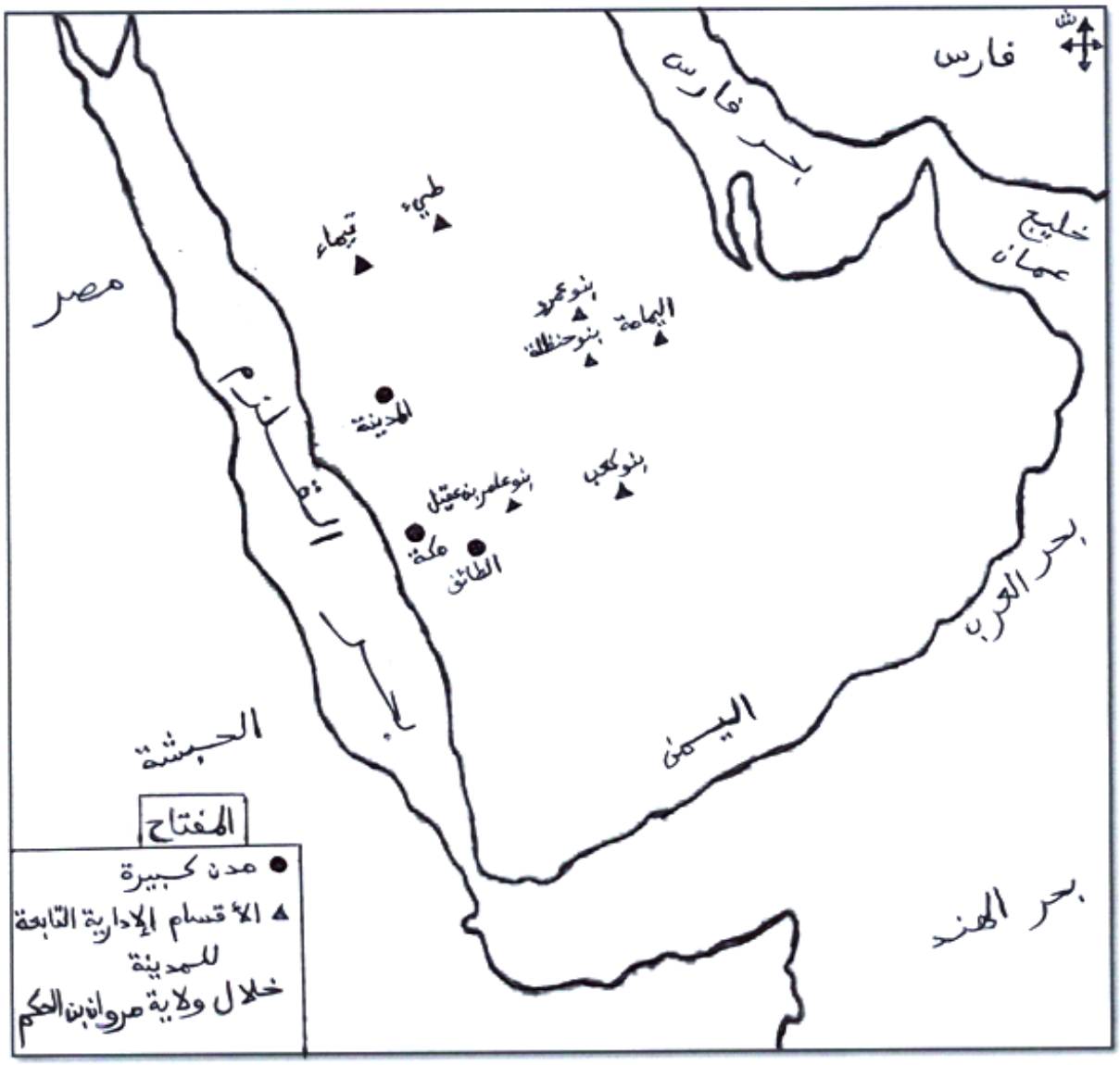

الندوي أبو الحسن علي، السيرة النبوية، ط8، دار الشروق، جدة–المملكة العربية السعودية، 1989، ص193 – بتصرّف–

الملحق رقم03: رسم تقريبي لمجرى العين الزرقاء ومناهلها.

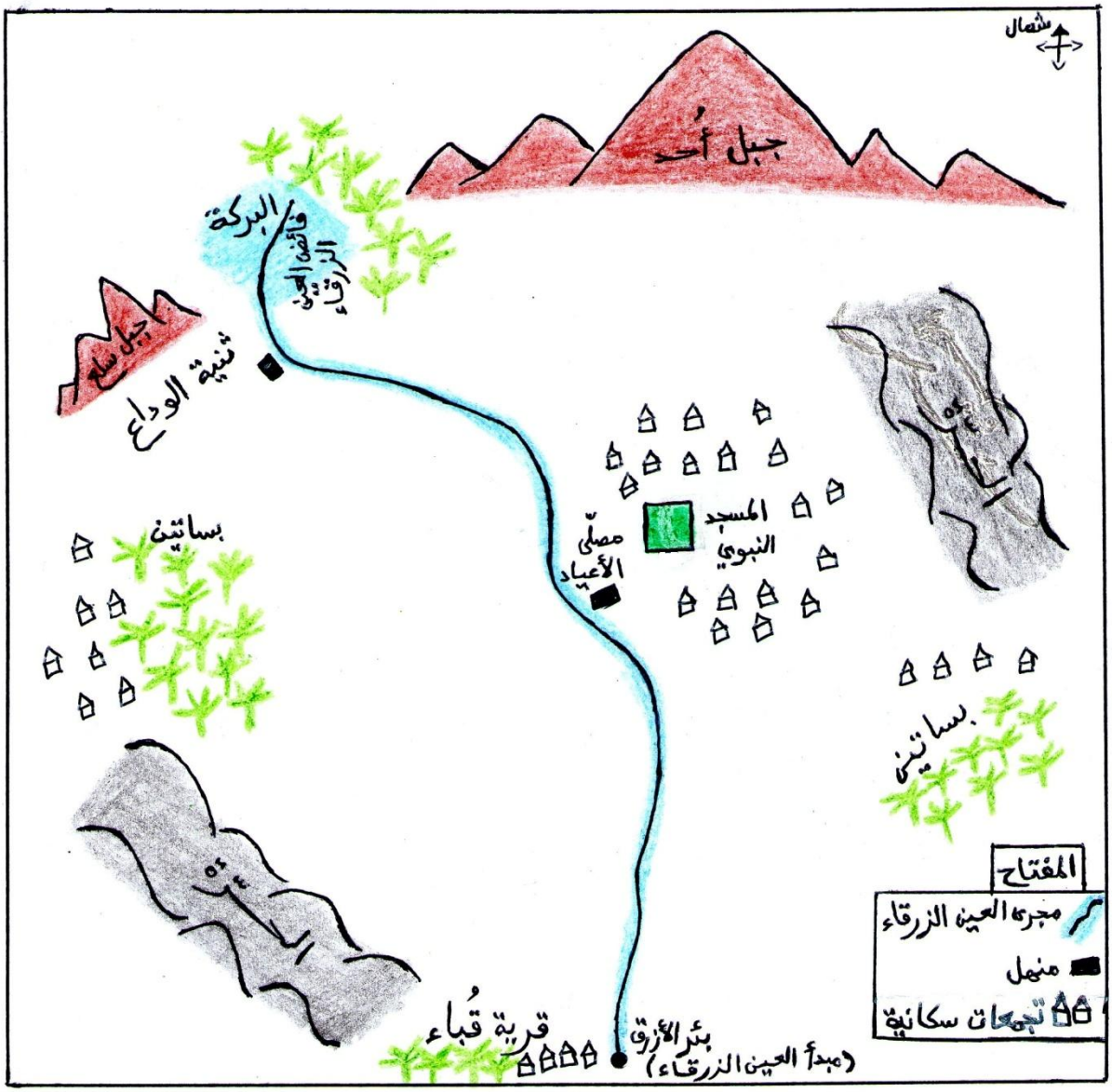

الخياري، المرجع السابق، ص57 – بتصرّف–

الملحق رقم04: رسم تقريبي للبلاط حول المسجد النبوي.

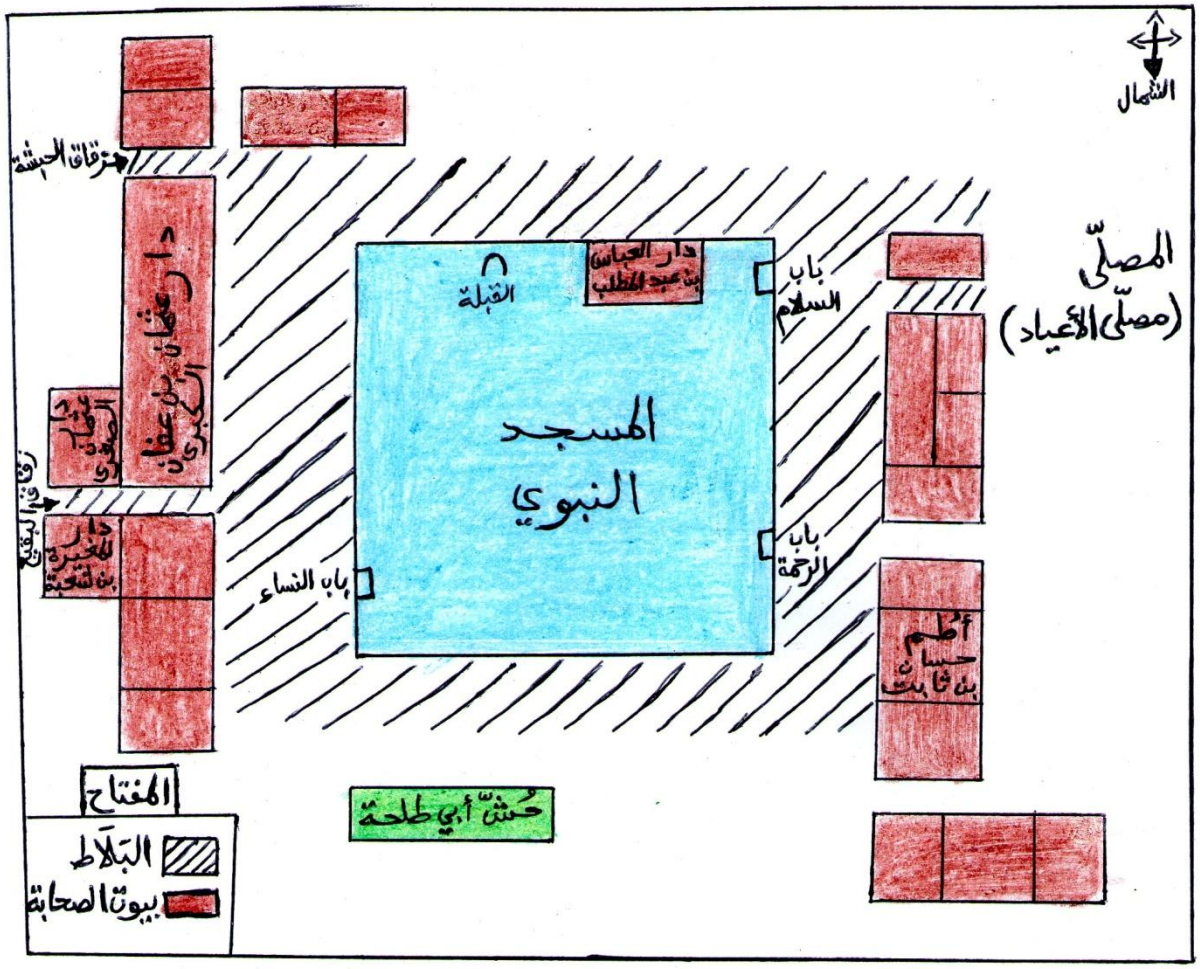

الرسم من إنجاز الباحث. اعتمدت في تحديد بيوت الصحابة رضي الله عنهم على كتاب: عبد الغني محمد إلياس، بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف ، ط4، د. د. ن، المدينة المنورة–المملكة العربية السعودية، 1999، ص60.

الملحق رقم05: رسم تقريبي للمنشآت العمرانية المُنجزة خلال ولاية مروان بن الحكم.

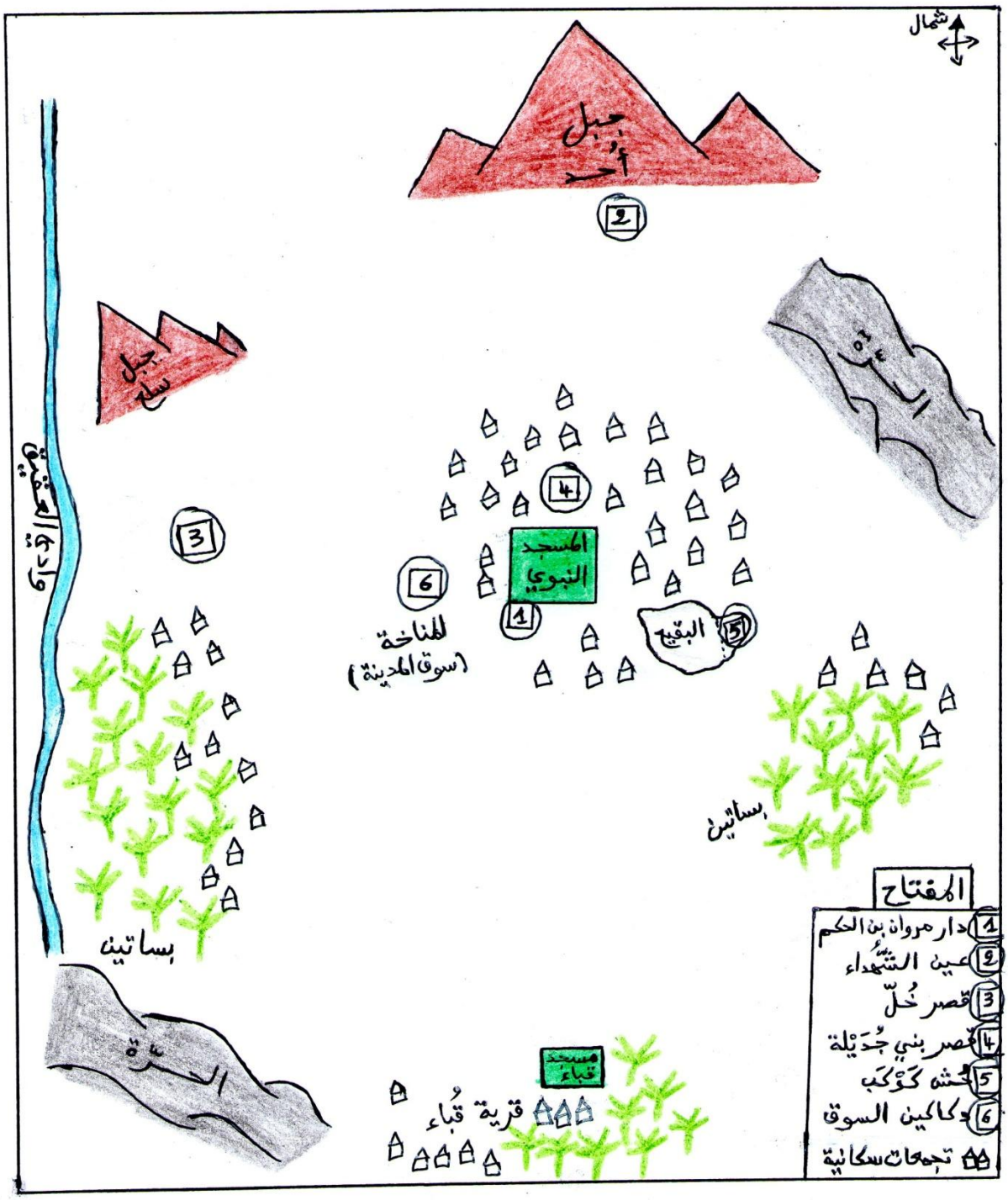

الرسم من إنجاز الباحث.

الملحق رقم 06: أطلال قصر سعيد بن العاص رضي الله عنه في منطقة العقيق.

كعكي، عبد العزيز بن عبد الرحمن بن إبراهيم، معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1998، ج2، ص129.

الملحق رقم07: خُطبة الأمير مروان بن الحكم في أهل المدينة لمبايعة يزيد بن معاوية بولاية العهد.

((... أيها الناس ! إن أمير المؤمنين قد كبر سنه، ورق جلده وعظمه، وخشي الفتنة من بعده، وقد أراه الله رأياً حسناً، وقد أراد أن يختار لكم ولي عهد يكون من بعده لكم مفزعاً، يجمع به الله الألفة ويحقن به الدماء، وأراد أن يكون ذلك عن مشورة منكم وتراض، فماذا تقولون؟ فقال الناس من كل جانب: إنا لا نكره ذلك إذا كان لله فيه رضا. فقال مروان: إنه قد اختار لكم الرضا الذي يسير فيكم بسيرة الخلفاء الراشديين المهديين وهو ابنه يزيد)).

ابن أعثم، المصدر السابق، ج4، ص335.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

القرآن الكريم رواية ورش بالخط المغربي، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1931.

1- ابن الأثير، علي بن محمد (ت 630هـ/1232م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994.

2-----، الكامل في التاريخ ، تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.

3- ابن أصبغ، عرام (ت 275هـ/888م)، أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة أمين عبد الرحمن، القاهرة، 1953.

4- الأصفهاني، علي بن الحسين (ت 356هـ/976م)، الأغاني، تحقيق إحسان عباس وآخرون، ط3، دار صادر، بيروت، 2008.

5- ابن أعثم، أحمد (ت 314هـ/ 926م)، كتاب الفتوح، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، بيروت، 1991.

6- الآمدي، الحسن بن بشر (ت 370هـ/980م)، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، تحقيق ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، 1991.

7- ابن أنس مالك (ت 179هـ/795م)، الموطأ، تحقيق أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي السلفي، مجموعة الفرقان التجارية، دبي-الإمارات، 2003.

8- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت 256هـ/870م)، التاريخ الصغير ، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت، 1986.

9-----، صحيح البخاري، تحقيق أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، 1998.

10- البغدادي، أحمد بن علي (ت 463هـ/1071م)، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السماع، تحقيق محمد عجاج الخطيب، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.

11- البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت 1093هـ/1682م)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997.

12- ابن بكار، الزبير (ت 256هـ/870م)، الأخبار الموفقيات، تحقيق سامي مكي العاني، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1996.

13-----، جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق عباس هاني الجراخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010.

14- البلاذري، أحمد بن يحي (ت279هـ/892م)، جُمل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت، 1996.

15-----، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987.

16- البيهقي، أحمد بن الحسين (ت 458هـ/1066م)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988.

17- التبريزي، يحي بن علي (ت 502هـ/1108م)، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، تحقيق غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000.

18- الترمذي، محمد بن عيسى (ت 279هـ/892م)، سنن الترمذي، تحقيق صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، 2005.

19- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت 728هـ/1328م)، مجموعة الفتاوى، تحقيق عامر الجزار وأنور الباز، ط3، دار الوفاء، المنصورة-مصر، 2005.

20-----، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، تحقيق محمد رشاد سالم، نشر جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1986.

21- الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ت 429هـ/1038م)، تحفة الوزراء، تحقيق حبيب علي الراوي وابتسام مرهون الصفار، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2006.

22-----، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1985.

23- الجاحظ، عمرو بن بحر (ت 255هـ/868م)، البرصان والعرجان والعميان والحولان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، 1990.

24- الجهشياري، محمد بن عبدوس(331هـ/941م)، الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، القاهرة، 1938.

25- الحاكم، محمد بن عبد الله (ت 405هـ/941م)، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

26- ابن حبيب، محمد (ت 245هـ/859م)، أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.

27-----، المحبر، تحقيق إيلزه ليختن شتيتر، دار الأفاق الجديدة، بيروت، د. ت. ن.

28-----، المنمق في أخبار قريش ، تحقيق خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، 1985.

29- ابن حجر، أحمد بن علي (ت 852هـ/1449م)، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

30-----، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تحقيق عبد القادر شيبة الحمد، طُبع على نفقة الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود، الرياض، 2001.

31- ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله (ت 656هـ/1258م)، شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد إبراهيم، دار الكتاب العربي، بغداد، 2007.

32- الحربي، إبراهيم بن إسحاق (ت 285هـ/898م)، المناسك وأماكن طرق الحج معالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، 1969.

33- ابن حزم، علي بن أحمد (ت 456هـ/1063م)، أصحاب الفتيا من الصحابة والتابعين ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا ، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

34-----، جمهرة أنساب العرب، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، 1948.

35-----، رسائل ابن حزم الأندلسي ، تحقيق إحسان عباس، ط 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987.

36- ابن حمدون، محمد بن الحسن (ت562هـ/1167م)، التذكرة الحمدونية، تحقيق إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، 1996.

37- الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ/1229م)، معجم البلدان، تحقيق لجنة دار صادر، دار صادر، بيروت، 1977.

38- ابن حنبل، أحمد (ت 241هـ/855م)، العلل ومعرفة الرجال ، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، ط2، دار الخاني، الرياض، 2001.

39-----، المسند، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008.

40- الخلّال، أحمد بن محمد(ت311هـ/924م)، السُّنّة، تحقيق عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، 1989.

41- ابن خلدون، عبد الرحمن (ت 808هـ/1406م)، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 2001.

42- ابن خياط، خليفة (ت 240هـ/854م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

43- أبو داود، سليمان بن الأشعث (ت 275هـ/889م)، سُنن أبي داود ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، دمشق، 2009.

44- ابن أبي داود، عبد الله بن سليمان (ت 316هـ/928م)، المصاحف، تحقيق محب الدين عبد السبحان واعظ، ط2، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2002.

45- ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد (ت 281هـ/894م)، الإشراف في منازل الأشراف ، تحقيق نجم عبد الرحمان خلف، مكتبة الرشد، الرياض، 1990.

46- الدينوري، أحمد بن داود (ت 281هـ/894م)، الأخبار الطوال ، تحقيق محمد سعيد الرافع، مطبعة السعادة، القاهرة، 1912.

47- الذهبي، محمد بن أحمد (ت 748هـ/1374م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1989.

48-----، سير أعلام النبلاء ، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982.

49-----، العبر في خبر من غبر ، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985.

50- الراوندي، فضل الله بن علي (ت 571هـ/1176م)، النّوادر، تحقيق سعيد رضا علي العسكري، دار الحديث الثقافية، قُم-إيران، 1997.

51- ابن رسته، أحمد بن عمر (توفي في ق 4هـ/ق10م)، الأعلاق النفيسة ، تحقيق دي غويا، مطبعة بريل، ليدن، 1892.

52- ابن رشد، محمد بن أحمد (ت 520هـ/1126م)، البيان والتحصيل والشرح والتعليل في مسائل المستخرجة.

- الجزء1: تحقيق محمد حجي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.
- الجزء16: تحقيق أحمد الحبابي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.

53- ابن زبالة، محمد بن الحسن (ت 199هـ/815م)، أخبار المدينة، تحقيق صلاح عبد العزيز زين سلامة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، المدينة المنورة-المملكة العربية السعودية، 2003.

54- الزبيري، المصعب بن عبد الله (ت 236هـ/850م)، نسب قريش ، تحقيق ليفي بروفنسال، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1982.

55- الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق (ت 340هـ/950م)، أمالي الزجاجي، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، دار الجيل، بيروت، 1987.

56- أبو زُرعة، عبد الرحمن بن عمرو (ت 281هـ/894م)، تاريخ أبي زرعة الدمشقي ، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.

57- ابن زنجويه، حميد (ت 251هـ/864م)، الأموال، تحقيق شاكر ذيب فياض، مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1986.

58- ابن أبي زيد ، عبد الله بن عبد الرحمن (ت 386هـ/926م)، النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات ، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.

59- سحنون، عبد السلام بن سعيد (ت 240هـ/854م)، المدونة الكبرى، تحقيق لجنة دار الكتب العلمية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994.

60- ابن سعد، محمد(ت 230هـ/844م)، كتاب الطبقات الكبير، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001.

61- ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت 224هـ/838م)، الأموال، تحقيق أبو أنس سيد بن رجب، دار الفضيلة، الرياض، 2007.

62- السمهودي، علي بن عبد الله (ت911هـ/1505م)، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق قاسم السامرائي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي فرع موسوعة مكة والمدينة المنورة، جدة- المملكة العربية السعودية، 2001.

63- ابن شبه، عمر (ت262هـ/876م)، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق محمد فهيم شلتوت، طُبع على نفقة السيد حبيب محمود أحمد، جدة - المملكة العربية السعودية، 1979.

64- ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد (ت 235هـ/850م)، المصنف، تحقيق حمد بن عبد الله الجمعة ومحمد بن إبراهيم اللحيدان، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، 2004.

65- الصفدي، خليل بن أيبك (764هـ/1364م)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000.

66- الضبي، العباس بن بكار(ت 222هـ/837م)، أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان، تحقيق سينة الشهابي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983.

67- الطبراني، سليمان بن أحمد (ت 360هـ/971م)، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، 1995.

68- الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ/923م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1970.

69- طيفور، أحمد بن أبي طاهر (ت 280هـ/893م)، بلاغات النساء، تحقيق أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، 1908.

70- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (ت 463هـ/1070م)، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، دار الوعي، حلب-القاهرة، 1993.

71-----، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1992.

72-----، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1985.

73- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (ت328هـ/939م)، العقد الفريد.

- الجزء1: تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.
- الجزءان5 و6: تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.

74- ابن عذارى، أحمد بن محمد (توفي بعد 713هـ/1313م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال و ج. س. كولان، ط 3، دار الثقافة، بيروت، 1983.

75- ابن العربي، محمد بن عبد الله (ت 543هـ/1148م)، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي، تحقيق مصطفى أبو المعاطي، دار الغد الجديد، القاهرة، 2008.

76- ابن عساكر، علي بن الحسن (ت 571هـ/1175م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت.

- الأجزاء 12 و13 و14 و19 و20 و21 و24 و27 و28: 1995.
- الأجزاء 31 و32 و33 و34 و37 و39 و40 و41: 1996.
- الأجزاء 48 و49 و55 و57 و58 و59: 1997.
- الجزءان 62 و70: 1998.

77- العسكري، الحسن بن عبد الله (ت 395هـ/1005م)، الأوائل، تحقيق محمد السيد الوكيل، دار البشير، طنطا-مصر، 1987.

78- العياشي، عبد الله بن محمد (ت 1090هـ/1679م)، الرحلة العياشية، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي، أبو ظبي، 2006.

79- عياض، بن موسى (ت 544هـ/1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك.

- الجزء1: تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، د. ت. ن.
- الجزء2: تحقيق عبد القادر الصحراوي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، د. ت. ن.

80- الغندجاني، الحسن بن أحمد (توفي بعد 430هـ/1038م)، فرحة الأديب، تحقيق محمد علي سلطاني، دار النبراس، دمشق، 1981.

81- الفاسي، محمد بن أحمد (ت 832هـ/1429م)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق فؤاد سيد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986.

82- الفسوي، يعقوب بن سفيان (ت 277هـ/891م)، المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، مكتبة الدار، المدينة المنورة، 1990.

83- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت 817هـ/1415م)، المغانم المطابة في معالم طابة، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، 1969.

84- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت 276هـ/889م)، الإمامة والسياسة، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، بيروت، 1990.

85-----، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط 2، دار الحديث، القاهرة، 2003.

86-----، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1981.

87- كبريت، محمد (ت 1070هـ/1660م)، الجواهر الثمينة في محاسن المدينة ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

88- ابن كثير، إسماعيل بن عمر(ت 774هـ/1373م)، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الجيزة- مصر، 1998.

89-----، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق سامي بن محمد السلامة، ط 2، دار طيبة، الرياض، 1999.

90- الكندي، محمد بن يوسف (ت 350هـ/961م)، الولاة والقضاة، تحقيق رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908.

91- المالكي، عبد الله بن محمد (توفي بعد 460هـ/1077م)، رياض النفوس في طبقات علماء إفريقية وزهادهم ونسّاكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، تحقيق بشير البكوش، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994.

92- الماوردي، علي بن محمد (ت 450هـ/1058م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، تحقيق سمير مصطفى رباب، المكتبة العصرية، بيروت، 2010.

93- المبرّد، محمد بن يزيد (ت 285هـ/898م)، الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق عبد الحميد هنداوي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، 1998.

94- ابن المبرد، يوسف بن حسن (ت 909هـ/1503م)، نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر، تحقيق محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت، 1994.

95- المجلسي، محمد باقر (ت 1111هـ/1699م)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد الباقر البهبودي، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1983.

96- مجهول (توفي في القرن 3هـ/9م)، أخبار الدولة العباسية، تحقيق عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت، 1971.

97- المرجاني، عبد الله بن عبد الملك (توفي بعد 770هـ/1369م)، بهجة النفوس والأسرار في تأريخ دار هجرة النبي المختار ، تحقيق محمد عبد الوهاب فضل، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002.

98- المرزباني، محمد بن عمران (ت 384هـ/994م)، أشعار النساء، تحقيق سامي مكي العاني وهلال ناجي، عالم الكتب، بيروت، 1995.

99- المزِّي، يوسف بن عبد الرحمن (ت 742هـ/1341م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992.

100- المسعودي، علي بن الحسين (ت 346هـ/957م)، التنبيه والإشراف، تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، 1938.

101-----، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، 2005.

102- مسلم، بن الحجاج (ت 261هـ/875م)، صحيح مسلم، تحقيق فريق بيت الأفكار الدولية، بيت الأفكار الدولية، الرياض، 1998.

103- المطري، محمد بن أحمد (ت 741هـ/1341م)، التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، تحقيق سليمان الرحيلي، دارة عبد الملك عبد العزيز، الرياض، 2005.

104- مقاتل، بن سليمان (ت 150هـ/767م)، تفسير مقاتل بن سليمان ، تحقيق عبد الله محمود شحاتة، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 2002.

105- المقدسي، المطهر بن طاهر (توفي بعد355هـ/966م)، البدء والتاريخ، تحقيق كلمان هوار، نشره إرنست لورو، باريس، 1919.

106- المقريزي، أحمد بن علي (ت 845هـ/1441م)، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1988.

107- ابن منده، محمد بن إسحاق(ت 395هـ/1005م)، معرفة الصحابة، تحقيق عامر حسن صبري، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، العين- الإمارات، 2005.

108- ابن موسى، إسماعيل (توفي في القرن 3هـ/9م)، الجعفريات، تحقيق مشتاق صالح المظفر، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء-العراق، 2013.

109- ابن النجار، محمد بن محمود (ت 643هـ/1245م)، الدرة الثمينة في أخبار المدينة، تحقيق عبد الرزاق المهدي، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، 2003.

110- النسائي، أحمد بن شعيب (ت 303هـ/915م)، سُنن النسائي، تحقيق صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، 2005.

111- النهرواني، المعافى بن زكريا (ت 390هـ/1000م)، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تحقيق محمد مرسي الخولي، عالم الكتب، بيروت، 1993.

112- النويري، أحمد بن عبد الوهاب(733هـ/1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.

113- ابن هشام، عبد الملك (ت 213هـ/828م)، السيرة النبوية، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1990.

114- الواقدي، محمد بن عمر (ت 207هـ/823م)، فتوح الشام، تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

115-----، المغازي، تحقيق مارسدن جونس، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1984.

116- وكيع، محمد بن خلف (ت 306هـ/919م)، أخبار القضاة، تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1947.

117- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت 292هـ/904م)، تاريخ اليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2010.

118- أبو يعلى، أحمد بن علي (ت 307هـ/920م)، مسند أبي يعلى الموصلي ، تحقيق إرشاد الحق الأثري، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة-المملكة العربية السعودية، 1988.

ثانيا: المراجع

1- الأعظمي محمد مصطفى، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ، المكتب الإسلامي، بيروت، 1980.

2- الأفغاني سعيد، الإسلام والمرأة، ط3، دار الفكر، بيروت، 1970.

3- أمين أحمد، فجر الإسلام، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت، 1969.

4- الأنصاري عبد الأول بن حماد، المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري، د. د.ن، المدينة المنورة-المملكة العربية السعودية، 2002.

5- الأنصاري عبد القدوس، آثار المدينة المنورة ، ط3، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، 1973.

6- الأنصاري ناجي محمد حسن عبد القادر، التعليم في المدينة المنورة من العام الهجري الأول إلى 1412هـ، دار المنار، القاهرة، 1993.

7- بابتي عزيزة فوال، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، دار الجيل، بيروت، 1995.

8- البتنوني، محمد لبيب، الرحلة الحجازية، ط2، مطبعة الجمالية، القاهرة، 1911.

9- بدر عبد الباسط، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، د. د. ن، المدينة المنورة، 1993.

10- البدراني جاسم محمد جاسم، الوفادات على الخلفاء الأمويين ، دار الكتاب الثقافي، إربد-الأردن، 2005.

11- البرادعي أحمد بن محمد صالح، المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي ، د. د. ن ، المدينة المنورة، 1972.

12- البرزنجي جعفر بن إسماعيل(ت 1317هـ/1899م)، نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين، المطبعة الجمالية، القاهرة، 1914.

13- بروكلمان كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968.

14- بكار يوسف حسين، شعر زياد الأعجم، دار المسيرة، بيروت، 1983.

15- بلول مختار محمد، المدينة المنورة درة المدائن، دار بلول، الرياض، 2000.

16- البليهشي محمد صالح، المدينة المنورة، ط2، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، 1988.

17-----، المدينة اليوم - المدينة المنورة في بداية القرن الخامس عشر 1401هـ-، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، المدينة المنورة، 1982.

18- بيضون إبراهيم، الدولة الأموية والمعارضة، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1985.

19-----، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، دار النهضة العربية، بيروت، 1979.

20- جبور جبرائيل سليمان، عمر بن أبي ربيعة، منشورات كلية العلوم والآداب - الجامعة الأمريكية، بيروت، 1935.

21- الجبوري يحي، شعر عبد الله بن الزبير الأسدي، دار الحرية، بغداد، 1974.

22-----، شعر هدبة بن الخشرم العذري، ط2، دار القلم، الكويت، 1986.

23- جمعة علي محمد، المكاييل والموازين الشرعية، ط2، القدس للنشر، القاهرة، 2001.

24- حافظ عبد السلام هاشم، المدينة المنورة في التاريخ، ط3، نادي المدينة المنورة الأدبي، المدينة المنورة-المملكة العربية السعودية، 1982.

25- حافظ علي، فصول من تاريخ المدينة المنورة، ط3، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، جدّة- المملكة العربية السعودية، 1996.

26- حسن محمد نبيلة، في تاريخ الدولة العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية-مصر، 1993.

27- بن حسين بثينة، الدولة الأموية ومقوماتها الإيديولوجية والاجتماعية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سوسة- تونس، د. ت. ن.

28-----، الفتنة الثانية في عهد الخليفة يزيد بن معاوية(60-64هـ/680-684م)، منشورات الجمل، بيروت، 2013.

29- حسين طه، حديث الأربعاء، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2014.

30- حمدي شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، 2001.

31- الحميداني نمر بن محمد، ولاية الشرطة في الإسلام دراسة فقهية - تطبيقية، ط2، دار عالم الكتب، الرياض، 1994.

32- الحميدي عبد العزيز بن عبد الله، التاريخ الإسلامي مواقف وعبر- المواقف الأخلاق والعلمية، دار الدعوة، الإسكندرية- مصر، 1998.

33- الخطيب محمد عجاج، السنة قبل التدوين، ط2، مكتبة وهبة، القاهرة، 1988.

34- خفاجي محمد عبد المنعم، الحياة الأدبية عصر بني أمية، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1987.

35- الخلف عبد الله بن سالم، مجتمع الحجاز في العصر الأموي بين الآثار الأدبية والمصادر التاريخية، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، المدينة المنورة، 2001.

36- خماش نجدة، الإدارة في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق، 1980.

37- الخياري أحمد ياسين أحمد، التحفة الشماء في تاريخ العين الزرقاء ، ط2، دار العلم، جدة - المملكة العربية السعودية، 1992.

38- الدهاس فواز علي بن جنيدب، مروان بن الحكم مؤسس الفرع المرواني في الدولة الأموية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2004.

39- بن دهيش عبد اللطيف عبد الله، الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما ، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، 1986.

40- الراوي محمد، المدينة المنورة في عهد الرسالة من حديث القرآن الكريم وبيان السنة المطهرة، ط2، مكتبة العبيكان، الرياض، 2006.

41- الرفاعي صالح بن حميد بن سعيد، الأحاديث الواردة في فضائل المدينة جمعا ودراسة، ط3، دار الخضيري، د. م. ن، 1997.

42- رفعت باشا إبراهيم، مرآة الحرمين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1925.

43- الريس ضياء الدين، عبد الملك بن مروان موحد الدولة العربية ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، د. ت. ن.

44- أبو زهرة محمد، مالك حياته وعصره – آراؤه وفقهه ، دار الفكر العربي، القاهرة، 1947.

45- أبو زيد بكر بن عبد الله، خصائص جزيرة العرب، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، 1999.

46-----، طبقات النسابين، دار الرشد، الرياض، 1987.

47- سزكين فؤاد، تاريخ التراث العربي، ترجمة محمود فهمي حجازي، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1991.

48- سلامة محمد يسري، مصادر السيرة النبوية ومقدمة في تدوين السيرة ، دار الجبرتي، القاهرة، 2010.

49- شاكر محمود، التاريخ الإسلامي العهد الأموي ، ط7، المكتب الإسلامي، بيروت، 2000.

50- شرّاب محمد محمد حسن، أخبار الوادي المبارك العقيق ، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، 1985.

51-----، المدينة النبوية في فجر الإسلام والعصر الراشدي، دار القلم، دمشق، 1994.

52- الشيباني محمد بن عبد الهادي بن رزّان، مواقف المعارضة في عهد يزيد بن معاوية (60-64هـ)، ط2، دار طيبة، الرياض، 2009.

53- آل الشيخ نورة بنت عبد الملك، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام، تهامة للنشر، جدة - المملكة العربية السعودية، د. ت. ن.

54- الصلابي علي محمد، حقيقة الخلاف بين الصحابة في معركتي الجمل وصفين وقضية التحكيم، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2007.

55-----، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار ، ط2، دار المعرفة، بيروت، 2008.

56- الصمد واضح، ديوان ليلى الأخيلية، ط2، دار صادر، بيروت، 2003.

57- ضيف شوقي، تاريخ الأدب العربي، ط20، دار المعارف، القاهرة، 2002.

58-----، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ط8، دار المعارف، القاهرة، 1987.

59- طلس محمد أسعد، التربية والتعليم في الإسلام، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2014.

60- العاني سامي مكي، شعر عبد الرحمن بن حسان الأنصاري ، مطبعة المعارف، بغداد، 1971.

61- عباس إحسان، ديوان القتال الكلابي، دار الثقافة، بيروت، 1989.

62- عباس صالح أحمد، اليمين واليسار في الإسلام ، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1973.

63- عبد الدائم عبد الله، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1984.

64- عبد الغني عارف أحمد، تاريخ أمراء المدينة المنورة 1هـ-1417هـ، دار كنان، دمشق، 1996.

65- عبد الغني محمد إلياس، بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف ، ط4، نشر المؤلف، المدينة المنورة، 1999.

66- العش يوسف، الدولة الأموية، ط2، دار الفكر، دمشق، 1985.

67- علاونة شريف، شعر أرطأة بن سهية المري، دار المناهج، عمّان، 2006.

68- العلي صالح أحمد، الحجاز في صدر الإسلام دراسات في أحواله العمرانية والإدارية ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1990.

69- كبير علال خالد، بحوث حول الخلافة والفتنة الكبرى، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2009.

70- الكتاني محمد عبد الحي، التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية ، تحقيق عبد الله الخالدي، ط2، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، د. ت. ن.

71- كعكي عبد العزيز بن عبد الرحمن بن إبراهيم، معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1998.

72- مدني أمين، التاريخ العربي ومصادره، ط2، دار القوافل، الرياض، 2008.

73- المصطاوي عبد الرحمن، ديوان قيس بن ذريح، ط2، دار المعرفة، بيروت، 2004.

74- الموسى سعد بن موسى، تاريخ الحياة العلمية في المدينة النبوية خلال القرن الثاني الهجري، دار القاسم، الرياض، 2007.

75- الندوي أبو الحسن علي، السيرة النبوية، ط 8، دار الشروق، جدة-المملكة العربية السعودية، 1989.

76- نصار حسين، ديوان جميل شعر الحب العذري، مكتبة مصر، القاهرة، 1979.

77- هوروفتس يوسف، المغازي الأولى ومؤلفوها، ترجمة حسين نصار، ط 2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001.

78- هيكل محمد حسين، في منزل الوحي، ط8، دار المعارف، القاهرة، 1986.

ثالثا: الرسائل الجامعية

1- الرميح طارق بن عبد الله بن محمد، مواقف ولاة بني أمية من الاتجاهات العلمية والفكرية في العصر الأموي(41-132هـ/660-749م)، رسالة دكتوراه، إشراف بسام بن عبد العزيز بن محمد الخراشي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 2014-2015.

2- الزمزمي سلطان محمد صالح محمد، عمارة العين الزرقاء في المدينة المنورة منذ صدر الإسلام وحتى نهاية العصر العثماني، رسالة ماجستير، إشراف عادل بن محمد نور غباشي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2004.

3- أبو شبيكة إبراهيم أحمد حسن، خلافة بني أمية عند علي بن الحسين المسعودي 41-132هـ دراسة تاريخية منهجية، رسالة ماجستير، إشراف رياض مصطفى شاهين، الجامعة الإسلامية، غزة- فلسطين، 2007.

4- الصيدلاني سعود بن بنيان بن عواد، الدور التربوي للمسجد النبوي الشريف، رسالة ماجستير، إشراف السعيد محمود السعيد عثمان، جامعة أم القرى، مكة المكرمة-المملكة العربية السعودية، 1997.

5- العاوور صلاح حسن، النظام الإداري في العصر الأموي في المشرق ، رسالة دكتوراه، إشراف ذو الفقار علي ملك، جامعة البنجاب، باكستان، د. ت.

6- النقبي عبد الرحيم عبد الله محمد، التعليم في العصر الأموي (41-132هـ/661-749م)، رسالة دكتوراه، إشراف سلامة محمد البلوي، جامعة الشارقة، الشارقة- الإمارات، 2010.

7- النوافعة عبد الله موسى محمد، المدينة المنورة في العصر الأموي " دراسة اجتماعية اقتصادية ثقافية "، رسالة ماجستير، إشراف صالح خلف الحمارنة، الجامعة الأردنية، عمّان، 2002.

رابعا: الدوريات

1- أمحزون محمد، الحركة العلمية في الحجاز في العهد الأموي ، مجلة البيان، العدد 66، المنتدى الإسلامي، الرياض، 1993.

2- راضي رياض عبد الحسين، الواقع التاريخي للموالي في الدولة الأموية ، مجلة لارك، العدد05، كلية الآداب جامعة واسط، واسط-العراق، 2011.

3- زيود محمد، دراسة تحليلية لموقف الحجاز من خلافة يزيد الأول ، مجلة دراسات تاريخية، العددان61 و62، لجنة كتابة تاريخ العرب جامعة دمشق، دمشق، 1997.

4- عباس عبد الجبار محسن، دور الرقيق في الحياة الاقتصادية في المدينة المنورة في القرن الأول الهجري، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد 4، العدد13، كلية التربية جامعة تكريت، تكريت-العراق، 2012.

5- عبد الباسط محمد حسن، مكانة المرأة في التشريع الإسلامي، مجلة عالم الفكر، المجلد السابع، العدد1، وزارة الإعلام، الكويت، 1976.

6- علي جاسم صكبان، العطاء والرزق في صدر الإسلام ، مجلة كلية التربية للبنات، المجلد20، العدد03، كلية التربية للبنات جامعة بغداد، بغداد، 2009.

7- علي محمد نجاة، المقصورة في المسجد الإسلامي، مجلة الآداب، المجلد2، العدد102، كلية الآداب جامعة بغداد، بغداد، 2012.

8- الفاعوري أمجد ممدوح، نظرة القبائل العربية للموالي في العصر الأموي ، مجلة آداب البصرة، العدد55، كلية الآداب جامعة البصرة، البصرة-العراق، 2011.

9- القيسي نوري حمودي، ديوان مالك بن الريب حياته وشعره ، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد15، الجزء الأول، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1969.

10- محمد رحيم حلو، مجالس الشعر والغناء عند الولاة والعمال العرب خلال العصر الأموي، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، المجلد 8، العدد15، كلية التربية الأساسية جامعة ميسان، ميسان-العراق، 2009.

خامسا: الموسوعات والمعاجم

1- ابن بري، عبد الله (ت 582هـ/1186م)، التنبيه والإيضاح عمّا وقع في الصّحاح ، تحقيق مصطفى حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980.

2- البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ/1094م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، 1951.

3- البلادي عاتق بن غيث، معجم معالم الحجاز ، ط2، دار مكة، مكة المكرمة -المملكة العربية السعودية، 2010.

4- الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/1229م)، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993.

5- رزق عاصم محمد، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000.

6- أبو زيد بكر بن عبد الله، معجم المناهي اللفظية، ط3، دار العاصمة، الرياض، 1996.

7- ابن الفوطي، عبد الرزاق بن أحمد (ت 723هـ/1323م)، مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق محمد الكاظم، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، 1996.

8- مجموعة من المستشرقين، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ وآخرون، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة-الإمارات العربية المتحدة، 1998.

09- المرزباني، محمد بن عمران (ت 384هـ/994م)، معجم الشعراء، تحقيق فاروق اسليم، دار صادر، بيروت، 2005.

10- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711هـ/1370م)، لسان العرب، تحقيق أمين عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999.

الفـــهـــارس

فهرس الأعلام(*)

- أ -

أم أبان بنت عثمان: 26

الأخطل: 67

أرطأة بن سهية: 148

الأرقم بن أبي الأرقم: 122

أروى بنت أويس: 78

أروى بنت الحارث: 152-154

إسماعيل بن هبار: 82

أسماء بنت أبي بكر: 82-130

أسيد بن ظهير: 75

الأفغاني: 97-98

الأنصاري: 156-157-179

- ب -

بثينة: 142

بروكلمان: 100

بسرة بنت صفوان: 138

بشر بن مروان: 28

بكارة الهلالية: 100

أبو بكر الصديق: 16-69-132

أبو بكر بن العربي: 25

البلاذري: 153

- ج -

جابر بن عبد الله: 127-128-137

جبير بن مطعم: 129

جميل بن معمر: 142-146-183

أبو الجهم: 67-129

جواس بن قطبة: 146

- ح -

الحارث بن حاطب: 74

(*) استثنيت مروان بن الحكم من فهرس الأعلام؛ لأنه ذُكر في أغلب صفحات البحث.

حسان بن ثابت: 129-163-176 127
الحسن بن علي: 53-54-55-56 ربعي بن دجاجة: 74
57-59-60-67-90-107-157 ابن رسته: 154
الحسين بن علي: 53-55-56-57 - ز-
59-60-70-107-108-112-119 ابن زبالة: 176
أبو حفصة: 75 زياد الأعجم: 146-148
الحكم بن أبي العاص: 22-160-161 زياد بن أبي سفيان: 102-141
حكيم بن حزام: 123-129 الزمزمي: 153-154-155-157
حمزة بن عبد المطلب: 173-174 زيد بن ثابت: 42-43-45-47-48
حويطب بن عبد العزى: 123-129 49-58-75-77-78-82-102
-خ- 119-124-126-127-131-132
أم خالد فاختة بنت أبي هاشم: 26-34 136-138-139-183
خالد بن يزيد: 34-35-36 زينب بنت عمر: 26
ابن خلدون: 165-150 - س-
الخياري: 156 سام بن نوح: 10
- ر- سبيعة بنت الحارث: 49
رافع: 76 ابن سعد: 4
رافع بن خديج: 45-46-47-48-77 سعد بن أبي وقاص: 47-58-67-81

111-102 الصعبة بنت أبي طلحة: 22

أبو سعيد الخدري: 44-45-48-51 صفوان بن سليم: 121

58-81-124-127 صهيب: 79

سعيد بن زيد: 58-78-102-111 - **ض**-

سعيد بن العاص: 2-56-61-82 الضحاك بن قيس: 32

105-111-141-145-175 - **ط**-

سعيد بن عثمان: 65-70-111-112 أبو طلحة: 163-164-176

سعيد بن المسيب: 138-183 طويس: 92

أم سلمة: 48-50-102-122 -**ع**-

سليمان بن عبد الملك: 27 عائشة أم المؤمنين: 46-50-56-81

السمهودي: 5 90-95-98-102-107-122

أم سنان بنت خيثمة: 99-100 126-127-128-129-130-132

سهل بن أبي حثمة: 76 149-183

سهل بن سعد: 25-138-139 عائشة بنت معاوية: 26

- **ش**- عاتكة بنت يزيد: 34

ابن شبه: 175 أبو العاص بن أمية: 20

- **ص**- العباس بن عبد المطلب: 162-163

صالح أحمد العلي: 5-81 عبد الباسط بدر: 6-172-175

عبد الحكيم حسن إبراهيم: 3
127-128-129-132-135-139
عبد الرحمن بن أبي بكر: 70-71-96
عبد الله بن عمر: 64-70-79-89
عبد الرحمن بن حسان: 142-154
102-107-108-126-127-128
عبد الرحمن بن الحكم: 142-143
135-136-139-149-183
154
عبد الله بن مطيع: 79
عبد الرحمن بن سيحان: 146
عبد الله موسى محمد النوافعة: 3
عبد شمس: 20-34
عبد الله بن نوفل: 78
عبد العزيز بن مروان: 27-33-35
عبد المطلب: 20
36
عبد الملك بن مروان: 4-27-28-32
عبد الله بن جعفر: 66-67-90-106
33-34-35-36-38-59-63-75
عبد الله بن الزبير الأسدي: 147
76-154-162
عبد الله بن الزبير: 21-27-29-30
عبد مناف: 20
31-32-33-41-50-64-66-68
عبيد الله بن زياد: 59
70-111-139
عبيد الله بن قيس الرقيات: 144-183
عبد الله بن سعد بن أبي سرح: 29
أم عثمان آمنة بنت علقمة: 22
عبد الله بن عامر: 65
عثمان بن الحكم: 154
عبد الله بن عباس: 40-48-49-64
عثمان بن عفان: 8-16-20-22-24
66-102-119-120-123-126
25-29-32-38-55-97-132

135-138-161-162-163
166-167-171-177
عثمان بن مظعون: 177
عروة بن الزبير: 130-183
ابن عساكر: 5
عقبة بن عامر: 65
عقيل بن أبي طالب: 129
علي بن الحسين: 59-60-138
علي بن أبي طالب: 16-24-47-55
57-58-60-97-99-100-138
عمر بن الخطاب: 16-24-69-121
132-138-166
عمر بن عبد الرحمن بن عوف: 75
عمر بن عبد العزيز: 27
عمرو بن حزم: 70
- ف -
فاطمة بنت قيس: 51
الفرزدق: 103-141-183
- ق -
قبيصة بن ذؤيب: 121
أبو قتادة: 51
القتال الكلابي: 144-145
قطية بنت بشر: 26
قيس بن ذريح: 143-183
قيس بن الملوح: 143
- ك -
الكروس بن زيد: 144
كعب بن الأشرف: 123
- ل -
لبنى: 143
ليلى الأخيلية: 79-142
ليلى بنت زبان: 26
ليلى العامرية: 143
- م -
مارية بنت موهب: 153
مالك بن أنس: 103-154-167

مالك بن الريب: 145 162-166-167-174-176-178

محمد الباقر: 61 181-184

محمد بن مروان: 28 معاوية بن يزيد: 30

مخرمة بن نوفل: 129 المغيرة بن شعبة: 162

المسعودي: 153 - ن -

مسلمة بن مخلد: 65 نافع بن جبير: 68

المسور بن مخرمة: 21-41-67 النعمان بن بشير: 174

مصعب بن عبد الرحمن بن عوف: 78 نعيم بن عبد الله النحام: 169

80-83-92-104-144 نوح عليه السلام: 10

المطلب بن عبد الله: 74 نورة بنت عبد الملك آل الشيخ: 3

معاوية بن حديج: 64 نوفل بن مساحق: 74

معاوية بن أبي سفيان: 1-30-39-58 - هـ -

60-62-63-65-66-68-69-70 هاشم بن عبد مناف: 20

72-75-77-78-89-90-95-96 هدبة بن الخشرم: 145

99-100-102-106-107-110 أبو هريرة: 42-43-44-50-51-58

112-115-119-121-125-127 75-78-89-102-111-119-120

138-142-143-147-151-152 124-126-127-128-131-132

153-156-157-158-160-161 هشام بن عبد الملك: 27

همام بن مطرف: 74

هند بنت عتبة: 153

- و-

الوليد بن عبد الملك: 27-28-167

- ي-

يثرب بن نابتة: 10

أبو يحي: 53

يزيد بن معاوية: 30-69-70-71

72-84-96-107-157-175

يزيد بن المفرغ: 147

يزيد بن عبد الملك: 27

فهرس البلدان والأماكن(*)

-أ-

أرمينية: 28

إفريقية: 29

الأندلس: 63

-ب-

البحر الأحمر: 7

البحرين: 29-114-182

البصرة: 16-28-37-65-97-105

بطحان: 8-151

البقيع: 54-56-177

-ت-

تهامة: 165

تيماء: 74

-ث- -د-

ثنية الوداع: 159

-ج-

الجابية: 31-36

الجار: 7-45-82-114-182

جبل أحد: 8-159-173-174

جبل عير: 8

-ح-

الحبشة: 7-114-182

الحجاز: 27-30-31-38-62-63

65-73-114-147-183

حرة واقم: 8

حرة الوبرة: 8

-خ-

خراسان: 65-70

دمشق: 33-36-62-68-70-78

(*) استثنيت المدينة من فهرس البلدان والأماكن؛ لأنها ذُكرت في أغلب صفحات البحث.

106-105-101-99-84-77

147-142-118-117-113

178-166-157-149

-ر-

الرياض: 7

-ز-

زقاق البقيع: 163

زقاق الحبشة: 163

-ش-

الشام: 35-33-31-30-23-20-15

109-108-100-71-47-37-36

167-149-147-144-122-113

183-182

-ط-

الطائف: 136-73-30-22

طابة: 10

طيبة: 10

المغرب:

-ع-

العراق: 90-59-37-30-28-27

157-141-122-114-113-109

183-182

العقيق: 151-101-8

-ف-

فارس: 145-17

-ق-

القاهرة: 36

قباء: 158

قناة: 151-8

-م-

مرج راهط: 33-32

مصر: 37-35-33-30-27-16-7

122-114-109-105-65-64-45

182

164-163-159-158

64-89-29-17

مكة: 7-16-20-22-30-73-86

101-122-132-137-158

-ن-

نجد: 73-114

النيل الأزرق: 152-155

-هـ-

الهند: 7-63

-ي-

يثرب: 10-11

اليمامة: 75

اليمن: 15-20-73-86-113-142

فهرس الآيات القرآنية

﴿لاَ يَحْسِبَنَّ ٱلذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَنْ يُّحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلاَ تَحْسِبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ آلِيمٌ﴾ سورة آل عمران الآية 188: 48

فهرس الأحاديث النبوية

اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي ثمارنا وفي مُدّنا وفي صاعنا، بركة مع بركة: 12

المدينة حرم من كذا إلى كذا، لا يقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث، من أحدث حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين: 11

أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد: 11

إن الله تعالى سمّى المدينة طابة: 10

إنها طيبة تنفي الذنوب كما تنفي النار خبث الفضة: 10

صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام: 12

على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال: 12

فهرس الموضوعات

شكر وتقدير.....

مختصرات.....

المقدمة..... 1

مدخل: لمحة جغرافية وتاريخية عن المدينة..... 7

1- الموقع والخصائص الطبيعية..... 7

2- أسماء المدينة وفضائلها..... 9

3- أوضاع المدينة في العهدين النبوي والراشدي..... 13

الفصل الأول: حياة مروان بن الحكم..... 19

1- نسبه ومولده ونشأته..... 20

2- صفاته ومكانته..... 23

3- زوجاته وأولاده..... 26

4- أعماله ووفاته..... 29

الفصل الثاني: الأحوال السياسية..... 39

1-علاقة أمير المدينة مروان بن الحكم بالصحابة رضوان الله عليهم..... 40

2- مشاركة سكان المدينة في الأحداث السياسية..... 62

3- الإدارة والقضاء..... 73

الفصل الثالث: الأحوال الاجتماعية والاقتصاديـة..... 85

1- تركيب مجتمع المدينـة ومميزاتـه..... 86

2- مكانة المرأة..... 95

3- الأحوال الاقتصاديـة..... 105

الفصل الرابع: الأحوال الثقافيـة..... 117

1- التعليـم..... 118

2- العلمـاء..... 132

3- الشعراء..... 140

الفصل الخامس: المنشآت العمرانيـة..... 150

1- العين الزرقـاء..... 151

2- البلاط والمقصـورة..... 160

3- منشآت عمرانية أخرى..... 169

الخاتمة..... 181

الملاحق..... 186

قائمة المصادر والمراجـع..... 193

فهرس الأعلام..... 216

فهرس البلدان والأمـاكن..... 223

فهرس الآيات القرآنية والأحـاديث النبوية..... 226

فهرس الموضوعـــات..... 227